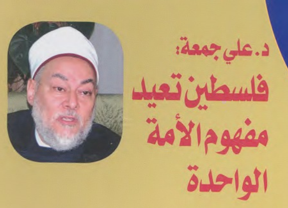




د. علي جمعة:
فلسطين تعيد مفهوم الأمة الواحدة

غزة.. ملحمة العزة

العدو العربي في أدب الأطفال الصهيوني

ملف العدد
الآل والأصحاب.. محبة وقرابة

النقوش الكتابية في أوابد دمشق

الإعجاز التشريعي في القرآن

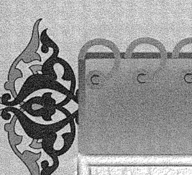
ثقافة أمتنا تنادي... وسائل تنمية الموارد البشرية

وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر

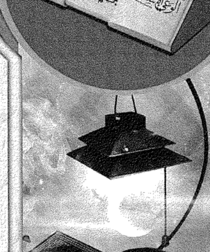
اما لله والاسلام جند تدافع عنه شبان وشيب

فقل لذوي البصائر اين كانوا اجيبوا الله ويحكم اجيبوا





الافتتاحية



حقيقة الانتصار

اذا تأملنا واقع الأمة اليوم، وما تمر به من المحن والابتلاء، ورأينا الصحوة والنهضة، وانتشار الفكر والمعرفة، نلاحظ أن هناك مفاهيم غائبة عن فهم الكثير، مع أن الكتاب العظيم الذي بين أيدينا قد بيّنها وفصّلها، ففيه خبر من قبلنا، وكذا السيرة العطرة التي حفظت لنا طرق الانتصار ووسائله.

رأيت أن كثيرا من أسباب الخلل في الواقع يعود لغياب هذه الحقائق، وأن خفاءها أوقع في خلل كبير، ومن ذلك الاستعجال والتنازل واليأس والقنوط والعزلة، وهذه أمور لها آثار سلبية.

وتبرز أهمية هذا الموضوع من خلال هذا الفهم الخاطئ لمعنى حقيقة الانتصار والخلط بين انتصار الاشخاص وبين انتصار الأمة وظهور الحق والحقيقة، ولتأخر النصر أسبابه، وعدم الأخذ بالاسباب سبب من الاسباب، وكذلك وجود بعض الموانع، مثل الظلم والمعاصي والانحراف في المنهج وتأصيل الحزبية وتفريق كلمة المسلمين وتنافر القلوب وعدم النضوج، فهذه أبرز أسباب تأخر النصر الظاهر، وعلينا الأخذ بالأسباب الشرعية سعيا لتحقيق النصر.

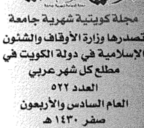
والطريق الى المستقبل المأمول ليس مفروشا بالأزهار والورود، بل هو مفروش بالأشواك والآلام.

وليست هذه هي المرة الأولى التي يصر فيها الاعداء على الاعتداء، ولكن ربما كانت المحاولات السابقة تختلف عن المحاولات الحاضرة، وقد تبدو الهجمة الشرسة مستغربة مع ضعف العالم الإسلامي والعربي، ولكن ربما يزول العجب إذا عرفت الاسباب.. تلك هي الصهيونية الواضحة. اذا فهمنا سر الهجمة الشرسة وأدركنا إصرار الأعداء عليها، فإن لنا أن نتساءل: كيف استعدت الأمة لتحقيق حقيقة الانتصار، انها قامت بجهد كبير تبدو آثاره على الساحة، وأبطأت كثيراً في بعض المجالات ظناً منها أنها أصبحت ناضجة، لكن.. هل هذا هو الجهد المطلوب؟

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ (الروم -٤٧)

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

في هذا العدد



مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٢٢
العام السادس والأربعون
صفر ١٤٣٠هـ
فبراير ٢٠٠٩م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

مدير التحرير
ياسر يعقوب الضويحي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

سكرتير التحرير التنفيذي
عبادة السيد نوح

التحرير
تمام أحمد الصباغ
رضا عبدالودود

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات

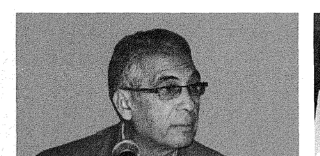
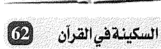
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف:٢٤٦٧١٣٢ - ٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com













التوزيع

وكيل التوزيع المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٤٨٣٩٤٨٧

• السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١) •اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر •لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ١٨٤/٢٥ •سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (٠٠٩٦٣ ١١) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات •الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢ •مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع •الإمارات العربية المتحدة - دبي - ص.ب ٦٠٤٩٩ - ت ٢٦٢٣٩٢٠ (٠٠٩٧١٤) ف ٢٦٦٣٧٦٨ - شركة الإمارات للنشر والتوزيع •مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦ - دار الأهرام •المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع •المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة الشريفية للتوزيع والصحف •سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع •قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر

موضوع الغلاف



يرتكب الكيان الصهيوني الغاشم جريمة حرب بشعة بحق إخواننا الفلسطينيين في قطاع غزة.. ولكن المقاومة الباسلة تثبت أن هذه الأرض مصدر عزة للأمة في زمن غربة الإسلام.



داخل العدد

كلمة العدد

صمود الأتقياء

يعيش إخواننا في قطاع غزة فوق لهيب نيران الكيان الصهيوني الغاشم في ظل الصمت الدولي الرهيب والخرس العربي المقيت.

فما يرتكبه العدو الصهيوني كشف عن الأقنعة المزيفة والشعارات المفبركة والمانشيتات المحورة.. حتى صرنا نقول له: شكراً على فعلتك الخبيثة لأنك فضحت زبانيتك في المجتمع الدولي وأنت لا تدري.

والصراع القائم اليوم صراع بين الحق والباطل، فيفرق بين الطيب والخبيث وبين الأبيض والأسود، و بين الصديق والعدو وبين الطهارة والنجاسة، لذا ينبغي ألا نخدع بالمصطلحات المستحدثة من محاربة الإرهاب والدفاع عن الأمن القومي وغيرها من الخزعبلات اليهودية، فلن تنكس راية أمة رفعت «لا إله إلا الله» شعاراً لها واتخذت الرسول ﷺ قدوتها وارتضت القرآن دستورا لها وفضلت الموت في سبيل الله عن متاع الدنيا.

ولن تركع عزائم شعوب سعت إلى التمكين لدين الله في الأرض والسيادة لشريعة الإسلام.

ولن تغيب مجتمعات ارتضت لنفسها العزة والكرامة والشموخ ورفعت قول الله تعالى ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ (البقرة : 120)، ولن تموت قلوب تحفظ الله في السراء والضراء وتملأ بخاتم الكتب السماوية.

الوعي الإسلامي

الأسعار

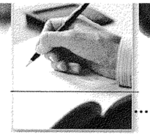
•الكويت : ٥٠٠ فلسا •السعودية : ٧ ريالات •البحرين : ٥٠٠ فلس •قطر : ٧ ريالات •الإمارات : ٧ دراهم •سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة •الأردن : دينار واحد •مصر : ٢ جنيه •السودان : ٥٠٠ جنيه •موريتانيا : ٢٠٠ أوقية •تونس : ٢ دينار •الجزائر : ١٠ دنانير •اليمن : ٧٠ ريال •لبنان : ٢٠٠٠ ليرة •سورية : ٣٠ ليرة •المغرب : ١٠دراهم •ليبيا : دينار واحد •اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله •اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ٥١ دينارا كويتيا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (او مايعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارا كويتيا (او مايعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ ديناراً كويتياً (او مايعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)



بريد القراء

﴿إن مع العسر يسرا﴾

قال ﷺ عن قوله تعالى: ﴿فإن مع العسر يسرا.إن مع العسر يسرا﴾ (الشرح: ٥-٦) لن يغلب عسر يسرين (البيهقي). ويرجع هذا المعنى الى أن تعريف العسر يعني تحديده، أما كلمة يسر في صيغة النكرة بدون «ال» فإن اطلاق اليسر واتساع نطاقه وعدم قصره وتحديده فضل من الله على العباد، ثم أتبع الله سبحانه وتعالى أسباب اليسر كما أوردها المفسرون باجتهاد العباد في عبادة الله والتقرب إليه، فيقول المفسرون إذا فرغت من شغلك مع الناس ومع الأرض، ومع شواغل الحياة، إذا فرغت من هذا كله فتوجه بقلبك كله الى ما يستحق ان تنصب فيه وتكد وتجتهد من العبادة، والتجرد، والتطلع والتوجه إلى ربك وحده خالياً من كل شيء حتى من أمر الناس الذين تشتغل بدعوتهم.. انه لا بد من الزاد للطريق، وهنا الزاد، ولا بد من العدة للجهاد، وهنا العدة، وهنا ستجد يسرا مع كل عسر، وفرجا مع كل ضيق.. هذا هو الطريق.

وان مع هذا الجهد والجد لتفريج العسر وازاحة أسبابه، فإلى جانب هذه الطاعات والعبادات والتقرب الى الله سبحانه وتعالى فإن الإكثار من الدعاء والتضرع الى الله سبحانه وتعالى من أهم الأشياء المطلوبة من الإنسان في مثل هذه المواقف، فقد قال الرسول الكريم ﷺ «ليس شيء أكرم على الله تعالى من الدعاء» (الترمذي) وليس أنفع منه في تحقيق المطلوب ودفع البلاد والكروب.

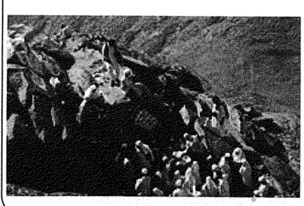


شوقي وهبة

وماذا بعد الهجرة؟

انتهت أيام ذكرى الهجرة النبوية وبقي ما بها من عبر وعظات، سيظل التاريخ يذكرها ونتدارسها على مر العصور والأزمان، ويتدارسها جيل بعد جيل إلى أن تقوم الساعة، ولكن بدلا من الاحتفال في وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة والمقروءة، أتساءل عن جانب مهم في هذه الاحتفالية، وهو الجانب العلمي والتطبيقي لهذه الهجرة، وكلنا يعرف ما حدث فيها من مواقف وما فيها من العبر والعظات، وهل سألنا أنفسنا عن الجانب المهم بل والخطير والمستفاد من هذه الرحلة الطيبة من التطبيق الفعلي مع نهاية كل عام هجري، عرفنا موقف عبدالله بن اريقط رغم انه كافر ولكن هل أخذنا العبرة والعظة؟ وعرفنا موقف أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف سراقة وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف سيدنا علي رضي الله عنه وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف سيدنا عمر رضي الله عنه وهجرته علانية وما به من عبرة وعظة، وعرفنا موقف الصحابة رضوان الله عليهم وهم يتركون المال والأولاد والديار، وما موقف سيدنا صهيب الرومي منا ببعيد، يقول الحق تبارك وتعالى فيه ﴿ومن الناس من يشري نفسه إبتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد﴾ (البقرة-٢٠٧) ولا ننسى أبدا موقف الأنصار من استقبال المهاجرين وما فيه من العبرة والعظة التي سيظل التاريخ يذكرها الى أن تقوم الساعة يقول الحق جل وعلا ﴿والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾(الحشر-٤٩).

رضا حسن علي عثمان



أيها المسلمون.. انتبهوا

ترى هل فهمنا قواعد اللعبة الخطرة لعبة العولمة؟ وهل جاء الوقت لاعادة الحسابات؟ أو على الأقل لاعادة عرض ديننا العظيم لكي يفهمنا الآخرون.
إن علينا كأمة أن نتصدى لكل من يحاول تدمير هويتنا وقطع جذورناحتى لا نجد أنفسنا يوما بلا هوية؟
﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾(النور-٦٣).

محمد الحسيني ابو عبدالرحمن السحرتي



ردود خاصة

■ القارئ ماهر محمد علي حسن- مصر
جزاكم الله كل خير على عواطفكم الجياشة تجاه المجلة والقائمين عليها، وأما بخصوص الاسطوانات المدمجة فهي غير متوافرة في الوقت الحالي.

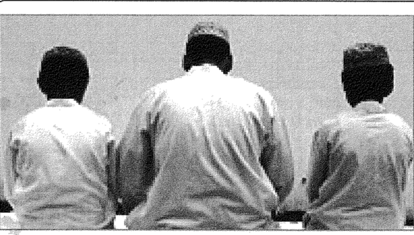
■ القارئة سكينة شافعي محمد - مصر
ما تطلبينه من المجلة خارج عن اختصاصاتنا يمكنك مخاطبة الوزارة مباشرة.

■ القارئ إبراهيم محمد - الجزائر
أحلنا الفتوى إلى لجنة الافتاء في الوزارة وسننشرها على صفحات المجلة حين يجيء الرد عليها.

■ القارئ علي عبدالقادر - كونتي- مالي
أهلاً وسهلاً بنتاجك الشعري وأما بخصوص طلبكم فهذا غير ممكن في الوقت الراهن ونأمل أن يتحقق ذلك مستقبلاً.

الحب في الله

«اقسم بالله العظيم أني أحبك في الله تعالى» قسم معطر بالإخلاص، ندي بالإيمان، عميق الدلالة على سمو النفس وصدق العاطفة ومبلغ التأثر بهذه الحقيقة التي تعيش في أعماقك ووجدانك، لقد سمعتها واستقبلتها بكل حواسي، ولكن لم استطع حينها أن أبلغ مداها وأن أرتفع الى مستواها فأبعث إليك بصداها، فكان سكوتي عجزاً عن الوفاء بحقها، حتى استيقظت عليها تتفاعل في أعماقي في نداء كأنه أنشودة أو تغريدة أو تستبيحة في محراب الصلاة، استيقظت على روح تهفو وتحلق، فإن الحب في الله تعالى يرقى بالإنسان في سماء لا تطاولها سماء، الدنيا كلها لا تتسع لسبحات نفسه وتطلعات روحه وانبعاث أشواقه،



لما لهذا الحب من أشواق وآثار عميقة في القلب وانشراح الصدر وإيقاظ الهمة وانسياب المعاني في جداول رقراقة تغذي وتنعش.
إن ود القلوب نادر، وان العثور على قلب أندر من الماس في دنيا الناس، وإن الحرص على قلب هو أعظم من الحرص على كنز، فإن النفوس معادن أغلاها وأحلاها من كان له قلب يفقه ويتذوق ويتألم.

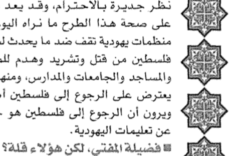
ماهر محمد علي حسن

د.علي جمعة مفتي الديار المصرية لـ «الوعي الإسلامي»:

قضية فلسطين تعيد مفهوم الأمة الواحدة ويجب وضع برنامج عملي لعمارة الأرض

حوار: أحمد غانم

خلال الايام القليلة الماضية تابع العالم كله عبر وسائل الإعلام المختلفة هذه الحرب الظالمة وهذه الجريمة البشعة التي يرتكبها الكيان الصهيوني الغاصب ضد أهالي غزة العزل بفلسطين، من أطفال ونساء وشيوخ، ناهيك عن قصف المساجد والجامعات والمدارس والبيوت دون ادنى وازع من ضمير او دين، وهنا ظهرت بعض التساؤلات: هل هؤلاء الصهاينة أمثال أولمرت وليفني وباراك وقبلهم شارون ونتيناهو، طبعة جديدة من يهود المدينة المنورة من بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ويهود خيبر الذين حاربهم النبي محمد ﷺ قبل ١٤٠٠ عام وجاء ذكرهم مرارا في القرآن الكريم؟ أم أن هؤلاء صهاينة علمانيون لايمتون للديانة اليهودية بصلة؟ وهل هي حرب عقيدة أم لها أهداف أخرى؟ وهل قام علماء الامة بواجبهم تجاه اخوانهم في غزة؟ وما هو الحكم الشرعي لمن كان قادرا على نصرة إخوانه بأي شكل من الأشكال، ووقف صامتا لم يفعل شيئا؟ «الوعي الإسلامي» التقت د. علي جمعة مفتي الديار المصرية... واليكم نص الحوار:



■ هل يهود اليوم هم يهود الأمس من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود خيبر؟

- أنا أميل إلى ما رآه المفكر الكبير وصاحب موسوعة «الصهيونية» الدكتور عبدالوهاب المسيري عليه رحمة الله من أن المحتلين الغاصبين لفلسطين الآن والذين أتوا من كل حدب وصوب هم صهاينة لا علاقة لهم باليهود، وأنهم مجموعة من العلمانيين يستغلون الدين في السياسة، وهذه وجهة نظر جديرة بالاحترام، وقد يعد دليلا على صحة هذا الطرح ما نراه اليوم من منظمات يهودية تقف ضد ما يحدث لشعب فلسطين من قتل وتشريد وهدم للمنازل والمساجد والجامعات والمدارس، ومنهم من يعترض على الرجوع إلى فلسطين أصلا، ويرون أن الرجوع إلى فلسطين هو خروج عن تعليمات اليهودية.

■ فضيلة المفتي، لكن هؤلاء قلة؟

- نعم هذا صحيح، لكن الأتقياء والمتمسكين بديانتهم دائما ما يكونون قلة، فهناك من تولى مناصب قيادية في «الكيان الصهيوني» وكانوا من الملاحدة، ولذلك أنا أرى أن هؤلاء لا علاقة لهم ببني قينقاع ولا بيهود خيبر ولا بشيء من هذا القبيل، وان هذه عملية سياسية ترجع إلى التوجهات الصهيونية، وهي كما تعلم لا علاقة لها باليهودية، بل إنها اتسعت حتى اصبح هناك من المسيحيين أنفسهم من هم صهاينة، فالحركة الصهيونية توسعت إلى أن أصبح معها جزء كبير من الملاحدة وجزء كبير من المسيحيين وجزء كبير من اليهود، ومن هنا فانا أرى أن هذه الدولة المسماة «اسرائيل» لا تراعي أحكام اليهودية، فهم لا يعرفون عنها شيئا وهي ألعاب سياسية في الأصل تتلاعب بالدين من أجل الوصول إلى مصالح معينة ومحددة في أجندة مسبقة.

■ إذن ترون أنها ليست حرب عقيدة؟

- في الحقيقة إنها في الظاهر حرب عقيدة، وهكذا تحاول القيادة الاسرائيلية ان تجعلها، وعندما نطلق عليها نحن حرب عقيدة فهذا يصب في مصلحة الصهاينة الإسرائيليين، وهي وإن كانت من جانبهم في الظاهر حرب عقيدة فهي من جانبنا كمسلمين وعرب وفلسطينيين من حقنا أن ندافع عن أنفسنا ووطننا وقضيتنا وهويتنا وديننا أيضا، وقد سألني صحافي أميركي من «السي إن إن» قائلا لي: ما رأيك في هدم إسرائيل للمساجد في غزة؟ فقلت له: إذا كان هؤلاء الغاصبون المحتلون قد هدموا الإنسان ألا يهدمون البنيان؟ وإذا كانوا قد قتلوا الساجد ألا يهدمون المساجد؟ هذا كلام عجيب وغريب أن يسألني سائل مارأيك في هدم بنيان الرب الذي يأتي ضمن مذبحة بشعة تحاكي مذبحة الهولوكست التي أنكرتها البشرية جمعاء، إذن أنا أرى أن هذه ترتيبات سياسية بأجندة مسبقة، فالاحتلال الاستيطاني البغيض الذي يختلف نوعيا عن أي احتلال رأيناه عبر التاريخ، مثل الاحتلال الانجليزي أو الفرنسي لعدد من الدول العربية، مثل مصر والجزائر وليبيا، هذا الاستيطان يعد نوعا مختلفا من الاحتلال أنكره العالم كله في قرارات الأمم المتحدة، لكنه مازال ساراً في عدوانه على الأرض في فلسطين، وهو أصل كل المشاكل التي نحيا فيها منذ أن صدر هذا الوعد المشؤوم المسمى بوعد بلفور عام ١٩١٧ والذي منح يهود العالم حق اقامة دولة على أرض ليست أرضهم ومن ساعتها بدأ الصراع.

■ مع بدء العدوان الصهيوني على غزة صدرت بعض الفتاوى تجيز استهداف المصالح الصهيونية في أي مكان في العالم؟

- بصراحة أنا لست مع هذه الفتاوى التي قد تدخلنا في دوامة من العنف لا نستطيع أن نخرج منها، فنحن نسعى بالقتال إلى السلام وليس إلى مزيد من القتال.

■ كان هناك تحرك من العلماء تجاه

ما يحدث في غزة وكان أبرزه تحرك الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين بقيادة العلامة الدكتور يوسف القرضاوي بزيارتهم لعدد من القادة والزعماء العرب والمسلمين لحثهم على نصرة شعب فلسطين المحاصر والمنكوب فهل ترون هذا التحرك كافيا ؟

كل تحرك في الاتجاه السليم من عدم نسيان القضية وتوضيح المسألة الى الرأي العام وإنقاذ الشعب الفلسطيني انقاذا فوريا وايقاف هذه المذبحة من ناحية والاستمرار في المطالبة بحقوق هذا الشعب في أن يحيا حياة كريمة كباقي شعوب العالم، فهذا جهد مشكور وينبغي علينا ان نقف معه وندعمه بكل قوة، والعلماء لهم دور بلا شك في توعية جماهير الأمة بالمخاطر التي تحدق بها وضرورة مواجهتها والتصدي لها بكل قوة ودائما وأبدا العلماء هم سند الأمة في أي أزمة وغمة تمر بها عبر التاريخ.

■ **ما رأي فضيلتكم في التعبير والادانة لما يحدث عبر المظاهرات والوقفات السلمية؟**

- التعبير بالتظاهر شيء إيجابي لأنه ينشئ رسالة للعالم بأننا في حالة من عدم الرضا والغضب والاستنكار لهذه المجازر الوحشية والبشاعة التي ترسم الآن نقطة سوداء في تاريخ البشرية وهولوكوستا جديدا لذا ينبغي أن تكون هذه المظاهرات منضبطة لإنشاء هذه الرسالة، ولا يكون هناك صدام بين الأمن والمتظاهرين، أو تخريب للممتلكات أو ضياع للحقوق بأي شكل من الأشكال أو العدوان على الأشخاص، لأن الغضب هدفه توصيل رسالة وليس التدمير أو الفساد في الأرض.

■ **وما رأي فضيلتكم في مقاطعة البضائع الصهيونية في المقام الأول ثم بضائع الدول التي تساندها وتدعمها في هذه الحرب الاجرامية؟**

- إنا في رأيي أن المقاطعة لا تتأتى إطلاقا إلا إذا أتت من قبل الدول وأن مقاطعة بعض البضائع الصهيونة من الشعوب البسيطة لا تحقق النتيجة المرجوة والمتسهدفة من جراء المقاطعة لأن هذه البضاعة طالما أنها أصبحت ملكا ودفعنا ثمنها مسبقا فهل نحن بذلك نقاطع أنفسنا؟ فلا بد أن تكون من قبل الدول وليست بحركات فردية قليلة التاثير والفعالية.

أي إنسان في استطاعته تحقيق النصر سواء كان حاكماً أو محكوماً وتراجع بأي شكل فهو آثم شرعاً وسيحاسب على تقصيره

■ **أي مسلم يستطيع النصرة في هذا الموقف ويتخاذل هل هو آثم؟**

نعم أي إنسان في استطاعته وفي طوقه وفي مكانه الذي اقامه الله فيه سواء كان حاكما أو محكوما وتراجع عما يتسطيع ان يقدمه لهذه القضية بأي شكل كان فهو آثم شرعا وسيحاسبه الله تبارك وتعالى على تقصيره هذا.

■**قضية فلسطين أعادت إلى الأذهان الحديث عن مفهوم الأمة فما هو مفهوم الأمة الإسلامية من وجهة نظركم؟**

- إن من مقتضيات مفهوم الأمة في الإسلام ترتيب الأولويات، ومنهج التعامل مع الحياة الدنيا، وتحديد العلاقة مع الآخرين، ووضع برنامج عملي لعمارة الأرض، ففي نظر المسلمين، الأمة ممتدة عبر الزمان فيما يمكن أن نسميه بالدين الإلهي، فالأمة تبدأ من آدم، وتشمل كل الرسل والأنبياء في موكبهم المقدس عبر التاريخ، والأمة بعد النبي محمد ﷺ ممتدة عبر الزمان والمكان، وفي جميع الأحوال ولدى جميع الأشخاص، وهذا أمر غاية في الأهمية إذا اعتبرناه تأسيساً لما ندعو إليه من معاصرة وإصلاح وتجديد، فالمسلمون لا يعرفون الرابطة القومية أساسا للاجتماع البشري، وإن كانوا لا ينكرونها في سياقها، ولا يعترفون بالرابطة الوطنية إذا أدت إلى الشوفونية المتعصبة، وإن كانوا يعتبرون حب الوطن من الإيمان.

فإذا تحدد مفهوم الأمة بهذا المعنى فإن لدينا أمة الدعوة وهي الإنسانية كلها، وأمة الإجابة وهم من صدقوا بالنبي ﷺ ودينه ومنهجه في الحياة، وهو مفهوم للأمة يشمل البشرية كلها، ويرى المسلمين مع غير المسلمين أمة دعوة يتوجه لهم جميعا الخطاب بـ (يأيها الناس) وإنما اختص المسلمون بخطاب (يأيها الذين آمنوا) حتى إنه في العقائد الإسلامية نرى شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة لجميع الخلائق حتى يصدق عليه قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء-١٠٧) أي السابقين واللاحقين.

■ **لكن إذا أردنا أن نبني على مفهوم الأمة برنامجا عمليا يتعلق بالسياسة والاقتصاد والاجتماع، ويتواءم مع واقعنا ومشكلاتنا الآنية فماذا نفعل؟**

- لا بد من ترتيب أولوياتنا بأجندة تنبثق من واقعنا وحاجتنا دون النظر إلى ما يحاولونه من فرض الهيمنة من الخارج لمصالحهم ومنافعهم، فإذا كانت الأمة واحدة عبر التاريخ الماضي، وواحدة بعد بعثة النبي ﷺ، وواحدة في يومنا هذا في أساس عقائدها، فلماذا لا نكون أمة واحدة أيضا في واقع معاشنا، مع اختراع ما يلزم من نظم وإجراءات تحقق هذا النظر وتؤيد هذا التوجه فإن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف كما قال رسول الله ﷺ «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلاَ تَعْجِزْ» (رواه ابن ماجه)، ويمكن أن نضع برنامجاً عمليا منبثقا منا يشتمل على:

أولا: التقريب والتحالف بين دول المنطقة، ولنبدأ باقتراح الطريق السريع الذي يربط بين طنجة وعمان، وشبكة الطرق السريعة هذه هي أول خطوة في ربط البلدان بعضها مع بعض.

ثانيا: رفع تأشيرات الدخول والإقامة بين العالم العربي.

ثالثا: السعي إلى تفعيل السوق المشتركة والتجارة البينية والاكتفاء الذاتي.

رابعا: السعي الحثيث لتوحيد العملة بين الأقطار العربية، ثم الإسلامية.

خامسا: هناك أساليب للوحدة مع الاحتفاظ بالخصوصية كالاتحاد الفيدرالي، وهو أمر يحتاج أيضا إلى رأي عام، وتوجه صادق، وخطوط كثيرة للوصول إلى التواؤم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين الدول العربية. سادسا: إصلاح التعليم بالاهتمام بمراكز البحث العلمي، وتشجيع الابتكار وحمايته والاهتمام بقضايا التدريب، وبالجانب التطبيقي.

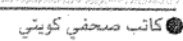
تاريخ اليهود الأسود في فلسطين

مفرح النومس العنزي ●

لم يكن مشهد العنف المفرط في غزة جديداً على اسلوب الصراع العربي الصهيوني، فما حدث في قانا وجنين ولبنان قبل عامين يعيد نفسه في غزة اليوم.
وتستمد العقيدة «الاسرائيلية» هذا الاسلوب القتالي العنيف من عمق تاريخها الملطخ بدماء الابرياء على يد يوشع بن نون وغيره، وقبل ان نبدأ بتحليل الموقف في غزة ومحاصرة القوات «الاسرائيلية» لها والقصف المتواصل بطائرات F16 علينا ان نتذكر بأن اليهود قساة في تعاملهم مع عدوهم، وقد ورد ذكرهم بصراحة في القرآن الكريم حول هذه الصفة في الآية 74 من سورة البقرة إذ قال تعالى: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة...﴾.

ولم يكن هذا الصراع جديدا بل يمتد الى ٤٥٠٠ سنة مضت، وفيما يلي الأحداث وتواريخها في هذا الصراع:

- في عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد نزحت قبائل الكنعانيين العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام ثم الى أرض كنعان المسماة فلسطين.
- في عام ١٨٠٥ قبل الميلاد هاجر نبي الله إبراهيم الخليل مع جماعات من قبيلته من مدينة أور الكلدانية جنوب العراق الى أرض فلسطين. وقد رافقه في رحلته زوجته سارة وابن أخيه لوط ولم يدخلها غازياً بل نبياً يدعو الى وحدة الخالق.
- في عام ١٧٩٤ قبل الميلاد أنجبت هاجر زوجة إبراهيم عليه السلام ابنه اسماعيل.
- في عام ١٧٨٠ قبل الميلاد انجبت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام ابنه اسحاق.
- اسحاق بن إبراهيم عليه السلام انجب توأمين هما عيسو ويعقوب ولقب يعقوب باسرائيل وتعني بالعبرية مقطعين هما: إسرا: وتعني عبد وئيل: وتعنى الله. أي عبدالله ثم هاجر يعقوب الى بابل في العراق وأقام عند خاله وتزوج من ابنتيه ليا وراحيل ثم عاد إلى أرض كنعان واشترى مزرعة وبنى مذبحا سماه مذبح الرب وأنجب يعقوب اثني عشر ولداً هم الاسباط وهم روبين، شمعون، لاوي، يهوذا، بساكر، زبلون من ليا، ويوسف وبنيامين من راحيل ودان نفتالي من بلها جارية راحيل. وجاد وأشير من زلفة جارية ليا وجمعيهم ولدوا في العراق ما عدا بنيامين الذي ولد في أرض كنعان بعد هجرته من بابل.
- في عام ١٦٥٦ قبل الميلاد هاجر يعقوب وأبناؤه وعشيرته الى مصر بعد أن أصاب أرضهم القحط والجفاف فاستعبدهم الفراعنه وسخروهم في اعمال البناء الشاقة وعذبوهم وبقوا على هذه الحالة من المذلة حتى ظهر منهم نبي الله موسى عليه السلام.
- وفي عام ١٢٩٠ قبل الميلاد أمر الله نبيه موسى عليه السلام ومن اتبعه من القوم بمغادرة مصر والاتجاه نحو البحر ففلق الله تعالى البحر أمامه ثم أطبقه على فرعون وجنوده فغرقوا جميعا ثم اتجه بهم


● كاتب صحفي كويتي

الى «صحراء سينا» وهناك نسي بعضهم فضل الله عليهم وعبدوا ثور سينا من دون الله، وبعد ذلك امرهم موسى عليه السلام بالذهاب معه الى أرض الكنعانيين بفلسطين فرفضوا أمره وقالوا إن بها قوماً جبارين لا طاقة لنا بقتالهم حتى وصلوا معه أن قالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون.. فتاهوا في سيناء ٤٠ عاماً بعد أن خذلوا نبيهم.

- في عام ١٢٠٠ قبل الميلاد هاجرت قبيلة فيلستيا الأوروبية من جزيرة كريت الى أرض كنعان واستقروا في غزة وجوارها وامتد نفوذهم حتى الكرمل واستوطنوا الساحل وأقاموا مدناً محصنة هي: غزة، عسقلان، اسدود، عاقدة.

وقد اندمجت هذه القبيلة مع الكنعانيين وتأثرت بعاداتهم وتقاليدهم السامية وعرفت ارض كنعان منذ ذلك الوقت باسم «فلسطين» نسبة الى قبيلة فيلستيا.

- وفي عام ١١٨٦ قبل الميلاد تولى يوشع بن نون قيادة تلك القبائل البدوية من بني اسرائيل فعبر بهم الى فلسطين وتمكنوا من احتلال اريحا الكنعانية، وقد ذكر سفر يوشع انهم قتلوا بحد السيف جميع من في المدينة من بشر وحيوانات ثم زحفوا الى مدينة «عاي» الكنعانية فقتل يوشع وقومه كل من في المدينة البالغ عددهم حوالي ١٢ ألف نسمة.

- في عام ١١٠٠ قبل الميلاد أقام شاؤول مملكته اليهودية في أواسط وجنوب فلسطين وأجزاء من شرق نهر الأردن إلا انه هزم وقتل في إحدى المعارك مع الفلسطينيين.

- في عام ١٠٠٠ قبل الميلاد وبعد وفاة شاؤول أسس الملك داود مملكة اسرائيل بعد ان فتح مدينة أورشليم وهي آخر حصون الكنعانيين التي حافظت على استقلالهم، ثم نقل عاصمة ملكه الى القدس بعد ان كانت في الخليل، وقد بلغت مملكته اقصى اتساعها باستثناء الساحل الفلسطيني الممتد من شمال يافا



الى جنوب غزة فقد كان خارج السيطرة اليهودية. وقد حكم لمدة ٤٠ عاماً.

- في عام ٩٦٩ قبل الميلاد تولى الحكم من بعده ابنه سليمان وشيد المعبد المعروف باسم هيكل سليمان وذلك بمساعدة العمال الفينيقيين المهرة وبلغت مملكته اقصى اتساعها باستثناء الساحل الممتد من شمال يافا حتى جنوب غزة.

- في عام ٩٣٥ قبل الميلاد توفي سليمان وضعفت مملكته وانقسمت الى قسمين، مملكة اسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة بعد ثورة الاسباط العشرة على ابنه رحيعام، أما السبطان يهوذا وبنيامين فقد أسسا مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم القدس، وقد اتسم عهد هاتين المملكتين بطابع الفتن والثورات والدسائس في سبيل بقاء الحكم.

- في عام ٩٢٠ قبل الميلاد قام شيشق ملك مصر بمهاجمة مملكة يهوذا واحتلها ونهب كنوزها بما في ذلك بعض من كنوز الهيكل.

- في عام ٧٢١ قبل الميلاد قام الآشوريين بقيادة الملك سرجون الاكدي ملك بابل باحتلال اسرائيل ومملكة يهوذا ثم فرض عليها جزية باهضة الثمن.

- في عام ٧٠١ قبل الميلاد حاولت مملكة اسرائيل التمرد على الآشوريين فهاجمهما الملك سرجون مرة أخرى فدمر مدنها وسبى معظم شعبها ونقله معه الى بابل ثم أحل محلهم قبائل عربية من بابل وسوريا وشبه الجزيرة العربية فانتهت مملكة اسرائيل على يد الملك سرجون.

- في عام ٥٩٧ قبل الميلاد قام الملك الكلداني «نبوخذ نصر باحتلال مملكة يهوذا فسبى ملكها يهويا قيم وعائلته وقادة جيشه وجيشه البالغ تعداده ١٠ آلاف مقاتل فنقلهم معه الى بابل ثم نصب صدقيا ملكاً على مملكة يهوذا.

- في عام ٥٨٦ قبل الميلاد حاول اليهود بقيادة صدقيا التمرد على سيطرة الملك نبوخذ نصر ملك بابل فهاجمهم مرة أخرى واستولى على أورشليم القدس فحرقها وهدم هيكل سليمان وقتل أبناء صدقيا أمام عينيه ثم سمل عيني صدقيا وأسر جميع سكان المدينة البالغ عددهم حوالي ٥٠ ألفا بما فيهم ملكهم صدقيا وساقهم الى بابل ثم دمر بقية البلدان اليهودية فضاعت دولتهم بعد ان دامت قرابة الأربعة قرون فعادت فلسطين عربية مرة أخرى، والجدير بالذكر ان اليهود لم يستطيعوا فرض سيطرتهم التامة على أراضي فلسطين بالكامل بالرغم من تواجدهم قرابة ٤ قرون على أرض فلسطين.

- في عام ٥٣٩ قبل الميلاد وبعد ان أمضى اليهود سبعين عاماً في بابل اتفقوا مع قورش ملك فارس فاحتل بابل واعاد لهم الذهب والفضة وهيكل سليمان من خزائن نبوخذ نصر ملك بابل المهزوم.

- لم يكن يهود بابل متحمسين للعودة الى أورشليم القدس إلا ان جزءا منهم عاد الى القدس وتمكنوا في عام ٥١٦ قبل الميلاد من بناء هيكل سليمان.

- في عام ٣٣٢ قبل الميلاد انتصر الاسكندر المقدوني على الفرس وألحق دولتهم بدولة الاغريق.

- في عام ٩٠ قبل الميلاد غزاها العرب الانباط فاحتلوها وظلت تابعة لعاصمتهم «بترا» ثم احتلها الرومان وفي عام ٧٠ الميلادي اشاع اليهود الفوضى والحرائق والاغتيالات واعلنوا العصيان على الرومان وظهرت منظمة «السيكاري» وهي اول منظمة ارهابية في التاريخ القديم.

- في عام ١٣٥ ميلادي حاول اليهود جمع شتاتهم في القدس على يد القائد سمعان المدعو بركوكب حيث ادعى بأنه المهدي المنتظر وايده في ذلك الحاخام عقيبا وثاروا على القائد الروماني ادريانوس «هارديان» فهاجمهم واحتل المنطقة اليهودية في القدس ودمر وقتل اهلها، وهدم الهيكل وحرث ارضه وبنى مدينة جديدة على انقاضه وبهذا لم تتم لهم قائمة حتى القرن العشرين.



المراجع

- القرآ الكريم سورة البقرة آية ٤٧.
- د. جميل الجبوري - جذور القضية الفلسطينية - ط١ - ١٩٩١.
- عمر رشدي - الصهيونية وربيبتها اسرائيل - ط٢ - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ٥٦٩١ ص٥، ٦.
- د. عبدالوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - ط ٩ - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت سنة ٥٨٩١.
- سفر يوشع - الاصحاح - ٨: آية: ٢-٨٢.
- رفيق شاكر - الاسلام وفلسطين - الرياض ٨٩١ - ص٨٢، ٩٢.
- ول ديورانت - قصة الحضارة - ج٢- المجلد الاول ص٧٢٣، ص٧٥٣، ص٨٥٣.
- شفيق الرشيدات - فلسطين تاريخاً وعبرة ومصيراً - دار الكتاب العرب - القاهرة ٨٦٩١م.

أساليب القرآن الكريم في مواجهة الحرب النفسية

محمد علي الخطيب

استحر القتل بأهلنا في غزة، وأثخنوا بالجراح والآلام، نتيجة الحرب الأخيرة التي شنها جيش الكيان الصهيوني عليها، واستغل بعض المنافقين مصيبة الموت أو القتل التي ابتلى الله تعالى بها المجاهدين؛ ليشن حرباً معنوية ونفسية، يتخذ فيها من مقتل الشهداء ونقص الأنفس وآلام الجراح مادة، لإثارة الحسرة في قلوب أهليهم واستجاشة مشاعر الأسى والأسف على فقدهم في المعركة - نتيجة لاختيارهم جانب المقاومة والجهاد- والإيحاء إليهم بأنهم وقعوا ضحية لسوء القيادة ورعونتها وطيشها حيث ألقت بهم في هذه المهلكة؛ لينفضوا من حولها، فقالوا لهم كما قال إخوانهم من قبل ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ (آل عمران - 154) وقالوا أيضاً ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران - 156) وقالوا ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران - 168) وهذه أقوال أهل النفاق والذين في قلوبهم مرض في عهد النبي ﷺ وهي ذاتها تتكرر اليوم والمعركة دائرة، ونسمعها بين الفينة والأخرى من هنا وهناك، من كاتب أو صحفي أو محلل أو سياسي أو غيرهم، لتثبيط العزائم وإثارة المواجع وإشاعة البلبلة والخلخلة وإيقاع الهزيمة النفسية بالمقاومة، وهؤلاء جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره كما يقول الشيخ السعدي (1) وربما تجول هذه الهواجس والوساوس في خاطر بعض المجاهدين أنفسهم أو قد تجري على لسانه عفواً في لحظة ضعف.

ولا بد في مثل هذه الظروف من مواجهة هذه الحرب النفسية، وإبطال هذا المكر السيئ للمؤسسة الجهادية وأبنائها، لأنه قد يترك في صفوف المقاومة وقاعدتها الشعبية الظهيرة لها آثاراً سلبية أشد من أثر الطائرات والدبابات والبارود والنار، وقد يفتُّ في عضد المقاومة، ويوهن قدراتها الدفاعية أكثر مما يؤثر فيها أي شيء آخر. وهو ما اتخذه القرآن الكريم عقيب غزوة أحد في مواجهة الحرب الإعلامية التي شنتها قريش من جهة والمنافقون من داخل الصف المسلم من جهة أخرى، وقامت الآيات القرآنية بعرض الحدث الجلل واستخلاص العبر والسنن وتسليط الضوء على أسرار الابتلاء بالقتل والقرح والألم والحكمة منه، والرد على تلك الحرب النفسية وتفنيد الأقوال والدعاوى الفاسدة التي انطلقت بها ألسنة هؤلاء.

عوامل الثبات عند الابتلاء

- أن يعلم أهل الجهاد والرباط والقاعدة الشعبية التي تحتضنهم وتساندهم أنه لن يصيبهم إلا ما كتب الله لهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم؛ لقوله تعالى ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ . قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:٥٠-٥١) ومن ثم فإن أصحاب عقيدة القدر يتحلون بالتوازن والسكينة والانضباط العاطفي في الشدة والرخاء. وفي كل حال، فهم لا يتلقون الضراء بالجزع والفزع كما أنهم لا يستقبلون السراء بالزهو والفرح، ولا يتحسر أحدهم أنه لم يصنع كذا ليدرأ عن نفسه كذا، أو أنه لو فعل كذا لاستجلب من النفع كذا وكذا بعد وقوع الأمر وانتهائه! فمجال التقدير والتدبير والرأي والمشورة كله قبل الإقدام والتحرك؛ فأما إذا تحرك بعد التقدير والتدبير -في حدود علمه ووسعه وإمكاناته- فكل ما يقع من النتائج بعد ذلك فهو يتلقاه بالطمأنينة والثقة والرضا والتسليم، ويقول كما علمنا الرسول ﷺ (قدر الله وما شاء فعل) (رواه مسلم) موقناً أنه وقع وفقاً لقدر الله وتدبيره وحكمته ومشيئته؛ وأنه لم يكن بدٌّ من أن يقع كما وقع (٢) ففي صحيح مسلم «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» وهذا يعطي حركة الجهاد التوازن والانضباط والثقة والثبات والاستقامة على الطريق حتى نهايته دون حيدة أو انحراف. فأما الذي يفرغ قلبه من هذه المعاني، ويخلو من العقيدة السليمة والتصديق بالقدر والتسليم له فهو في قلق وحيرة واضطراب أبداً، ويستهلك أوقاته وجهده وأعصابه أبداً في «لو» و«لولا» و «ليت».

-ولا بد أن نعلم أن أمر هذه الحياة لا ينتهي بالموت أو القتل: فالحياة في الأرض ليست آخر الشوط ولا نهاية المطاف، ومتاعها ليس خير المتاع ولا غاية النعيم. فالموت أو القتل في سبيل الله في الاعتبارات الشرعية خير من الحياة وخير مما يجمعه الناس في الحياة من مال أو جاه أو سلطان أو متاع هو في الاعتبارات البشرية أكبر المكاسب وأعلى الغايات. وإذا كانت الحياة في نظر الكافرين هي هذه الدنيا، تذهب بجيل وتأتي بآخر، ... الأرحام تدفع والأرض تبلع، وكما قال عز وجل على لسانهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (الجاثية-٢٤)، ولأن الحياة في نظر الكافر هي الدنيا وحدها أو الجزء المحسوس منها فهي فرصته الوحيدة ولذلك يحرص الكافر على حياة، أي حياة. ويودُّ أحدهم لو يعمر ألف سنة، لكن نظرة الذين يؤمنون بالله ويرجون الآخرة تختلف، ويختلف

● مدرس تربية إسلامية في الكويت

تبعاً لذلك الحساب والتقدير، ولذلك أمر الله رسوله أن يقول للمشركين وإخوانهم من المنافقين في معرض الرد على حربهم النفسية ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ (التوبة-٥٠-٥٢).

ومن عوامل الثبات وهو سلوة للمصاب أن يعلم أنه لا مفر من الجراح والآلام والقتل؛ لأن من شأن القتال أن تَقتل وتُقتل، وهي سنة الله في الصراع، والمتدبر في السيرة النبوية يعلم هذه الحقيقة الكبيرة، فلم يسلم الرسول ﷺ وأصحابه من الجراح والقتل، ففي غزوة أحد فجع ﷺ بسبعين من أصحابه وعلى رأسهم عمه وأخوه من الرضاعة وحبيبه وتربه حمزة أسد الله وأسد رسوله، وبقرت هند بنت عتبة عن بطنه حتى أخرجت كبده، ولاكتها، ومُثِّل به فجُدعَ أنفه وأذناه. وكسرت رباعية الرسول ﷺ وشج وجهه وأرهقه المشركون، وهمّ المشركون بقتله، وكادوا يصلون إليه لولا عصبة من أصحابه بذلوا في سبيله المهج، منهم سعد وطلحة الخير.

ومن عوامل الثبات أيضاً أن نعلم خصال الشهيد ودرجاته عند الله وما أعد له من الكرامة والأمن والوقار، كما قال تعالى ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أي: لن يذهبها بل يكثرها وينميها ويضاعفها. ومنهم من يجري عليه عمله في طول برْزَخه (٣)، كما ورد بذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، من حديث قيس الجذامي، قال: قال رسول الله ﷺ «يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ، يُكَفَّرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ» وحديث آخر عند أحمد أيضاً ورواه الترمذي وصححه ابن ماجه، عن المقدام بن معد يكرب الكندي قال: قال رسول الله ﷺ «للشهيد عِنْدَ اللهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ» .

البعض يتخذ من مقتل الشهداء وآلام الجراح مادة لإثارة الحسرة في قلوب أهليهم واستجاشة مشاعر الأسى والأسف

ومن الأسباب المعينة على الصبر وعوامل الثبات على فتنة القتل أن قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار وأن قتلانا مضوا إلى ربهم شهداء بررة يأتسي بهم الناشئة، ويسير على دربهم الشباب، فإن يك قد قتل من أبناء الحركة الإسلامية هذا الجم الغفير فإن الله تعالى سيعوض الحركة الإسلامية أضعاف أضعاف من فقدناهم، وما زال علماؤنا يعلموننا أن في المحنة منحة، ولا يسعنا إلا أن نقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم اجرنا في مصيبتنا وعوضنا خيراً منها.

ومن مواقف السيرة التي تشهد لهذه المعاني أنه بعد غزوة أحد شن أبو سفيان بعد نهاية المعركة حرباً نفسية وإعلامية ضد المسلمين، فقال مزهواً بانتصاره «يوم بيوم بدر يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر حنظلة بحنظلة وفلان بفلان وفلان بفلان» فرد عليه رسول الله ﷺ قائلاً «لا سواء، أما قتلانا فأحياء يرزقون، وقتلاكم في النار يعذبون».

كل ما تقدم هو من أصول الإيمان وأسس العقيدة الإسلامية، ولا يتحقق الإيمان إلا به، وهو لو تدبرته «القدر» الذي يجب التصديق به، ولا يدخل العبد الجنة إلا بالإيمان به، عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال «يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (رواه الترمذي).

وفي أجواء المحنة عندما يستحرُّ فينا القتل، ونثخن بالجراح، ونعيش أجواء الحصار والنار، فإن مما يخفف من الصدمة أن نعلم أن من سنة الله: مداولة الأيام بين الناس، وأن القتل لا يقع في صفوفنا فقط بل يصيب عدونا أيضاً، ونحن أحقُّ بالصبر وأولى، كما قال سبحانه ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران-١٤٠) وقوله أيضاً ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء-١٠٤).

وأخيراً فإن من الضروري أن نعلم أن الابتلاء بالشدة محك لا يخطئ وميزان لا يظلم، وأنه ضرورة لكل جماعة: ليتميز الصف، ويتكشف عن: مؤمنين ومنافقين، ويظهر هؤلاء وهؤلاء على حقيقتهم، ويعلمهم الناس، ويزول به عن الصف الغبش والدخل وتزول الخلخلة والاضطراب من صفوف الجماعة، كما قال سبحانه ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران-١٧٩) وقد ظهر هذا واضحاً في المحنة الراهنة التي تعيشها غزة خاصة والأمة عامة. وتفصيل ذلك يطول ولنقتصر على هذا القدر في عرض أساليب القرآن الكريم في مواجهة الحرب النفسية وعوامل الثبات عند الابتلاء بكثرة القتل، ولولا خوف الإطالة لبسطت من ذلك ولكن فيما تقدم منه الكفاية والحمد لله.

الهوامش

١- تفسير السعدي - مؤسسة الرسالة - ط١- ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م - ج ١ / ص ١٥٦

٢- انظر: في ظلال القرآن - تفسير قوله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران-١٥٦)

٣- تفسير ابن كثير- دار طيبة للنشر والتوزيع - ط٢ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - ج ٧ / ص ٣٠

الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم

د.عبد الستار سعيد

إن الإعجاز معناه سبق الشيء لغيره سبقاً بالغاً، بحيث يصير هذا الغير عاجزاً عن إدراكه لحاقاً به، أو سباقاً له، ومنه «معجزات» الأنبياء عليهم السلام، التي يظهرها الله تعالى بقدرته المطلقة، خارقة للعادة، فتعجز المخلوقات جميعا عن الإتيان بمثلها، فإذا تعلق الأمر بالتشريع أو اختيار المنهاج الصحيح للبشر كان الإعجاز أظهر وأغلب، رغم الجدل البشري العقيم طوال التاريخ! وهذا إجمال يحتاج إلى بيان، وقد فصله القرآن الكريم تفصيلاً بديعا واسعا، نذكر بعضه فيما يلي:

أولاً: الخلق والهداية الإلهية

فقد خلق الله عز وجل كل شيء وقدره تقديراً، وهدى كل مخلوق إلى وظيفته النوعية، وإلى غايته العامة، وجعل لذلك سبلا كثيرة، منها الفطرة التي فطر الأشياء والأحياء عليها، ومنها الوحي الإلهي، ومنها التعليم والتجارب، قال تعالى ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾ (الأعلى:١-٣).

ولذلك كان الوحي الإلهي بالنسبة للإنسان ضرورة لازمة، ونعمة سابغة؛ لأنه يعلمه حكمة حياته، ومهمة وجوده، وغاية خلقه، ومنتهى مصيره، ويصونه عن عبثية الخلق، وبطلانه!

ومن أجل ذلك كانت الشريعة الإلهية للإنسان بمثابة الروح التي تحيي الموات، والنور الذي يضيء الظلمات، والهداية التي تنقذه من الضلالة والضياع، وتدله على الصراط المستقيم، حين يتشابه عليه الأمر، وتتفرق به السبل!!

ثانيا: النبوة من البداية إلى النهاية

وقد جعل الله تعالى النبوة مفتاح الوحي الإلهي، وطريق البلاغ المبين لهذه النعمة الإلهية، منذ فجر التاريخ البشري، ثم في كل مراحله التالية، ثم في ختامه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها.

وقد كانت النبوة الأولى مقترنة بخلق الإنسان، فاصطفى الله تعالى آدم عليه السلام لهذه النبوة، وعلمه الأسماء كلها، وبعثه بدينه وشريعته إلى أولاده وأحفاده، وجعل ذلك ناموس الحياة البشرية وقانونها الدائم، كما قال تعالى لآدم عليه السلام من أول الطريق في الأرض: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ (طه: ١٢٣- ١٢٤).

ثم جاءت النبوة الوسيطة ابتداء من إبراهيم عليه السلام، لأن البشرية كانت قد تطورت إلى مرحلة الدولة والحكومات المنظمة في العراق، ومصر، والشام، وغيرها من أقطار الأرض، فبعث الله تعالى لهم الرسل.

ثم أتم الله الأمر لعباده بالنبوة الخاتمة على يد محمد ﷺ، لتمتد دعوته ورسالته إلى العالمين جميعاً، وإلى يوم القيامة.

وفي كل هذه المراحل ما خلى الله تعالى الأرض، والأمم، والشعوب من دعوته ورسالته لهم بشريعته الدائمة إليهم، قال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى- ١٣)، وقال ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (النحل- ٣٦).

ثالثا: معجزات الأنبياء

النبوة: محض هبة من الله تعالى، لا تنال بالكسب الذاتي مهما اجتهد الإنسان، وهي حجة الله على الناس؛ ولذلك حماها الله عز وجل من الدجالين والكذابين، بأن جعل لكل نبي آية معجزة يظهرها على يديه، تصديقاً له في دعواه، وكأنه تعالى يقول حينئذ: «صدق عبدي فيما يبلغه عني».

والمعجزة: أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد من يدعي النبوة، تصديقاً له، وتمييزاً للمحق من المبطل في هذا الأمر الخطير، الذي يترتب على الصدق فيه وجوب الإيمان بالرسول، وبما أوحي إليه من ربه، ووجوب الطاعة والانقياد في كل شؤون الحياة.

ولذلك لا تكون المعجزة إلا من الله تعالى، ولا تكون قابلة للتكرار إلا بإذن الله تعالى وبأمره، قال تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط...﴾ (الحديد- ٢٥).

والآيات الكريمة تسمي المعجزة بأسماء عديدة، ذات دلالة موحية بالمراد منها مثل: «البينات»، و«السلطان»، و«الآية»، وكلها تعطي معنى الظهور البالغ، والحجة القاهرة، والعلامة الدالة على القدرة الخارقة، وهذا يؤهلها لمعنى السبق الفائق الذي لا يلحق ولا يسبق في بابه، مما يؤدي إلى العجز التام عن مواجهتها، فيكون العجز أبلغ دليل على إعجازها.

رابعا: المعجزات الحسية والمعنوية:

وقد أخبر الله تعالى في كتابه الكريم بالكثير من معجزات الأنبياء عليهم السلام بأعيانها وأوصافها، وهي نوعان

١- المعجزات الحسية:(١)

أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر وأم القرى سابقا

وهـي الخـوارق التـي تـرى بالأبصار، أو تلمس بالأيدي، أو تـدرك بالحواس؛ لتكون بينة ظاهرة، لا يماري فيه إلا المبطلون المجادلون، وذلك مثل ناقة صالح التي خرجت من الصخر أمام العيون، وكانت تشرب المياه، وتعطي لبناً غزيراً يكفي القبيلة الكبيرة؛ لذلك يقول الله عنها ﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾(الإسراء- ٥٩) أي ناقة حية ذات بصر، ترى الناس ويرونها، وذات دلالة على قدرة خالقها، وصدق رسوله صالح عليه السلام.

ومثل عصا موسى عليه السلام التي يراها الناس جميعاً في يده، فإذا ألقاها صارت ثعباناً مبيناً هائلا، ومثل يد موسى عليه السلام التي يخرجها من جيبه فتكون في غاية الضياء والبياض من غير مرض ولا برص ﴿فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ (الأعراف: ١٠٧- ١٠٨).

٢ - المعجزات المعنوية

كالإخبار بالغيوب، وتعليم الشرائع الحكيمة التي لا يستطيعها البشر، كما سنبين إن شاء الله، وإقامة الحجج والبراهين القاطعة على صحة الحق، وإبطال الباطل، في مناقشة الأفكار، ومحاورة الناس... الخ.

وهذا لم يقع مجتمعاً في كتاب واحد - يتحدى الكفار، ويصدق الرسول ﷺ - إلا في القرآن العظيم، وقد طلب المشركون من الرسول ﷺ - عناداً - أن يأتيهم بآية حسية مثل الرسل السابقين ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ (الأنبياء- ٥).

الشريعة الإلهية للإنسان بمثابة الروح التي تحيي الموات وتهديه للصراط المستقيم

المعجزة العظمى.. القرآن

وقد ردّ الله عليهم: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ (الأنبياء -١٠)، بل بيّن لهم سبحانه وتعالى أن هذا الكتاب هو الآية الكبرى، والمعجزة العظمى التي تحمل للناس جوامع الآيات والمعجزات، قال تعالى ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين. أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم...﴾ (العنكبوت: ٥٠- ٥١)، ويقول سبحانه وتعالى ﴿ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً﴾ (الرعد: ٣١) وجواب لو محذوف يدل عليه المقام، والمعنى: لكان هذا القرآن.

وقد كذب الكفار الأولون والآخرون بالمعجزات الحسية جهلاً وعناداً، وجاءت معجزة القرآن كافية شافية فكان لها من الآثار والأسرار، والإقناع والإبلاغ، ما لا نظير له في العالمين.

وهذا القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله ﷺ هو المعجزة الكبرى التي تثبت صدقه في دعواه النبوة، وتكليفه بالرسالة، وهو الآية العظمى التي وقع بها التحدي المرة تلو المرة، فعجز الناس أن يأتوا بمثل القرآن، أو بسورة من مثله، فكان هذا العجز هو أبلغ دلائل الإعجاز، والتفرد بالسبق والامتياز.

خامساً: وجوه الإعجاز القرآني

حين بعث محمد ﷺ لم تكن معه قوة، ولا كثرة، ولا مال، وإنما كان وحيداً، في مواجهة خصوم غلاظ شداد، فلما قرأ عليهم القرآن، أدركوا فوراً أنهم أمام طبقة عليا من الكلام، تجاوز ما عهدوه من فنون القول نثراً وشعراً، مع ما تحمله من معان عليا وآفاق رحيبة، فانبهروا انبهاراً، فمنهم من آمن به، ومنهم من صد عنه حمية، أو جهلا وعناداً، ومضى القرآن يتنزل يدعوهم إلى الحق، ويتحدى المعرضين ويجادل المعارضين، ويقيم الحجة والبرهان على صدق الرسول، وبطلان الشرك، وكان هو السلاح الحاسم مع رسول الله ﷺ، كما قال له الله تعالى ﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ (الفرقان - ٥٢).

وكان القرآن من القوة والتأثير بحيث استنطق الكفار بغاية إعجابهم به، مع كفرهم وعنادهم.

فهذا الطفيل بن عمرو الدوسي يقول حين سمع بعضه من رسول الله ﷺ قبل أن يسلم: «إن هذا الكلام ليخرج من قاموس البحر» (١) والمراد من أعماق البحر كاللؤلؤ ونحوه.

سر الإعجاز في القرآن العظيم؟

وما السبب أو الأسباب التي تجعل هذا الكتاب الغلاب شيئاً متفرداً سباقاً لا يعلو عليه قول أو فكر، أو مذهب؟!

لقد أدرك المسلمون الأولون ذلك بسليقتهم العربية، وفطرتهم الإيمانية، فآمنوا بذلك إيماناً وثيقاً بلغ بهم ذروة اليقين، حتى خرجوا بسبب هذا الإيمان جهاداً في سبيل الله، وابتغاء مرضاة الله، وبذلوا أرواحهم وأموالهم ليكون هذا الحق باطنهم وظاهرهم، وواقع حياتهم، ثم أنفق العلماء من بعدهم أعمارهم وجهودهم، ليستخرجوا للناس الجواب عن أسرار الإعجاز الجليل في القرآن العظيم، فقالوا خيراً كثيراً:

١- فمنهم من قال كلاماً عجيباً، يملأ القلوب مهابة وإجلالا، وخلاصته: أن الإعجاز شيء حقيقي موجود، يدرك ولا يمكن وصفه او التعبير عنه مستقلا منفردا، كالحلاوة



في السكر، والعذوبة في الماء.
يقول أبو حيان التوحيدي رحمه الله: لم اسمع كلاماً ألصق بالقلب، وأعلق بالنفس من فصل تكلم به بندار بن الحسين الفارسي - وكان بحراً في العلم - وقد سئل عن موضع الإعجاز من القرآن، فقال: هذه مسألة فيها حيف على المعنى، وذلك أنه شبيه بقولك: ما موضع الإنسانية من الإنسان؟ فليس لها موضع من الإنسان، بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته، ودللت على ذاته، كذلك القرآن لشرفه، لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه، ومَعجَزة لمحاوله، وهدى لقائله، وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه، وأسراره في كتابه، ولذلك حارت العقول، وتاهت البصائر عنده (٢).

٢- ومنهم من اجتهد في تحديد الوجوه، وتسمية الأسباب، وإبرازها في قوالب علمية معلومة، أو قواعد ذات أصول وفصول، وضوابط يمكن حفظها، وتعلمها، وتعليمها، قال ابن سراقة رحمه الله: اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن، فذكروا في ذلك وجوها كثيرة كلها حكمة وصواب، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره، فقال قوم هو الإيجاز مع البلاغة، وقال آخرون هو البيان والفصاحة، وقال آخرون هو الرصف والنظم... الخ(٣).

٣- وقد أطنب بعض العلماء في عد هذه الوجوه حتى جاوز بها ثلاثين وجهاً، كما فعل الإمام السيوطي في كتابه الشهير: «معترك الأقران في إعجاز القرآن»، ومن هذه الوجوه:

الأول: العلوم المستنبطة من القرآن الكريم.

الثاني: كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان، محروساً من التبديل والتغيير على مر الزمان.

الثالث: حسن تأليفه، والتئام كلمه وفصاحتها، وإيجازه، وبلاغته الخارقة لعادة العرب... الخ.

الرابع: مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني...

الخامس: ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات.

السادس: روعته وهيبته.

السابع: اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة... الخ.

سادساً: الجوامع الثلاثة لوجوه الإعجاز

وعند التحرير والتحقيق العلمي الدقيق، نجد هذه الوجوه الكثيرة تقوم على ثلاثة أصول جامعة، تضم كل الوجوه الجزئية المتشابهة، والمتفرقة، وهي بإيجاز:

الوجه الأول: الإعجاز البلاغي البياني

ويدخل فيه فصاحة الألفاظ، وجودة المعاني، وبراعة الأسلوب، وسائر ما يتصل بهذا الباب.

الوجه الثاني: الإعجاز الخبري الغيبي

ويدخل فيه كل إخبار بالغيب ورد في القرآن الكريم، ابتداء من الغيب السحيق الذي لا يعلمه أحد إلا الله تعالى، مثل خلق العرش والماء، ثم خلق السموات والأرض في ستة أيام، ثم خلق الأحياء كالملائكة والجن، ثم خلق آدم عليه السلام، وإسكانه الجنة، وطرد إبليس، ثم أكل آدم من الشجرة التي نهي عنها، وإهباطه إلى الأرض... الخ.

ويدخل في هذا النوع قصص الأنبياء مع أممهم، وما يسمى الآن بالإعجاز الغيبي، وهو على سعته في القرآن مسوق للدلالة على قدرة الله، وتفرده بالخلق، ودعوته للناس.

ويدخل فيه الإخبار بغيب الحاضر وقت نزول القرآن، وهو كثير جداً في الكتاب العزيز، وسورة التوبة مليئة بهذا على سبيل المثال.

ويدخل فيه الإخبار بغيب المستقبل مثل الدابة، والقيامة، وأحوالها، ومشاهدها، ومحاورات أهل الجنة وأهل النار.. وغير ذلك كثير جداً.

وهذان النوعان كتب فيهما العلماء ما لا يحصى من الكتب والرسائل.

ما الأسباب التي تجعل هذا الكتاب شيئاً منفرداً سباقاً لا يعلو عليه قول أو فكر أو مذهب ؟!

الوجه الثالث: الإعجاز التشريعي

وهو وجه الوجوه في إعجاز القرآن الكريم، وقد أشار إليه العلماء في عدّ الوجوه إشارات واضحة، ولكن لم يتابعوا ذلك بالتأصيل، والتفصيل، والاستيعاب كما فعلوا في الوجهين الأول والثاني، وقد تعجبت من ذلك أشد العجب، إذ لا أجد في المكتبة الإسلامية إلى الآن كتباً مفردة جامعة تبحث في «الإعجاز التشريعي» بحثاً شاملاً جامعاً، وتبرز أسراره وآثاره، كما فعل العلماء في الإعجاز البلاغي، والغيبي بكثرة كاثرة، واستفاضة واضحة، ومن أوضح الإشارات «للإعجاز التشريعي» قول الإمام الخطّابي (توفي ٣٨٨ هـ) في كتابه «بيان إعجاز القرآن»: «إن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ، في أحسن نظوم التأليف؛ مضمّناً أصح المعاني من توحيد الله تعالى، وتنزيهه في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان لمنهاج عبادته في تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ومن وعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق، وزجر عن مساويها، واضعاً كل شيء منها



موضعه الذي لا يُرى شيء أولى منه، ولا يُرى في صورة العقل أمر أليق به منه...».

وهذا تماماً ما نعنيه بالإعجاز التشريعي، ولكنه يحتاج إلى بسط وبيان كالتالي:

١- المراد بالشريعة والتشريع

الشريعة في اللغة العربية: مورد الماء، والتشريع إيراد الإبل مورد ماء سهل ميسر لا يحتاج إلى آلات، وهو أيسر السقي.

ولذلك سميت الأحكام الإلهية «شريعة وتشريعاً» لأنها مورد تستقى منه المبادئ والأحكام في يسر وسهولة، وبلا معاناة أو بلا تقلب في التجارب التي قد تعرض الإنسان للمهالك، وقد سمَّى الله تعالى مجموع هذه المبادئ والأحكام بأسماء محددة ومميزة، منها الدِّين، والإسلام، والشريعة، والمنهاج. قال تعالى ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً...﴾ (الروم- ٣٠).

وهذا الدين المسمى بهذه الأسماء هو دين الله لعباده في كل العصور، جاء به كل رسول لأمته، وجاء به محمد ﷺ للناس جميعاً؛ ولذلك كان ديناً واحداً لأن مصدره واحد ﴿كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم﴾ (الشورى- ٣). واتفق فيه الرسل في كل الأصول إلا ما اقتضت حكمة الله أن يتفاوتوا فيه ليناسب زمان كل منهم من الأحكام الفرعية. فاتفقوا في العقائد والأخلاق جميعاً بلا أدنى تفرقة. واتفقوا في أصول العبادات والمعاملات. وتفاوتوا في صور العبادات والمعاملات فقط. فالصلاة مثلاً ذات ركوع وسجود عند الجميع، ولكن تتفاوت الهيئات والأعداد فقط، والصيام كتب علينا كما كتب على من قبلنا، وتتفاوت الأحكام في زمانه وأعداده ومقاديره فقط، وكذلك الزواج، والبيع وغيرهما من المعاملات.

قال تعالى ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ (الشورى- ١٣)، وقال تعالى ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين. قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ (الأنعام: ١٦١- ١٦٢).

الأحكام الإلهية سميت شريعة وتشريعاً لأنها مورد تستقى منه المبادئ والأحكام في يسر وسهولة

٢- إعجاز الشريعة الإلهية في كل العصور

ويتضح مما سبق أن الإعجاز صفة ذاتية ثابتة لشريعة الله تعالى في كل العصور لأن الله تعالى هو الذي شرعها ابتداء، فهي كما قال تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ (النمل- ٨٨).

ولأنه سبحانه وتعالى متصف بالعلم المحيط؛ لذلك يشرع على غاية الحكمة وحسن الاختيار، فهو لا يأمر فيها إلا بكل خير، ولا ينهى فيها إلا عن كل شر، ولا يحيط الشارعون من دون الله تعالى بهذه الأسرار، ومن ثم يتخبطون في الضلال.

- ولذلك سمى الله شريعته من أول الطريق «هدى» كما مر في الآيتين من سورة طه، لذلك لا يضل من اتبعها، ولا يشقى من لزمها، ومن أعرض عنها واتبع الأهواء والبدع البشرية وقع في ضنك الدنيا والآخرة جميعاً.

- وفي النبوة الوسيطة يقول تعالى عن شريعته ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾ (المائدة- ٤٤). ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ (الأعراف- ١٤٥).

والفارق بين النبوة الخاتمة وما قبلها يتضح فيما يلي:

أن الرسل السابقين بعثوا بمعجزات حسية، وقع بها التحدي لإثبات دين الله وشريعته، ولم يقع التحدي بالكتب السابقة، ولا بالشريعة الهادية مع أنها معجزة في ذاتها.



وفي النبوة الخاتمة جمع الله تعالى بين الدليل والمدلول عليه، وجعل الشريعة في ذات الكتاب الذي هو معجزة التحدي وإثبات الرسالة، فصار الإعجاز مركباً، ترادفت فيه معجزة الشريعة بمصدرها وبذاتها، ومعجزة القرآن بمصدره الأعلى، وفي ذاته، ومعجزة الرسول الأمي الذي جاء به، ومعجزة الحفظ والصيانة والاستمرار في حاضر نزوله، وفي مستقبل زمانه إلى يوم الدين.

وهذه أمور اقتضاها ختم الرسالة بمحمد ﷺ، ووجوب استمرار قيام حجة الله على الناس بعده ﷺ، وضرورة معرفة الناس بشريعة الله ودينه عبر العصور المقبلة، التي علم الله أنها عصور ستزدحم بالمذاهب والأفكار، والشك والإلحاد، ولا تقوم عليهم الحجة إلا بصوت النبوة الممدود، ونداء المعجزة الموصول، وبرهان الوحي المحفوظ، تماماً كما قال ﷺ «وكان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» رواه البخاري ومسلم.

سابعاً: أسباب الإعجاز التشريعي القرآني

لهذه الشريعة القرآنية أسباب بالغة، وأسرار جامعة متعددة، جعلتها ذروة في الإعجاز والامتياز منها:

أولاً: الأسباب الخارجية

ويعنى بها الأسباب الخارجة عن ذوات النصوص التشريعية، وإن كان لها أبلغ التأثير في إعجازها.

وأولها: مصدر الشريعة وهو الله رب العالمين، المتصف بكل صفات الكمال والجلال، والمنزه عن كل نقص وقصور، الذي ليس كمثله شيء في ذاته،

وصفاته وأفعاله، فمن بدهيات اليقين أن تكون شريعتة على أوفى ذروة من الكمال، والموازنة، والصدق، والحق، والعدل، كما قال تعالى ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ (الأنعام- ١١٥) أي صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وقال تعالى ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾(الفرقان- ٦)، وقال تعالى معللا انفراده بالحكم والتشريع: ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (الشورى- ١١)، أي أنه تعالى خلق، وبث الحياة على نمط الزوجية، فكل شيء له أشباه ونظائر إلا هو سبحانه ﴿ليس كمثله شيء﴾ في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، ومنها شريعة الهداية التي لا يملكها غيره، ولا يستطيعها سواه على وجهها المعجز، المبرأ من العيوب.

وثانيها: رسولها المبلغ الذي بعث بها، وهو الرجل الأمي، في أمة أمية، لم يجلس إلى معلم، ولم يقرأ كتاباً قط، ولبث في قومه عمراً طويلاً لم يشتهر بخطابة أو شعر، أو اشتغال بعلوم ودراسات ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ (العنكبوت- ٤٨)، وفجأة يأتيه الوحي الإلهي على رأس الأربعين، فيأتي بكل هذا القدر الهائل من الحكمة وفصل الخطاب، أو بكتاب يتحدى المكذبين، ويحاور أهل الفكر والنظر، ويناقض البيئة الجاهلية كل المناقضة، ويندد بأوثانها وشركها، ويجعل رأس دعوته التوحيد الخالص، ويستنكر قبائح الجاهلية من الزنى، والربا، والتطفيف، ووأد البنات، ثم يتعرض - وهو لا يزال مستضعفا في مكة - لنقد أهل الكتاب قبله، فيندد بتحريفهم الوحي الإلهي في أخص تعاليمه وهو التوحيد، ويكشف جنايتهم على دين الله عز وجل قبل آخر أنبياء بني إسرائيل وبعده وهو عيسى عليه السلام، ويظل يأتي بحقائق الحق، وشرائع الصدق، حتى أنزل الله تعالى عليه هذه الآية الجامعة قبل موته بأشهر معدودة: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾ (المائدة- ٣) أي شريعة أكمل الله تعالى صفاتها، وأتم إعدادها وأحكامها، ورضيها للناس ديناً قيماً معجزاً، لا يتسرب إليه عوج ولا خلل، ولا يستطيعها البشر مجتمعين، وينسبها محمد ﷺ إلى مصدرها الأعلى بأصرح عبارة، فيكون بحاله ومقاله أبلغ دليل على هذا الإعجاز المبين.

ثانياً: الأسباب الذاتية الداخلية:

ونعني بها أسباب الإعجاز التي ترجع إلى ذات النصوص التشريعية، وتتصل بصميم ألفاظها ومعانيها، وإحاطتها وصياغتها، وتفردها بالسبق في كل موطن توضع فيه موضع المقارنة والموازنة، أو تقاس فيه بمقاييس الصلاحية، وجليل الآثار.

وهذا باب واسع جداً لم يعطه الباحثون حقه من التأصيل والتفصيل، ولا يتسع له مقال مهما طال، وحسبنا هنا أن نذكر بعض جوامعها التي هيأ الله تعالى بها هذه الشريعة للإعجاز والتفوق، خاصة في نسختها القرآنية الخاتمة، ومن ذلك:

الشمول التشريعي

والمراد بالشمول: العموم والاستيعاب والإحاطة، والمعنى: أن شريعة الله تعالى لعباده هي شريعة كلية، وليست قاصرة على جانب دون غيره من جوانب الحياة البشرية، بل تستوعب شؤون الحياة جميعاً، الظاهرة والباطنة، المادية والمعنوية، القولية والفعلية، بل تمتد إلى أغوار النفس البشرية؛ لتنظيم النيات والضمائر التي هي بواعث السلوك الإنساني العجيب.

وقد قام هذا الشمول التشريعي على أربع شعب رئيسية، تستوعب الوجود الإنساني من كل أطرافه، وهي:

أولا: شعبة الإيمان

وهو التصديق الجازم، واليقين التام بالله عز وجل، وصفاته، وأسمائه، وأفعاله على الوجه الذي فصلته هذه الشريعة الربانية، ثم التصديق باليوم الآخر، والملائكة والكتاب، والنبيين على تفصيل واسع النطاق في كل أصل منها.

وهذه العقيدة كلها حق وصدق، ولا مدخل فيها للأساطير التي اخترعتها شياطين الإنس والجن، وهي تملأ باطن الإنسان طمأنينة وسكينة، ويقوم عليها ما بعدها من شؤون الحياة جميعاً، وسلوك الإنسان قاطبة.



ثانياً: شعبة الأخلاق

وهي السجايا النفسية التي يصدر عنها السلوك البشري، ولذلك حددتها شريعة الله تعالى، وأمرتنا بأحسن الأخلاق، ونهتنا عن سيئها، كالأمانة، والصدق، والصبر، والعفة في النوع الأول منها، وكالخيانة، والكذب، والهلع، والكبر، والغدر في النوع الثاني.

ثالثاً: شعبة العبادات

كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والعمرة، وغير ذلك من العبادات المحددة شرعاً، أو المطلقة كالذكر وعبادة التفكر، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة مفصلاً.

رابعاً: شعبة المعاملات

وهي التصرفات التي تقع بين الناس في شؤون حياتهم الاجتماعية، والأسرية، والاقتصادية، والتعليمية، وفي علاقات السلم والحرب، وغير ذلك مما جاءت به الشريعة على غاية التفصيل، والتحديد، والتبيان.

لقد استوعب الوحي الإلهي شؤون الحياة جميعًا، وجعل للإنسان في كل حال من أحواله حكماً يتصف بكل ضمانات الحق،



والصدق، والعدل، والمصلحة، ودفع المضرات، واختيار الأكمل له في كل مواطن الاختلاف والاشتباه، وهذا إنجاز لما تفرق من عناصر الامتياز، وهو إعجاز فوق الإعجاز، ولو اجتمعت الإنس والجن لا يأتون بمثل هذا النظام التشريعي الفذ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وكان لذلك من جلال الحكمة الإلهية أن الله تعالى ختم آيات التشريع جميعاً بكلمات معجزة، واختار لنزولها جوامع المناسبات: زمانا، ومكانا، وتاريخاً، وعيداً وجموعاً، فقال تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا...﴾ (المائدة- ٣).

والآية الكريمة شهادة ربانية في ختام هذه الشريعة الشاملة: بإكمال كل حكم فيها فلا يلحقه نقص في صفات جودة الكيف، وبإتمام أعدادها المطلوبة لكل شؤون الحياة فلا تنقص عن شيء من أعداد الكم، ثم تتويج للشهادة بأنها نعمة يرضاها رب العزة والجلال، وهو وصف - لو يعلم الناس - عظيم من منشئ هذا الهدى، ومعلمه، وموحيه إلى رسوله ﷺ وهي ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون﴾ (التوبة- ٣٣).

فإذا استصحبنا هذه الأصول دائماً وهي: ربانية المصدر، وشمول الشريعة التي أنزلها بشعبها الجامعة، وشهادته سبحانه وتعالى في ختامها بإكمالها، وإتمامها، ورضاه عنها، لكان ذلك تأكيداً جامعاً، وبرهاناً قاطعاً، وحجة بالغة على تفرد هذه الشريعة بكل ضروب السبق، والامتياز، والإعجاز.

ومن هنا تتبع عشرات المعجزات، والخصائص، والأسباب التي نبين بعضها تتميماً لما سبق في إيجاز:

- الصحة والاستقامة

فكل أحكامها صحيحة لا خطأ فيها، ومستقيمة لا اعوجاج فيها، ولذلك فهي شريعة معصومة من الخطأ، والخلط، أو القصور عما شرعت له بشروطه، ومعصومة عن الزيادة والنقصان؛ لأن كلاً منهما ظلم في الحكم، ولذلك وصف الله دينه بالاستقامة، ونزهه عن الجور، ورتب أحكامه جميعاً على هذا الميزان الدقيق، قال تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ (الأنعام- ١٥٣). وقال تعالى ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾ (النحل- ٩).

الوسطية وموافقة الفطرة

والمراد بها الخيرية التي يعلمها الله تعالى في الأشياء كما قال تعالى ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ (البقرة- ٢١٦)، فهو يعلم الأسرار كلها، وهو الذي يهدي للتي هي أقوم، والتي هي أحسن وأفضل، ولا يدخل عليه سبحانه وهم ولا خداع، ولا يحكم على الأشياء بظواهرها أو زخارفها، وإنما بحقائقها، وما فيها من حق وضده الباطل، ومن خير وضده الشر، ومن مصالح ترجح ضدها من المضار، وليس المقصود المتوسط الحسابي. أو الزماني، أو المكاني، وإنما المقصود تشريع ما فيه الخير، والبعد عن الشر، في كل شُعَب الدين التي شرعها لعباده سبحانه وتعالى.

فالله تعالى يأمر بالتوحيد؛ لأن الحق والخير والفلاح في هذا، وينهى عن الشرك؛ لأنه باطل وكذب وخسران.

والله تعالى أمر بالإنفاق على وجه الاعتدال لأن فيه خير الدنيا والآخرة، ونهى عن الطرفين المذمومين: الإسراف والبخل: فقال تعالى ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً﴾ (الفرقان- ٦٧).

وشرائع البشر أوقعتهم في سعار المادية تارة حتى صاروا وحوشاً شرهة للحرام، وزناً، وكيلاً، وتطفيفاً، وغصباً، ونهباً، وسرقة، وربا... الخ.

الثبات والمرونة

فكل ما علم الله ضرورته لعباده أمر به أمراً جازماً وثبته في شريعته، وكل ما علم الله ضرره المؤكد على عباده نهى عنه نهياً جازماً، وثبته في شريعته ولم يجعل لأحد خياراً في ذلك لما علمه من جهل الناس في كثير من الأحيان، وتقديمهم المضرة على المنفعة، كالخمر والزنا، والربا، والتدخين، وسفك الدماء، أو لما علمه من اتباعهم الهوى، وإيثارهم اللذة العاجلة ولو كانت قاتلة، أما ما عدا ذلك من الوسائل والأساليب فقد شرعها الله تعالى على وجه المرونة حتى تظل شريعته تدور على محورها في ثبات الأحكام أمراً ونهياً، وتمتد وتتجدد على محور المرونة فيما يتغير ويتطور حسب المكان والزمان، فمثلاً أمر الله تعالى بالشورى أمراً جازماً في كل شؤون الحياة، وجعلها قيمة إسلامية لازمة، وترك أساليب تطبيقها في الأسرة والمجتمع والحكومات والدول لاجتهاد أهل الحل والعقد بما يناسب زمانهم، وسيحاسبون عنده.

أعجوبة الدهر

تمتلأ الأرض بالعجائب، ولكن أم العجائب والغرائب جميعاً هو ما عليه المسلمون الآن، من إهدار لهذه المعجزة الربانية الباهرة، واتخاذهم القرآن المعجز مهجوراً، واستجلابهم قوانين الشرق والغرب المظلمة، التي جلبت عليهم خزي الدنيا وضنك الحياة:

ومن العجائب والعجائب جمة
قرب الخلاص وما إليه وصول
كالعيش في البيداء يقتلها الظما
والماء فوق ظهورها محمول

هوامش

١- انظر قصة إسلام الطفيل بن عمرو في كتب السيرة، وتنسب هذه الجملة أيضاً إلى ضماد الأزدي.

٢- البرهان للزركشي، ج ٢ ص ١٠٠ مع تصرف يسير في النقل للإفهام والشرح.

٣- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي، ج ٤ ص ١٤ تحقيق محمد أبو الفضل.

التلاقي الوطني حص

التقريب بين السنة والشيعة.. تحديات وفرص

كثيرا ما تعقد المؤتمرات والندوات حول الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، وتنفض عن توصيات وقــرارات تظل حبيسة أدراج تحجبها عن شق طريقها نحو أخذ خطوات عملية لتنفيذها في الواقع الذي يبقى بكل آلامه ودمائه محتدما ومشتعلا، وتظل روح العصبية في كلا الفريقين موجودة تذكيها محاولات تسنين الشيعة وتشييع السنة، واستعلاء الطائفية في كثير من بلاد المسلمين واستغلالها لتحقيق مآرب سياسية. ورغم دماء الأمة المراقة في غزة هاشم والتداعيات والتحديات الإقليمية التي ندعوا الله لأهلها بالنصر والتمكين على اليهود الغاضبين ، تطرح «الوعي الإسلامي» ملفها الشهري حول «التقريب بين السنة والشيعة.. تحديات وفرص»، كسبيل رائد لرص الصفوف وتقوية جبهتنا الداخلية لمواجهة استحقاقات المرحلة المقبلة بعناوينها المختلفة: التكتلات، الاندماجات، الاتحادات، وغيرها من مفردات الخطاب العالمي في القرن الحادي والعشرين.. نهجنا البحث عن الفرص وتشخيص الداء وتقديم نماذج مضيئة عسى أن تتوحد الجهود من أجل مستقبل أمتنا الذي تواجهه التحديات وتجرفه الأطماع العالمية. فهلا نلتقي.

إعداد: رضا عبد الودود


سامي محمد العدواني

لقد منَ الله على الكويت بمساحة من الانفتاح وأجواء من الأمن والحرية لمواطنيها التي كفلها الدستور، وأشاع هذا الجو حالة من الانتعاش الفكري والتنامي الطبيعي للأفكار والاتجاهات والمذاهب المتنوعة، حتى سادت حالة من التنوع والتعددية التي مبعثها السقف الوافر الذي أتاحته النظم والآليات التي استوعبت هذه الأخلاط والتباينات، وشكلت في مجملها عامل إثراء في الحالة الكويتية وباعث إشباع للحاجات الفكرية التي غالبا ما تؤدي إلى مزيد من اللحمة الوطنية والتماسك الاجتماعي في ظل أجواء السلم العفوي معتمدة على أسلوب العرض لا الفرض، والحوار لا الصدام، التزم الجميع بالنظام العام وروح الدستور الوطني.

المجتمع النبوي قام على أساس التنوع في الخلفيات والأصول، هذا المجتمع ظهر انصهاره في أكثر من موقف ومنها ما حدث يوم السقيفة مما رسخ دعائم الأمن وعزز أطر العلاقة الضابطة لإيقاع الحياة، وكم نحن بحاجة اليوم لمزيد من القراءة في المنهجية النبوية التي بنى عليها النبي ﷺ مشروعه وأقام بموجبها أركان الدولة العادلة القوية.

مبادئ الشراكة

ولأن متغيرات الأحداث في واقعنا تفرض مزيدا من التحوط في ظل تسارع الأحداث كان من الواجب أن ترسخ مبادئ جديدة يتعاهد عليها شركاء الوطن، وتتوافق عليها مختلف الانتماءات والمذاهب لينعم الجميع برغد البعيش وبحبوحة الأمن، فالله تعالى ما من على قريش بمثل ما امتن عليهم بنعمة الأمن والمطعم الهانئ، قال سبحانه في سورة قريش ﴿الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾ (قريش:٤)، ولعل من الواجب التنبيه، في ظل التجاذب الطائفي الذي تتزايد وتيرته من فترة لأخرى، على جملة من العناوين أجد من أهمها تأكيد الولاء التام للوطن الذي يعيش فيه الجميع تعزيزا للسلم الأهلي والأمن المجتمعي، وأن تغلب المصلحة الوطنية الجامعة على ما سواها من انتماءات خاصة أو ولاءات خارجية تفت في عضد الوطن وتنغص عليه أمنه واستقراره، وأن يصار إلى تفعيل الرموز المؤثرة التي هي محل ثقة الآخرين من علماء وحكماء لإشاعة أجواء التسامح وثقافة الائتلاف بدل القطيعة والاختلاف، ولعل الدعوة إلى احترام الخصوصيات التي هي محل تقدير واعتبار في كل مذهب، ومنها أن تقدر الشخصيات ذات الثقل التاريخي والحاضر بيننا من أدعى ما يستوجبه التعايش الوطني ويستلزمه الارتقاء نحو توطيد العلاقات بين هذه الشخصيات لتقديم الرمزية الوطنية الصادقة في التلاحم والتعاضد فيكونوا منارات هدى للتلاميذ ومن يقتدي بهم من أبناء المجتمع.

كما أن إعلان الرفض لكافة أشكال العنف والتطرف التي تفضي إلى الإلغاء أو الإقصاء وإسناد ذلك بما يعضده من أحكام وفتاوى يجعل للمرء رادعا دون ارتكاب حماقات تفسد على المجتمع صفاءه وقد يتسبب

■ داعية وباحث إعلامي كويتي



ـانة للأمن وإعمار للوطـن

هـذا الـتـعـصـب فـي إلحـاق أضـرار مادية أو معنوية تمس الأشـخـاص أو المرافق العامة في حين لو أدرك هذا أو ذاك المتهور أن كل اختلاف بشري هـو واقـع بمشيئة الله ضمن سنن كونية ثابتة، فالله تعالي يقول ﴿ولـو شـاء ربـك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين﴾ (هـود:١١٨) وهـذا يدعونا إلى البحث والتركيز على القواسم الجامعة التي توجد تلاقيا بين المذاهب الإسلامية قاطبة، والتي تبدأ من توحيد الاعتقاد، وإسلامية الديانة، والنبوة المحمدية، والأصول التاريخية المشتركة، ولو عمدت الدولة إلى تضمين مناهجها في التربية الوطنية أو الإسلامية تدريس مناهج الوحدة والاتفاق، والمتمثلة في فقه الخلاف وفقه الأولويات في العلوم الشرعية، ومبادىء الحوار والتعامل مع الآخرين في المهارات، وأدبيات الفن التقريبي في الأدب، والقيم والأخـلاق الاجتماعية في السلوك، والتوعية القانونية بالواجبات والحقوق المدنية، لكان لذلك عائد على الأجيال الناشئة التي تتغذى الفرقة والكره من أطراف لا تشعر بمسؤوليتها تجاه وطنها وأمتها وتنقصها حصافة وعيها عن إدراك محاولات بعض القوى العالمية تبعا لمصلحتها وسياستها باستبقاء بذور النزاع بين المذاهب الإسلامية.



عـدم قـدرة أبنـاء الـوطـن الـواحـد على تجـاوز العـثـرات الـتـاريـخـيـة العـرقـيـة والمـذهـبـيـة يجـعـلـهـا وقــوداً لـلـصـراع

تجاوز العثرات

إن عدم قدرة أبناء الوطن الواحد على تجاوز العثرات التاريخية والعرقية والمذهبية، والـوقـوف عليها بجعلها وقـودا للصراع ومحاولة استدعائها من جديد كل ذلك يفاقم الأزمات ويجعل المجتمع مادة للاشتعال في كل وقت وأداة للشحن وافتعال الصراعات الاجتماعية والفكرية بين أبناء الوطن الواحد، ولعل إقامة جسور جادة للتواصل والبحث في دوائر مغلقة تلتزم أطر الحوار وتحترم التخصص العلمي الرصين يمكن أن يساهم في تجاوز جملة من المعضلات ، التي اعتقدنا استحالة حلها، وهذا يوجب إخلاصا من الطرفين وتقديم مبادرات يتحمل كل طرف كلفتها ما دامت نتائجها التزمت المنهج العلمي وصارت إلى مشروعات جامعة وكم يعلمنا الإمام الشافعي رحمه الله حين يصف من سعى لطلب الحق ويقول: **كناشد ضالة لا يضره إن وجد الضالة هو أو غير**

أدوات رسمية وشعبية

أجد من المهم الإشارة إلى حالة من التكامل ما بين الجهود الرسمية والأهلية الشعبية تستلزم التوجه نحو مواجهة محاولات فت الوحدة الوطنية فعلى الدولة أن تضمن برنامجها الحكومي مشروعات محددة وبرامج عملية للتنشئة التربوية للأجيال القادمة على منظومة الوحدة الوطنية، وما يستتبعها من واجبات و حقوق بين أبناء الوطن الواحد، وأن تسعى لرفد الجهود المجتمعية التي تعمل على ترسيخ اللحمة الوطنية، ولعل مبرة الآل والأصحاب من النماذج الشاخصة على دور هذه المؤسسات ومدى استثمارها للتجمعات والمحافل العامة والخاصة في طرح المضامين الوطنية والمعاني الإسلامية الداعية إلى التواصل والتكامل المجتمعي بأساليب عصرية وأدوات تعبير فيها الكثير من العمق والتجديد، وهو ما ينعكس بلا شكل على الحالة التنموية العامة للمجتمع فتزيد من آفاقه التي يعود خيرها ونفعها على البلاد والعباد.

إنها جملة إشارات لما أردت التعبير عنه في تناولي لقضية التلاقي الوطني الذي أعتبره حصانة للأمن وإعمارا للوطن، وأدعوك عزيزي القارئ في كل بلاد العالم لتردد معي دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام ﴿رب اجعل هذا بلداً آمنا وارزق أهله من الثمرات﴾ (البقرة:١٢٦).



ثقافة الكراهية السوداء



د. محمد عمارة

وقع في يدي كتاب «فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب»(١) وهو الكتاب الذي دخل مصر - مع شديد الأسف - وبيع في معرض الكتاب بها - يناير، فبراير سنة ٢٠٠٨م - وفي هذا الكتاب وجدت العبارات التي تتكرر وتصف عمر بن الخطاب ﵁ بأنه: «الجبت، الذي عادى النبي ﷺ وآله، وفرعون الذي حَرف القرآن، وأذاع في الأرض الفساد، وأظلمت من كفره الدنيا، والذي طلب. عند مماته. أن يشرب النبيذ»!(٢).

كما يصفه بأنه «أكبر صنم عرفته البشرية منذ بدء نشأتها وحتى يومنا هذا، بل إلى آخر الدنيا، ذلك أنه لم يوجد منذ أول يوم من أيام الدنيا وحتى يومنا هذا ولن يوجد صنم أكبر وأعظم من عمر بن الخطاب ﵁.. فهو المنافق الذي أرضى المجوس واليهود والنصارى» (٣).

كما يقول عن عمر: «إن الكبش خير منه» (٤).

كما ينسب الكتاب إلى الصحابي حذيفة بن اليمان، وصف عمر بن الخطاب بأنه: «المنافق، الذي ارتد عن الدين، وحرف القرآن وغير الملة، وبدل السنة، وغير السنن كلها، وأظهر الجور، وحرم ما أحل الله، وأحل ماحرم الله...»(٥).

كما ينسب الكتاب إلى رسول الله ﷺ «أن الآية: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ (يوسف- ١٠٦) قد نزلت في عمر بن الخطاب» (٦).

ويختم الكتاب صفحاته بشعر يقول فيه عن عمر بن الخطاب:

إنه.. جبت بالله قد كفر.

وعن مقتله: إنه عيد فيه صنم الكفر انكسر.

تلك قطرة من بحر الأوصاف التي امتلأ بها هذا الكتاب عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁.

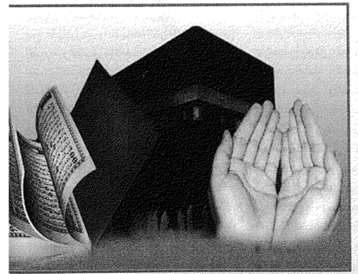
أما أبو لؤلؤة المجوسي - قاتل عمر بن الخطاب - فهو في هذا الكتاب: «مسلم .. مؤمن.. من خُلّص شيعة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»، وإن قتله لعمر بن الخطاب «إنما كان بإشارة علي - عليه السلام - ولذلك فمهمة أبي لؤلؤة - رحمه الله - لا يُلقاها إلا ذو حظ عظيم، إذ على يديه جرى أعظم عمل، ونفذت أكبر مهمة لم يعرفها العالم قبله، ولن يعرفها بعده، وهي كسر أكبر صنم عرفه التاريخ» (٧).

ويصف أبا لؤلؤة بأنه «من أبرز مصاديق عنوان المؤمن، وأن زيارة قبره ﷺ في كاشان بإيران أولى وأوجب من زيارة سائر المؤمنين.. فهو مبشر بالجنة.. وقتله لعمر كان عملا جهاديا عظيماً، بدافع ديني سام، مقبولا عند الله تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ (المائدة - ٢٧) ولذلك استوجب عليه الجنة...»(٨).

وحتى يثبت الكاتب ويؤكد أن ما ذهب إليه كتابه هذا ليس اجتهادا فردياً، وإنما هو موقف «المذهب والطائفة فقد أورد كلام آيات الله العظمى: الوحيد الخراساني، والتبريزي، والسيد محمد اليثربي الكاشاني» في تعظيم الشيعة لقبة أبي لؤلؤة ومزاره، وتكريم بقعته المباركة، وشخصيته العظيمة، بناء على الأدلة المحكمة والمتقنة التي تثبت أن السيرة المستمرة للسلف وقدماء الشيعة من قديم الأيام كانت على تعظيم واحترام هذه الشخصية العظيمة، وأنه أولى بالتعظيم بعد الأئمة المعصومين»!(٩).

الباطنية الغنوصية

وتلك هي المقولة الوحيدة التي صدق فيها كاتب هذا الكتاب! فهذا «الفكر الشيطاني» الذي امتلأت به صفحات هذا الكتاب، والذي طفح بثقافة الكراهية السوداء ضد صحابة رسول الله ﷺ وخاصة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب ﵁ ليس مجرد وسوسة شيطانية لمؤلف هذا الكتاب، وإنما هو موقف مذهب «الباطنية - الغنوصية» في هؤلاء الصحابة، حواريي رسول الله ﷺ الذين صنعهم على عينه، والذين أقاموا الدين، وأسسوا الدولة، وأزالوا طواغيت هذا الزمان، وفتحوا في ثمانين عاما أوسع مما فتح الرومان في ثمانية قرون، وكانت فتوحاتهم تحريرا لأوطان الشرق،



● مفكر إسلامي

ولضمائر الشعوب، وعقائدهم من القهر الحضاري والديني والثقافي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي دام عشرة قرون، فنحن إذن أمام مذهب، وليس مجرد مؤلف كتاب، مذهب يعتقد ويتدين بالبراءة والسب والوقيعة والتفسيق والتكفير، لا لجمهور الصحابة فقط، وإنما لكل من والاهم من المسلمين، أي لـ٩٠٪ من أمة الإسلام، الذين يسمونهم «العامة العمياء التي تتدين بدين البغال»!

أحد أشراف قريش

وأخيراً: من هو عمر بن الخطاب الذي افتروا عليه كل هذه الافتراءات؟

إنه أحد أشراف قريش، والقائم على مهمة «السفارة» لها في الجاهلية، ولقد كان إسلامه - في السنة السادسة من الدعوة - استجابة إلهية لدعاء رسول الله ﷺ أن يهدي إلى الإسلام أحب الرجلين إلى الله.. عمر بن الخطاب، أو عمرو بن هشام، ليعز الله به هذا الدين «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك.. عمر بن الخطاب أو عمرو بن هشام»، وبإسلامه كمل عدد المسلمين - من الرجال - أربعين مسلماً، وهو الذي أعز الله به الإسلام - بعد مرحلة الاستضعاف الشديد - فجهر المسلمون بصلاتهم بعد الاستخفاء، ولذلك سماه الرسول ﷺ «الفاروق»، فلقد فرق الله بإسلامه بين مرحلتين من مراحل الدعوة إلى الإسلام، وهو أول من هاجر - من مكة إلى المدينة - علانية، متحدياً ملأ قريش، بعد أن كان المسلمون يهاجرون متسللين في الخفاء، فلقد حمل سيفه وسهامه، ومر على ملأ قريش متحدياً، فطاف بالبيت سبعاً، وأتى المقام فصلى، ثم قال لملأ قريش «شاهت الوجوه.. من أراد أن تثكله أمه، ويُوتم ولده، ويرمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي» فما جرؤ واحد من ملأ قريش على اعتراض سبيله، كما يروى ذلك على بن أبي طالب!

سب صحابة رسول الله ﷺ والإساءة للرعيل الأول يهدم كل محاولات التقريب.. والمكاشفة والمصارحة أهم آليات التوافق

وهو الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وأحد القلة القليلة الذين صمدوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد، وكان لسان المسلمين الذي تحدى أبا سفيان - قائد الشرك يومئذ - عندما صاح عقب المعركة - وكان يظن مقتل رسول الله ﷺ - اعل هُبَل! فقال عمر صائحا: الله أعلى وأجل.. لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

وهو الذي تشهد فتاواه وأقضيته ومبادراته على أنه الفقيه الملهم.

وهو الذي شهد له السابقون إلى الإسلام والهجرة بأنه كان أزهدهم في الدنيا، وأرغبهم في الآخرة.

وهو المؤسس للطور الجديد للدولة الإسلامية كدولة عظمى في ذلك العصر والتاريخ، خرج بها من شبه الجزيرة العربية، فامتدت حدودها إلى شمالي إفريقيا، وإلى فارس، فضمت العراق، والخليج، وفارس، وأذربيجان، وأرانية، وخوزستان، وبلاد الجبال، وأرمينية، والشام، ومصر...وغيرها، حتى لقد ضمت في عهده وتحت قيادته معظم الشرق ببحاره وخلجانه وأنهاره وسهوله وأوديته وصحاريه.

وهو الفاتح لعواصم ذلك العالم القديم، المدائن، والإسكندرية، والفاتح لأولى القبلتين وثالث الحرمين القدس الشريف.

وهو - مع شرفه في قومه - القائل عن تحرير أبي بكر الصديق لبلال الحبشي «سيدنا أعتق سيدنا»!

وهو القائل عن علاقته بالرعية «والله لقد لنت للناس حتى خشيت الله في اللين، ثم اشتددت عليهم حتى خشيت الله في الشدة، فأين المخرج؟!» والقائل: «لئن نمت النهار لأضيعن الرعية، ولئن نمت الليل لأضيعن نفسي، فكيف بالنوم مع هذين؟!» (١٠)

هذا هو عمر بن الخطاب الذي افترى عليه المفترون، وظلمه الظالمون، وبغى عليه البغاة، ضمن من بغوا عليهم من صحابة رسول الله ﷺ، وتلك بعض معالم «الفحش الفكري» و «ثقافة الكراهية السوداء» التي حملتها صفحات كتاب «فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب» إلى القراء، والتي مثلت - وتمثل - معاول هدم لوحدة الأمة، ولكل محاولات التقريب بين الشيعة والسنة، ولكل المؤتمرات التي تعقد تحت هذه الشعارات، بعيدا عن المصارحات والمكاشفات!



صحابة رسول الله فتحوا في ٨٠ عاما أوسع ما فتح الرومان في ٨ قرون... بل كانت فتوحاتهم تحريراً للأوطان والضمائر من القهر والاستعباد

الهوامش

(١) صفحاته: ٢٥٩ صفحة، الناشر: هيئة خدام المهدي - لندن سنة ١٤٢٧- ٢٠٠٨م التوزيع: مركز نور الهدى - بيروت - حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك الفرنسي.
(٢) فصل الخطاب في تاريخ قتل ابن الخطاب - ص ٧.
(٣) المرجع السابق: ص ١٣، ٢٩، ٣٧، ٥٠، ١٨٣، ٢٢٣.
(٤) المرجع السابق: ص ٢١٥.
(٥) المرجع السابق: ص ٥ .
(٦) المرجع السابق: ص ٢٣٩.
(٧) المرجع السابق: ص ١٨٧.
(٨) المرجع السابق: ص ٢٣٦ - ٢٣٨.
(٩) المرجع السابق: ص ٢٠٦ - ٢٠٨.
(١٠) ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة»، المجلد الرابع، ص ١٤٥ - ١٨١.

معوقات التقريب بين السنة والشيعة

رغم أن فكرة التقريب - نظريا - انطلقت من الجانب الشيعي بكلام المرجع الشيعي الإيراني تقي الدين القمّي، وتشكلت عمليا قبل أكثر من خمسين عاما فيما عرف بـ «دار التقريب» بالقاهرة السنية - بلد الأزهر الشريف - وكتب كلا الطرفين أدبيات رسخت الفكرة وعمقتها، وشرعت لها طريقها نحو التفعيل إلا أن عدم المصداقية الذي بدا واضحاً في كثير من المواقف حال دون نجاح جهود التقريب على أرض الواقع.

وصفي عاشور أبو زيد

ويرجع عدم نجاح هذه الفكرة - في تقديري - إلى وجود عقبات وموانع لم تفتح للنقاش بجرأة إلا أخيرا، بل كان كل ما يطرح حول مبادئ الوحدة وآداب الحوار وكيفية إدارة الخلاف وغير ذلك، وحينما طرحت هذه العقبات للنقاش أثارت غضب الطرف الشيعي مما أدى إلى أزمة أشبه بالقطيعة والتدابر، وهذا يدل على أن الحقائق مرة، وطرقها مستفز، والكلام المعسول والمجاملات والمواءمات لن تغني في هذا الملف كثيرا ولا قليلا.

الإسلام دين الوحدة

وقبل أن أذكر بعض هذه العقبات لابد من التأكيد على أن الإسلام دين الوحدة، ولا آكد في الإسلام من هذه الفريضة التي شرع لها الشرع ما يوجدها ويؤكدها ويحافظ على وجودها واستمرارها، وحرم كل ما يمكن أن يقوض هذه الوحدة أو يصيبها بضعف أو ترهل، وأغلظ النكير على القائمين بهذا، وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ما يبلغ حد التواتر بما يغني عن إيراده والاستشهاد به.

عقبات

ومن هنا إن أردنا للتقريب النجاح والعافية فلابد من إدراك العقبات والموانع لكي يكون لنا منها موقف عملي حقيقي ملموس، لننطلق بمقتضاها، ونعمل على سبل تذليلها، وطرق ومناهج التغلب عليها، بعيدا عن معسول الكلام ومسك العصا من المنتصف، وإلا فلا داعي لبذل مزيد من الجهد في هذا الملف، ولن يكون أمام جميع الأطراف إلا إغلاقه تماما، ورأيت أن أقسم هذه العقبات إلى جانبين،

الأول: جانب نظري أصولي:

الجانب الأول: عقبات أصولية نظرية يزعم بعض من لهم جهود في ملف التقريب بين السنة والشيعة أنه ليس بينهم خلاف في الأصول، وإنما كل الخلاف بينهم في الفروع فقط، وإذا صح هذا الكلام فأين يقع تكفير الصحابة - عدا سلمان وعليا والحسن وجعفر وحمزة؟ وسبّ عائشة أم المؤمنين؟ ولعن الشيخين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما؟ وادعاء تحريف كتاب الله تعالى؟ وادعاء مقام الإمامة لأئمتهم الاثني عشر، وأنهم يعلمون الغيب ولا يموتون إلا بعلمهم ورضاهم؟ وحسبنا ما أورده في هذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «منهاج السنة النبوية»، ولقد نبعت هذه الخلافات القوية من أنهم لا يحتكمون في الاستدلال النظري إلى عدد من القواعد والأصول التي تفضي إلى نتائج عقلية يتفق عليها الجميع، ومن هذه القواعد:

أولا: القواعد اللغوية، وهي منهج ثابت عند الجميع في دلالة الألفاظ على أحكامها، وفي الاستدلال عموما من القرآن والسنة:

- فلم يقل أحد قديما ولا حديثا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾(الزخرف: ٤) لم يقل أحد بأن قوله تعالى: ﴿لعلي﴾ هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنما هو وصف للكتاب في الآيات قبله: ﴿حم (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(الزخرف - ١:٣).

- ولم يقل أحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾(البقرة - ٦٧) بأن البقرة هي السيدة المبرأة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

- ولم يقل أحد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾(طه- ١٢) بأن المقصود بـ «النعلين» هما أبو بكر وعمر، رضي الله عنهما.

لم يقل أحد بهذا سوى الشيعة، وهي تأويلات لا يقرها الشرع، ولا يثبتها التاريخ، ولا تسمح بها السياقات اللغوية ودلالاتها واستعمالاتها بأي وجه من الوجوه.

ثانيا: الحقائق العقلية والمسلمات البدهية، من المسلمات العقلية ألا نعتمد روايات مرسلة عن مجاهيل، سواء كانت الجهالة في الذات أو الصفات، فلا يقال:

> الملف شائك ويحتاج إلى كثير من المصارحة والوضوح والانطلاق من حقيقة أن الإسلام دين الوحدة

● باحث بالمركز العالمي للوسطية



«حدثني الثقة» وهذا الثقة غير معروف عندهم، ومختلف فيه بينهم، ولا يقال: «حدثني قلبي عن ربي»...الخ.

ثالثا: اعتماد المنهج التاريخي ذلك أننا حين نعتمد المنهج التاريخي وحقائقه التاريخية، واعتماده أمر يشترك فيه كل البشر فضلا عن أهل الديانات، ناهيك عن مذاهب داخل الإسلام، وخاصة الشيعة والسنة.

وباعتماد المنهج التاريخي والأخذ بحقائقه سيثبت لنا - يقينا - أن المهاجرين والأنصار الذين قال الله فيهم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(التوبة: ١٠٠) لم يكونوا خمسة فقط بل كانوا أضعافا مضاعفة.

وكذلك سيثبت لنا - يقينا - أن من قال الله في شأنه: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾(التوبة: ٤٠) هذا الصاحب هو أبو بكر ﷺ.

تجاوز العقاب الفرعية لن يتم دون معالجة الموانع الأصولية في الاستدلال وبناء الأحكام كالأسانيد المرسلة .. وغيرها

فكيف نلعن ونكفر من رضي الله عنهم؟ ومن عاصروا الرسول، وعايشوا التنزيل، واستأمنهم الله تعالى على نقل الدين وحمل أمانته؟!

الجانب الثاني: عقبات فرعية

عملية إذا كان ما سبق موانع وعقبات نظرية أصولية في الاستدلال والبرهان فإن ما نورده الآن من حديث هو عقبات عملية تطبيقية، ولن يصح حديث عنها أو انتقال لها إلا إذا تمت معالجة الموانع الأصولية في الاستدلال والقضاء عليها في ضوء ما سبق من قواعد وحقائق يجب اعتمادها.

وكل العقبات الفرعية هنا إنما هي نتيجة طبيعية للأصول التي بنوا عليها هذه الفروع، مثل الأسانيد المرسلة التي يبنون عليها أحكاما، ويفرعون عليها شرعا، وقد وضعوا هذه المناهج الأصولية في استنباط عقائدهم وعباداتهم ليتفق هذا مع مذهبهم السياسي الذي كان حصاد وقائع تاريخية شديدة، لو رجعنا إلى عصر الإسلام الذهبي قبل هذه الأحداث لما وجدنا لهذه الفروع ولا الأصول أثرا في واقع المسلمين، ولكي تنضبط الفروع الشرعية والتطبيقات العملية والعبادات الإسلامية عند السنة والشيعة على السواء يجب أن نعتمد قواعد يأتي منها ما ذكره شيخنا العلامة د. يوسف القرضاوي في كتابه: «مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية» من مبادئ وآداب في التعامل، مثل: **حسن الفهم، وحسن الظن، والتركيز على نقاط الاتفاق، والتحاور في المختلف فيه، وتجنب الاستفزاز، وعدم التكفير بلا موجب، والبعد عن شطط الغلاة، والمصارحة بالحكمة، والحذر من دسائس الأعداء، والتلاحم في وقت الشدة، إضافة إلى أنه لا يعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ﷺ قرآنا وسنة صحيحة، وأن الإسلام قول وعمل، والإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، وعليه فإن مبدأ التقية** المعمول به عند الشيعة يجب أن يخضع لهذه القاعدة، التي تستخدم في الأصل - بضوابطها - بين المسلمين والكافرين فقط، وليست بين المسلمين بعضهم وبعض، كما أنه لا يجوز الخروج على الجماعة في الشعائر الكبرى في بلد واحد وفي جماعة وطنية واحدة، ومثال هذا: ما يحدث في الصيام كل عام عند بدء شهر الصيام وعند انتهائه، أو عند استطلاع هلال رمضان، وعند استطلاع هلال شوال، فانتماءات الشيعة الإمامية في كل مكان إلى إيران حتى لو تقدمت أو تأخرت عن البلد التي يحيون فيها يوما أو يومين أو ثلاثة، وكذلك في شعيرة الحج، وهي التي تجمع الأمة كلها من المشارق والمغارب، كان الشيعة قبل سنوات قليلة يقفون على عرفات في يوم مخالف لأهل السنة، انطلاقا من استطلاع الهلال عند إيران، إلى أن منعتهم السلطات السعودية من ممارسة هذا الشذوذ.

ميزان الإسلام

والإسلام يزن وزن الأشخاص بميزان الله ويحكم عليهم بالظاهر، فلا ينبغي أن نخضع الناس لأحكام الأهواء والشهوات والانطباعات البشرية، إنما نحكم عليهم بميزان الحق، فمن غلبت حسناته سيئاته، وُهبت سيئاته لحسناته، قال سعيد بن المسيب ﷺ: «ليس من عالم ولا شريف ولا فاضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تُذكر عيوبه، ومن كان فضله أكثر من نقصه ذهب نقصه لفضله» (١).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله: «ثم إن الكبير من أئمة العلم، إذا كثر صوابه، وعُلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعُرف صلاحه وورعه واتباعه، تُغفر له زلته، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك» (٢).

وليس لنا أن نتدخل في نوايا الناس، وما بينهم وبين ربهم، بل نحكم عليهم بالظاهر ونكل إلى الله السرائر، ولهذا نهى الله



تعالى عن الظن لأنه لا يغني من الحق شيئا، وهذه من القواعد العامة في الشريعة، فبعد أن أرسل النبي ﷺ سرية لتأديب أهل فدك، قال أسامة استغفر لي يا رسول الله. فرد عليه النبي حزينا: «قتلت رجلا يقول لا إله إلا الله؟ كيف أنت إذا خاصمك يوم القيامة بلا إله إلا الله؟!» فقال أسامة: يا رسول الله إنما تعوذ من القتل. فقال له الرسول: «هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها خوفا أم لا». وظل النبي يردد أمامه وهو حزين: «أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله» حتى قال أسامة: وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر له المصطفى ﷺ وأمره بعتق رقبة (٣).

المسئولية الفردية

والإسلام يؤكد على مبدأ الاعتراف بالمسئولية الفردية فيما يصدر عن الإنسان، فليس عندنا في الإسلام كهنوت، ولا سلطة في الإسلام إلا للشرع، فلا أحد يستطيع أن يجادل عن غيره أو نفسه أمام الله، أو أن يغفر أو يأجر، أو يضمن لنفسه - فضلا عن غيره - النجاة من عذاب الله أو دخول الجنة، وإنما هذا موكول إلى الله تعالى يوم القيامة، وراجع إلى عفوه وفضله ورحمته، وفي القرآن الكريم ما يؤيد هذه القاعدة بوضوح، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام: ٩٤) وقال: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٩٥) وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، حتى أعز الخلق وأحبهم إلى الله تعالى لا يملك ذلك فكيف يدعي مرجع أو قسيس أو حاخام هذا من دون الله؟

عن أبي هُرَيْرَةَ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ. قالوا ولا أَنْتَ يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: لَا، ولا أنا إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا ولاَ يَتَمَنَّيَنَّ أحدكم الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وأما مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ». (صحيح البخاري، (٥٣٤٩)، ج٥/٢١٤٧)، فينبغي التأكيد على هذا المبدأ حتى لا يخضع أحد لأحد، ولا يذل فرد لآخر مهما كانت منزلته الدينية ومكانته العلمية، إنما ليس بين الله وبين أحد من خلقه حجاب أو واسطة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦).

حديث الصالات المغلقة

وأخيرا لابد من الصدق في التعاطي مع ملف التقريب، فلا يصح أن يتكلم الشيعة مع السنة كلاما في المؤتمرات والملتقيات ثم هم يمارسون بعدها ما يناقض كلامهم معهم، ويؤيدون مبادئ نظرية ثم هم يمارسون تطبيقيات تكذب تأييدهم.

وإذا كان المرحوم الشيخ محمود شلتوت أصدر فتوى شهيرة تقضي بأنه يجوز للمسلم السني أن يتعبد على المذهب الشيعي الإمامي، ومعظم علماء السنة المعتدلين يرفضون تكفير الشيعة - إلا ما يوجب التكفير - فلماذا لم يصدر عن مراجع الشيعة أو أحدهم حتى الآن فتاوى وبيانات لقواعدهم بجواز التعبد على أحد مذاهب أهل السنة، وهي أربعة، إن أرادوا التقريب حقا؟ بل إننا نجد كلاما للمرجع الشيعي الأشهر محمد حسين فضل الله ينفي هذا، حيث أجاب على سؤال يقول: هل يجوز التعبد في فروع الدين بالمذاهب السنية الأربعة، وكذلك بقية المذاهب غير الشيعية؟ فكان جوابه بالنص: جواب: «لا يجوز التعبد بأي مذهب إسلامي غير مذهب أهل البيت عليهم السلام، لأنه المذهب الذي قامت عليه الحجة القاطعة»(٤). لكنه حين يسأل عن ذلك أمام الملأ يبتعد عن محل السؤال، ويتحدث عن المشترك بين السنة والشيعة، وعن الاجتهاد الفقهي، وعن الخطوط الاجتهادية، ولا يتجرأ على إصدار فتوى مقابلة.

ولماذا أيضا لم يُصدر أحدهم بيانا أو فتوى يلزم بها أتباعه أو قواعده بحرمة سب الصحابة ولعن أبي بكر وعمر وعائشة؟ ولماذا لم يصدروا فتوى بأن الذي يقول بتحريف القرآن أو بأن فيه زيادة أو نقصا فإن هذا قول قد يخرج صاحبه من الملة؟ أم أن التصريح بهذا الكلام في المؤتمرات لذر الرماد في العيون فقط، وتبقى المراجع مع قواعدها على ما هي عليه؟

وبعد هذه العقبات الأصولية والتطبيقية يجب أن يكون هناك صدق في الأخذ بها، والتعاون فيها، وفي كل ما يخدم القضية من قواعد متفق عليها عقليا وإنسانيا ..



حسن الظن والحوار وعدم التكفير وعدم الاستفزاز ووزن الأمور بميزان الإسلام ...مفاتيح التقريب المرجو

الهوامش

١- (التمهيد: ١١/١٧٠).
٢- (سير أعلام النبلاء: ٥/٢٧١، وانظر: ١٦/٢٨٥).
٣- (راجع: السيرة النبوية لابن كثير، ٤/٤٣٥).
٤- (مسائل عقدية: ١١٠).

الضوابط الحضارية للتقريب


د. جمال نصار

لم تشأ قدرة الله عز وجل أن تظهر خلافات كبيرة بين المسلمين تؤدي إلى انقسام الأمة في عهد النبي الكريم ﷺ، والتاريخ يؤكد لنا ذلك، ولكن ظهرت بوادر الخلاف في أمر الولاية بعد موت رسول الله ﷺ يقول أبو الحسن الأشعري: «وأول ما حدث من الاختلاف بين المسلمين بعد نبيهم ﷺ اختلافهم في الإمامة» (١).

ونحن إذا تأملنا في المسائل التي تجمع بين السنة والشيعة نجد أنها كثيرة وأساسية، فيجمع بيننا وبين الشيعة الإمامية: الإيمان بالله تعالى ربا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا، وبكل ما جاء به من عند الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ (البقرة- ٢٨٥). يقول العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، بعد ذكر هذا المعنى: «فهذه قواعد الإيمان الأساسية نتفق جميعا على الإيمان بها، وهي أسس الدين وركائزه» (٢).

ويجمع بيننا أيضا الإيمان بالقرآن كتابا منزلا من عند الله تبارك وتعالى وأنه محفوظ بحفظ الله له: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر- ٩).

فلا يخالف مسلم سني أو شيعي في أن ما بين الدفتين من سورة الفاتحة إلى سورة الناس هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ به يستدل الفقهاء والمتكلمون، وإليه يرجع الدعاة والمرشدون، ومنه يستمد الموجهون والمربون بلا خلاف بين أحد منهم وآخر على حرف فما فوقه أنه من كلام الله تعالى.

ولا يعنينا في هذا السياق بطبيعة الحال أن ندخل في تفاصيل ما ذهب إليه بعض الغلاة من الشيعة في فهمهم لبعض القضايا مثل، تحريف آيات القرآن الكريم، وسب الصحابة، والعصمة للأئمة، وغيرها من القضايا محل الخلاف بين السنة والشيعة، والذي يعنينا بالدرجة الأولى هو التأكيد على الاحترام المتبادل بين السنة والشيعة، وعدم محاولة فرض الرأي والفكر على الآخر بالقوة والقهر لتحقيق الوحدة للمسلمين.

بداية التقريب بين السنة والشيعة في العصر الحديث

يقول مؤرخو حركة التقريب المعاصرة بين أهل السنة والشيعة إنها بدأت في مصر سنة ١٩٤٨م بقيادة شيخ الأزهر وقتئذ عبدالمجيد سليم، وتشكلت جماعة التقريب من مجموعة من الشخصيات البارزة في ذلك الوقت، وهم: الشيخ محمود شلتوت الذي صار شيخا للأزهر فيما بعد، والعلامة محمد تقي الدين القمي، وقد تقلد منصب الأمين العام للجماعة، وكان الشيعي الوحيد في الجماعة، والحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين عضوا، والأستاذ حسن البنا المرشد العام الأول لجماعة الإخوان المسلمين عضوا، واللواء صالح حرب رئيس جمعية الشبان المسلمين عضوا، ومحمد علي علوبة باشا عضوا(٤).

وسادت روح الأخوة بين أعضاء الجماعة على الرغم من تباين مذاهبهم فأصدروا مجلة «رسالة الإسلام» التي استمر صدورها ستة عشر عاما، ولم تتوقف إلا سنة ١٩٦٤م، وقد حملت إلى القراء روح التقارب، وكان شعارها قول الله تعالى ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ (الأنبياء -٩٢).

لا يخالف مسلم سني أو شيعي في أن ما بين سورة الفاتحة وسورة الناس هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ

وعبر الشيخ شلتوت عن روح التقريب بفتواه التي أجازت للمسلمين التعبد على مذهب الإمامية الاثناعشرية كسائر مذاهب أهل السنة الأربعة.

ضوابط الإنطلاق

ويمكن أن نضع بعض النقاط كضوابط للتقريب بين السنة والشيعة

١- أهمية إدراك الأمة أنه إن كان الباري جلت قدرته قد يسر القرآن للذكر وهيأ لنا سبل الاطلاع الواسع على السنة من خلال كتبها الكثيرة المتوافرة، فإن الأخذ عن تلك المصادر بمبادرات فردية فيه الكثير من المحاذير، فلا بد من الاستعداد السابق ثم التزود لذلك بأدواته التي فصلها أهل الاختصاص من معرفة ضوابط الاستنباط وقواعده، وإتقان العربية وأساليب التعبير فيها، ومعرفة علوم الكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ، والعام والخاص، والعام المراد به الخصوص، والمطلق والمقيد من النصوص وغير ذلك من عوارضها، فإن أي قول يصدر عن المسلم من غير إحاطة ومعرفة بتلك الوسائل، إنما هو قول في الدين بالتشهي والخرص والتخمين، من غير نور ولا هدى ولا علم، ومن فعل ذلك فقد ركب مركبا صعبا وأودى بنفسه والعياذ بالله، فقد قال

● دكتوراة في فلسفة الأخلاق

معرفة ضوابط الاختلاف ومحاذيره ومخاطره على الأمة من أعظم أبواب التقريب بين السنة والشيعة

رسول الله ﷺ «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» (رواه الترمذي)، وهذا النوع من المعرفة لا يمكن تحصيله من خلال قراءة كتاب أو كتابين، بل لابد من دراسة منهجية متقنة، تضع في يد الدارس مفاتيح تلك العلوم التي تهيئ له سبيل الولوج إلى ساحة الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، وحتى تؤتي تلك الدراسة أكلها لا بد أن تعتمد على البحث المستقصي الذي يقوده الأستاذ المتقن والموجه المجيد، والناقد البصير، في ظل من تقوى الله وابتغاء الأجر منه.

٢- **لابد من التنبيه على أن هذه الشريعة أنزلت لتسعد الناس في الدارين، الدنيا والآخرة،** ولتحقق لهم مصالحهم بما ينسجم وقدراتهم العقلية التي أنعم الله بها على عباده، فكرمهم سبحانه على سائر مخلوقاته، ولم تتضمن الشريعة السمحاء أمرا لا يطيق الناس إتيانه أبدا، ولذلك قال الله تعالى ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ (الحج- ٧٨) وقد يسر سبحانه على عباده حتى يعملوا بهذا الدين في ظل المحبة لا القسر والإكراه، يقول جلت قدرته في ذلك ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ (البقرة- ١٨٥) و﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ لعلمه بضعفكم ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾ (النساء- ٢٨).

وكل الأحكام الشرعية حوت مصلحة العباد، وحرصت على تحقيق النفع لهم، ولا شيء فيها يعود لله تعالى نفعه، ذلك لأنه تعالى هو الغني الحميد، ولذلك فإنه لا بد من فهم جزئيات الشريعة في ضوء تلك الكليات ونحوها، ومن لم يحط بكليات الشريعة، ويفهم مقاصدها، ويدرك قواعدها فإنه لن يستطيع أن يرد الفروع إلى الأصول والجزئيات إلى الكليات.

الوحدة فريضة

٣- إن من أهم الواجبات **أن يدرك الجميع أن أخوة الإسلام، ووحدة صفوف المسلمين المخلصين والحفاظ عليها ونبذ كل ما يسيء إليها أو يضعف من عراها من أهم الفرائض وأخطرها،** وعبادة من أهم العبادات، وقربة من أفضل القربات، لأننا بتلك الأخوة نقوى على التصدي لكل العقبات التي تعيق استئناف الحياة الإسلامية على الصورة التي ترضي الله ورسوله ﷺ، ويكفي أن رسول الله ﷺ نفرنا من الفرقة بأن أهدر دم المفرق للجماعة، ولذلك فإن التفريط بالأخوة الإسلامية أو المساس بها لمجرد اختلاف في الرأي أمر لا يجوز لمسلم أن يفعله، أو أن يسقط في شراكه، ولاسيما في هذه الظروف التي تداعت فيها علينا الأمم، تريد أن تطفئ جذوة الإيمان التي بدأت تتقد في القلوب، وتبيد البذرة الطيبة التي بدأت تشق التربة رغم الأيدي العابثة التي تنهال عليها وتحاول اجتثاثها.

إن الأخوة في الله، ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأولى للواجبات، بل هي في مقدمتها، لأنها شقيقة التوحيد وقرينته، كما أن هناك مراتب للمنهيات يقع النيل من الأخوة في مقدمتها كذلك،

ولذلك فإن علماء السلف كثيرا ما يفعلون المفضول ويتركون الأفضل منه مراعاة للائتلاف وخروجا من الخلاف، وقد يتركون المندوب في نظرهم، ويفعلون الجائز تحقيقا لذلك.

٤- ولعل من الأمور المفيدة في حمل المسلمين على التمسك بضوابط الاختلاف **معرفة المخاطر الهائلة، والتحديات الخطيرة، والخطط الماكرة التي يعدها أعداء الإسلام للقضاء على الطليعة المؤمنة** التي تحمل لواء هذه الدعوة، وليس في حساب الأعداء أبدا أن تفلت من يدها إن استطاعت فئة دون أخرى، فالمهم هو القضاء على العاملين للإسلام على اختلاف مذاهبهم وتباين وجهات نظرهم، وهذا يجعل إثارة أي اختلاف بين المسلمين، أو تنمية أسبابه، أو تجاوز آدابه خيانة عظمى لأهداف الأمة، وجريمة كبرى في حقها لا يمكن تبريرها أو الاعتذار عنها بحال (٦).

٥- **التعاون في المتفق عليه والأخذ بأسبابه،** فإن هذا فريضة وضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

وأعتقد أن ما نتفق عليه ليس بالشيء الهين ولا القليل، إنه يحتاج منا إلى جهود لا تتوقف، وعمل لا يكل، وإرادة لا تعرف الوهن، يحتاج منا إلى عقول ذكية، وعزائم قوية، وأنفس أبية، وطاقات بناءة.

ألسنا متفقين على الإيمان بالله الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولد يكن له كفوا أحد؟

ألسنا متفقين على أنه تعالى متصف بكل كمال، منزه عن كل نقص؟

ألسنا متفقين على كل ما وصف

به القرآن الرب الأعلى جل جلاله من الأسماء الحسنى؟ (٧)

ألسنا متفقين على أن الصهيونية اليوم خطر داهم: خطر ديني، وخطر عسكري، وخطر اقتصادي، وخطر سياسي، وخطر اجتماعي، وخطر أخلاقي، وثقافي وحضاري، وأنها تريد هدم الأقصى، وبناء هيكلهم عليه، وأنها تطمح في المدينة وخيبر، وأنها تخطط وتعمل، وتصل في النهاية إلى ما تريد، وأنها حققت أحلاما كان يعتبرها المغرق في الخيال مستحيلات، فاغتصبت الأرض وشردت أهلها، ومازالت مستمرة في عدوانها، وأنها تحاربنا من منطق ديني، تستثير به إيمان اليهود بتوراتهم وتلمودهم، ونبوءات أنبيائهم؟

٦- وقبل هذا وبعده لا مناص **من التزام تقوى الله عز وجل في السر والعلن، وابتغاء رضاه في حالتي الوفاق والخلاف،** مع الحرص على فقه دين الله، والتجرد عن الهوى، والبعد عن نزغات الشيطان، ومعرفة سبل إبليس والحذر من شراكه، وحسب الأمة ما لقيت وعانت، وقد آن الأوان لتثوب إلى رشدها، وتستتير بكتاب ربها، وتعض على سنة نبيها ﷺ بالنواجذ، ولعل الله يكتب إنقاذ الأمة على أيدي هذا الجيل من أبنائه البررة، إذا صدقت النية مع الله، واتخذت من السبل ما هو كفيل بقيادة الركب نحو شاطئ الأمان، بعد أن طال ليل التيه والضلال.

خطوات عملية

ولعل التوصيات التي ختم بها الدكتور أحمد عبد الرحمن كتابه «الشيعة والسنة» (٩) تفيد في هذا السياق، حيث قال خلال الدراسة أوصيت باتخاذ خطوات وإجراءات لخدمة قضية التقريب وهنا ألخص بعضها

١- المواقف السياسية تؤثر في تقريب الجماهير المسلمة، وقد تباعد بينها، فعلى دعاة التقريب أن يتصلوا بالسياسيين ويطالبوهم بمراعاة المقاصد العليا للحركة، وهي مفيدة للتقريب كما هي مفيدة للسياسة.

٢- الأبحاث العلمية هي الأساس المتين لكل أنشطة التقريب، فلا بد من تدعيم مراكز البحوث للقيام بواجباتها على أكمل وجه.

٣- المناهج الدراسية هي أهم الأدوات لنشر فكر التقريب، لأنها هي التي ترسخ الحقائق في أذهان الملايين من أبناء المسلمين، فيجب أن تصاغ صياغة علمية شرعية لتحقيق الغايات الإسلامية.

٤- لابد من استخدام الفنون عامة في خدمة التقريب وفي خدمة الدعوة الإسلامية، وخاصة المسرح والتليفزيون والسينما، ولهذا يجب إنشاء مؤسسة متخصصة لهذا الغرض.

٥- يجب وضع ميثاق إعلامي يمنع دعاة الفرقة والتحريض والتكفير من استخدام الصحف والقنوات الفضائية والكتب لإفساد جهود التقريب.

٦- لابد من ترشيد المؤتمرات والندوات لتكون أداة علمية فعالة في التقريب لا مجرد تجمعات للمجادلة.

٧- القرآن هو الذي يقربنا، لكن التفسير المتعسف يفرقنا، فلا بد من وضع ميثاق علمي يتفق عليه لإعادة الاحترام لأصول التفسير، وقد يكون هذا هو الموضوع الرئيسي لأحد المؤتمرات.

٨- الموقف العلمي السديد من السنة النبوية هو قبول كل رواية تثبت صحتها، ورد كل رواية لا تثبت صحتها، تطبيقا لمبدأ أن المعول عليه هو: عدالة الراوي لمذهبه.

الهوامش

١- مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري، تحقيق هلموت ريتر، الطبعة الثالثة ١٩٨٠، ص٢.

٢- مبادئ في الحوار والتقريب بين المذاهب الإسلامية، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٥م ص٢٨.

٣- نفس المرجع، ص٢٩.

٤- إيران من الداخل، فهمي هويدي، مؤسسة الأهرام، ص٣٢٨.

٥- الشيعة والسنة دراسة مقارنة، د.أحمد عبد الرحمن، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م، ص٣٢٥.

٦- أدب الاختلاف في الرأي وضوابطه، د.جمال نصار، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ص ٦٦ - ٧٤.

٧- الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م، ص ١٤٩.

٨- نفس المرجع السابق، ص ١٥٢.

٩- الشيعة والسنة، ص٣٤١.



الآل والأصحاب إشكالية التعريف في ضوء القرآن والسنة

من عقيدة أهل السنة والجماعة حب آل بيت رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، والتبرؤ ممن يعاديهم، فما يحب آل بيت رسول الله ﷺ إلا مؤمن، وما يكرههم إلا منافق، فـ: «من أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون آل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ: حيث قال يوم غدير خم: «أذكركم الله في أهل بيتي». (صحيح مسلم).

مسعود صبري

محبة آل البيت واجب شرعي

بل حب آل البيت من الواجبات الشرعية عند الأمة، قال الإمام الألوسي: «إن أهل السنة بأجمعهم يروون في كتبهم فضائل أهل البيت ومآثرهم، كيف لا؟ وهم يرون فرضية حب أهل البيت! ويروون في ذلك عدة أحاديث.

منها: ما رواه البيهقي وأبو الشيخ والديلمي، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من نفسه».

وقد أكد فقهاء الإسلام على رعاية حقوق آل البيت، كما يقول الإمام ابن تيمية:

(آل بيت رسول الله ﷺ لهم من الحقوق ما يجب رعايتها، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفيء، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله ﷺ فقال لنا: (قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)، وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة هكذا قال الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله، فإن النبي ﷺ قال: (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) وقد قال الله في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٣)

تقدير الصحابة لآل البيت

ومع كون آل البيت جزءا من صحابة رسول الله ﷺ، فإن الصحابة من غير آل البيت كانوا يعرفون لآل البيت قدرهم وحقهم، ففي صحيح البخاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: " ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته" .

وقال لعليّ رضي الله عنهما : " والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إليّ أن أصل من قرابتي .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس :" والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب ".

ولذلك قال ابن كثير : فحال الشيخين رضي الله عنهما هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك، ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين رضي الله عنهم وعن سائر أصحاب رسول الله ﷺ.

إشكالية التعريف بين الآل والأصحاب

بعد الحديث عن مكانة آل البيت عند أهل السنة والجماعة، وأن حبهم من الأصول نحتاج إلى بيان العلاقة بين الآل والأصحاب وكشف اللثام عن بعض المفاهيم والإشكاليات التي تتعلق بفهم معنى كل منهما، والعلاقة بينهما، هل الأصحاب شيء والآل شيء آخر؟ ومن هم الآل تحديدا، من يدخل فيهم، ومن يخرج منهم؟

وهذا يتطلب تعريف كل من الآل والصحابة؟ وكيفية حديث القرآن عن كل منهما؟

ولعل التقسيم الذي يجعل الآل فريقا والأصحاب فريقا آخر هو تقسيم غير سليم، فآل رسول الله ﷺ هم جزء من صحابته، وإن كانوا رتبة أعلى في حدود الصحابة أيضا، وذلك أن الصحابة ليسوا سواء في الرتبة.

" فالصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ، ومات على الإسلام. ولا يشترط لإطلاق هذا الوصف على الرجل أن تطول صحبته للنبي ﷺ، أو أن يروي عنه شيئاً، أو أن يغزو معه، أو أن يكون بصيرا رأى النبي ﷺ عندما لقيه.

فعن عبدوس بن مالك العطار قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل وذكرَ من أصحاب رسول الله ﷺ أهلَ بدر فقال: (ثم أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بُعث فيهم، كل من صحبه سنةً، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعةً، أو رآه ، فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه وكانت سابقته معه وسمع منه ونظر إليه)، وإلى هذا المعنى أشار الإمام الإمام البخاري في (صحيحه) (كتاب فضائل الصحابة) (باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم): (ومن صحب النبي ﷺ، أو رآه، من المسلمين ، فهو من أصحابه).

ويرى الخطيب البغدادي أن معنى الصحابي في اللغة هو كل من صحب شخصا دون تحديد مدة زمانية، وهذا يمكن أن ينطبق على أصحاب الرسول ﷺ، إلا أن المرجح أن ما تقرر للامة في أنهم «لا يستعملون هذه التسمية الا فيمن كثرت صحبته واتصل لقاؤه ولا يجرون ذلك على من لقى المرء ساعة ومشى معه خطى وسمع منه حديثا فوجب لذلك أن لا يجرى هذا الاسم في عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله.

ولهذا يفرق بين أن نقول «هذا صحابي»، أو «له صحبة»، فالصحابي هو من طالت صحبته ومعاشرته ومعايشته للنبي ﷺ، أما من له صحبة فتطلق على من قصرت صحبته أو حصلت له الرؤية وهو صغير ، أو اختلف في صحبته وكان إثباتها هو الأرجح، أو نحو ذلك من الأمور التي لا تؤهله لأن يوصف بأنه صحابي إلا بنوع من التجوز، أو على سبيل التغليب، وذلك عندما يذكر في جملة من الصحابة، أو إذا كان المراعى في التعبير هو اصطلاح المحدثين والمؤرخين وأصحاب الطبقات ،



الآل جزء من الصحابة وهم في رتبة أعلى في حدود الصحابة من حيث الجملة وليس التفصيل

فهؤلاء الغالب في عرفهم هو إطلاق لفظة صحابي على من حصل له الوصف المتقدم المذكور في تعريف الصحابي في أول هذه الترجمة، ولا سيما في المختصرات من تصانيفهم.

ويتفرع عن هذا أنه يمكن أن يطلق على كل من له صحبة أنه صحابي، ولكن العكس فيه نظر ، فمن طالت صحبته للنبي ﷺ واشتهر بين الصحابة أو كان من كبارهم وأفاضلهم فإنه لا يَحسُنُ أن يُقتصر في وصفه على كلمة (له صحبة).

تعريف آل البيت

أما آل البيت فقد اختلف العلماء في تحديدهم على أقوال أشهرها:

القول الأول: هم الذين حرِّمت عليهم الصدقة، وبه قال جمهور أهل السنة.

القول الثاني: هم ذرية النبي ﷺ وأزواجه خاصة، اختاره ابن العربي وانتصر له، ومن القائلين بهذا القول مَنْ أخرج زوجاته.

القول الثالث: آل النبي هم أتباعه إلى يوم القيامة، وأختاره الإمام النووي من الشافعية والمرداوي من الحنابلة.

القول الرابع: هم الأتقياء من أمته.

وتقصر بعض الفرق الإسلامية من الشيعة آل البيت على آحاد منهم، هم: فاطمة الزهراء بنت رسول الله وأحب أولاده إليه، رضي الله عنهم، وزوجها علي بن أبي طالب وابناه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، رضي الله عنهم. ويضيف بعضهم أولاد الحسين دون أولاد الحسن، ويزيد بعضهم الأئمة الإثني عشر.

وفي فكر هؤلاء، فإن بقية أولاد الرسول ﷺ لا يعدون من أهل البيت، بل أولاد الحسن ليسوا من آل البيت في فكرهم، ولا بناته كرقية وأم كلثوم وزينب، ولا أعمامه ولا أبناء أعمامه سوى علي، ولا زوجات رسول الله - رضوان الله عليهن، مع كون القرآن الكريم كان صريحا في اعتبار زوجات النبي من آله، بل إن القرآن لما ذكر أهل بيت رسول الله ﷺ صراحة، كان الحديث عن زوجاته رضي الله عنهن، كما قال تعالى ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا. وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا. وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب:٣٢-٣٤)، ويؤيد هذا أيضا حديث القرآن عن زوجة إبراهيم عليه السلام، وأن وصف القرآن جاء بمخاطبتها بلفظ (أهل البيت)، كما قال تعالى ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ . قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ (هود:٧٢ - ٧٣)، فجاء حديث القرآن عن زوجات النبي ﷺ ومن قبلهن زوجة إبراهيم عليه السلام مخاطبا بلفظة (أهل البيت)، قال ابن عجيبة في تفسيره:

ولذلك قالوا: (رحمةُ الله وبركاته عليكم أهل البيت) أي: بيت إبراهيم، وكذا قال البغوي في تفسيره، و غير واحد من المفسرين.

وأهل البيت في سورة الأحزاب، ذهب فريق من المفسرين على أن المقصود منها زوجات النبي ﷺ خاصة، كما قاله ابن عباس وعكرمة، ومنهم من رأى أنها في الأهل والأزواج، وذهب إليه الضحاك، ومنهم من قصرها على علي وفاطمة والحسن والحسين، ولكن سياق الآية هنا يجعل المقصود منها زوجات النبي لأن الحديث كله هنا لهن، وما قبل قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كان حديثا لأمهات المؤمنين، وما بعده يشهد لهذا أيضا، وهو قوله تعالى ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٣٤)، ولكن ذكر نساء النبي على أنهن (أهل البيت) لا يعني حصر (أهل البيت) عليهن، فليس الحديث هنا حديث حصر، فقد أطلق القرآن الكل وأراد به الجزء، وهو أسلوب من أساليب العرب المشتهرة، ويعرفه أهل البلاغة والبيان، فأهل الرجل هماأقاربه من الأبناء والزوجات والأعمام وذويهم.

ولهذا جاء في حديث زيد بن الأرقم قول النبي ﷺ: «ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال ومن هم قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة قال نعم» (أخرجه مسلم في صحيحه ج ٤/ ص ١٨٧٤ حديث رقم: ٢٤٠٨).

وعلى هذا، فمن عاشر الرسول ﷺ من أهله، فهو من الصحابة، وهم من أعلى الصحابة رتبة، فأولاده ﷺ وأولادهم ممن عاصر النبي ﷺ، هم من أهل بيته ومن أصحابه، وكذلك أعمامه وأبناؤهم ممن عاصره وآمن به، فيجمعون بين شرف الآل والأصحاب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وأصحابه من غير نسب بينه وبينهم هم من عاصره وعايشه وآمن به، أما من كان من نسل النبي ﷺ، ولم يكن في زمنه فهو من آل بيته دون أن يكون من صحابته، أما من آمن به ولم يعاصره من غير الصحابة فهم السلف من التابعين ومن بعدهم.

وعلى هذا، فهناك من آل البيت من هم في عداد الصحابة، وهم أهله الذين عاشوا معه وعاصروه ﷺ، ومن آل البيت من ليس من صحابته، وهم من آمن به ولم يعاصره.

ولست ممن أؤمن بجعل المسلمين في زمن النبوة فريقين فريقا يسمى الآل وفريقا يسمى الأصحاب، ففي عصر النبوة كان كل آل بيته هم من صحابته، لأنهم آمنوا به وعاصروه وعاشوا معه ﷺ، ولكنهم كانوا أعلى رتبة من الصحابة من حيث الجملة لا التفصيل الذين آمنوا به ولم يربطهم به نسب أو قرابة، أما في العصر الذي يليه بعد وفاته ﷺ، فاستمر آل البيت ممن هو من نسبه ولم يعاصره، و من آمن به من غير نسبه فهم التابعون ثم تابعو التابعين وغيرهم من السلف الصالح.

المراجع

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير - (٣ / ٣٥٤)
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، محمد خليل هراس (١ / ٣٣٥) طبع: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الأولى١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب محمد بن درويش الحوت، (١ / ٣١)، طبع دار الكتب العلمية.
- صب العذاب على من سب الأصحاب، للألوسي (١ / ١٢٤-١٢٦)
- الفتاوى (ج٢ ص٤٠٧)
- تفسير ابن كثير، (ج٤ ص ١١٢)
- تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي (ج٤ ص ٢٤٣)
- راجع: الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، تحقيق :أبو عبد الله السورقي،إبراهيم حمدي المدني (١ / ٥١). طبع: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- لسان المحدثين (معجم مصطلحات المحدثين) محمد خلف سلامة (٢ / ٣٢٢).
- أحكام القرآن (٣/٦٢٢).
- شرح صحيح مسلم (٤/٣٦٨).
- الإنصاف (٢/٧٩).
- صب العذاب على من سب الأصحاب، للألوسي (١ / ١٢٧ وما بعدها).
- البحر المديد لابن عجيبة، (٣ / ٦١).
- تفسير البغوي (٤ / ١٨٩)حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- النكت والعيون للماوردي (٣ / ٣٧٥).

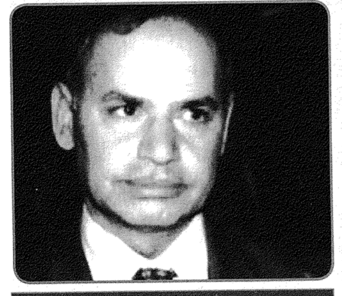


الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر:

التقريب ضرورة سياسية وفريضة مجتمعية

حوار: سالي مشالي

في ظل الظروف الاستثنائية والاحداث الساخنة التي تمر بها المنطقة، ووسط الفتن والصراعات، والأعداء الذين يستهدفوننا من كل جانب، ثارت الدعوات لتجاوز الخلافات ودعم وحدة المسلمين، وبين من يقول بضرورة إن يحذر السنة من الشيعة وأن يحذر الشيعة من السنة، ومن يقول إنه لا خطر من الشيعة على السنة أو العكس... كان هذا الحوار مع الأمين العام للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية د. محمد الشحات الجندي ... واليكم نص الحوار.:



■في البداية ما الذي ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين السنة والشيعة؟

- التقريب بين السنة والشيعة فريضة إسلامية مقررة بنص القرآن والسنة، كما في قوله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾(الأنبياء -٩٢)، وقول الرسول ﷺ: «من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه»(رواه مسلم) وهو ما يعني أن التوحد بين السنة والشيعة ركيزة شرعية وفريضة حتمية لا يتسنى للأمة أن ت نهض وأن تحقق مقاصد الإسلام ونهضة المسلمين إلا عن طريق هذه الوحدة.

■ومن أين تأتي دعوات التفريق؟

- الفرقة مطلب من مطالب أعداء الأمة، يمكن الاعداء من النيل منها، وهم يتعمدون تكريس التشرذم والانقسام، وهو ما نلاحظة في الآونة الأخيرة، فقد كثرت الانقسامات وعلت اصوات الطائفية والمذهبية البغيضة والعصبية الجوفاء، وقد تصدر بعض الآراء يقصد منها أصحابها الحفاظ على مذهبهم وأهلهم ولكنها تسبب هذا التفرق، ولهؤلاء اقول قول الرسول ﷺ: «ليس منا من دعا الى عصبية...» (رواه الترمذي) فلا يجوز إطلاق النعرات القومية لأن الاسلام هو الجنسية التي تجمع بين المسلمين جميعاً، فالأمة كلها سنة وشيعة ربها واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ودينها واحد وهو الاسلام، ونبيها واحد وهو محمد ﷺ، وكتابها واحد وهو القرآن الكريم.

■ كيف يمكن التقريب؟

- على الجميع سنة وشيعة أن يتفقوا على وحدة الصف الاسلامي، وأن ينأى كل فريق عن إثارة الأمور التي تسفه رأي الآخر، وأن يقوم الحوار بينهما على أساس من الإحترام المتبادل وأن يكون رائد الجميع المصلحة الاسلامية العامة بعيداً عن القطرية والفئوية والمذهبية، ولتكن هذه هي اللغة الأساسية للجميع في كل المحافل الدولية والمنظمات العالمية وفي مواجهة أعداء الأمة الذين يعتدون على أرضها وأهلها ويعملون على إضعافها وتفتيت وحدتها، ولو تم الالتزام بهذه القاعدة فسوف يثمر فوائد متعددة.

■وما الفوائد التي تتوقعها من هذا التقارب؟

- أهم فائدة ستكون في احترام الآخرين للمسلمين باعتبارهم كياناً عالمياً صلباً يحترم هويته ويدافع عن عقيدته ومصلحته، وبجانب أن هذا الالتقاء على الهدف يمتد لجوانب حياتية ويثمر مزيداً من الفوائد من أكثر من جانب، فمن الناحية الاقتصادية- على سبيل المثال - يمكن إقامة السوق العربية والاسلامية المشتركة أو إقامة اتحاد جمركي في مناطق عربية واسلامية، ومن الناحية التشريعية يمكن إنشاء محكمة عدل عربية واسلامية تتولى تسوية النزاعات التي تحدث بين الدول والاقطار الاسلامية، كما يمكن العمل على اصدار عملة موحدة مثل الدينار الاسلامي، ولو بشكل تدريجي، أما من الناحية الاجتماعية فإن هذا التقريب يحقق مطلباً جماهيرياً على مستوى الشعوب الاسلامية لأنها تستشعر في قرارة نفسها أنها أمة واحدة.

■وهل تجد هذا التقريب ممكناً في الوقت الحالي؟

المسلمون لم يحققوا إنتصاراتهم التاريخية إلا خلال فترات توحدهم

- الأصل في الأمة الإسلامية أنها أمة واحدة، والمخططات الاستعمارية هي التي فرقت بين ابنائها وصيّرتها الى وحدات سياسية وكيانات دولية متعددة، واذا عدنا للتاريخ نجد أن المسلمين لم يحققوا أمجادهم إلا في الفترات التي كانوا فيها موحَّدين، ونحن نرى هذه الوحدة متحققة بالفعل في أيامنا هذه أثناء اداء فريضة الحج كملتقى اسلامي يجمع بين ابناء الشعوب الاسلامية على اختلاف دولهم وعلى تعدد اجناسهم واختلاف الوانهم، ومع ذلك فإنهم يستشعرون جميعاً أن يتوجهوا الى الله - سبحانه وتعالى - ويحسوا انهم امة واحدة فرق بينها الاعداء، أما التمايز السياسي فلا ينبغي أن يقف عقبة أمام توحد المسلمين، وأن يعذر بعضهم بعضاً فيما يختلفون فيه، وأن يمتنع كل فريق عن تكفير الفريق الآخر أو النيل من عقيدته، فالاسلام دين الله ولا داعي لإثارة الفرقة والتحزب، وينبغي أن ينضوي الجميع تحت راية الاسلام وقبلة الاسلام وكتاب الاسلام ونبي الاسلام ويتناسى كل منهم خلافاته ويطرحها خلف ظهره.

■ معنى كلامكم أنك ترى أن الوحدة ممكنة ومتحققة بالفعل؟

- أنا أتبنى وجهة نظر الشيخ القرضاوي حول أهمية النظر للدول الاسلامية من خلال الجانب السياسي والمصلحة السياسية المترتبة على التقريب، والبعد عن الخلافات المذهبية.

■ وكيف يمكن أن يتحقق هذا؟

- ينبغي ان يمتنع كل طرف عما يعتبره نصرة لمذهبه وأن يضع نفسه في موضع الطرف الآخر، وأن يمتنع الجميع تماماً عن انتقاد وتسفيه بعضهم البعض، وعدم اثارة الحساسيات التي تؤدي الى مزيد من الانقسام، ويجب أن ننظر إلى مصالح الأمة العليا، فما يحدث الآن في فلسطين يستدعي أن تتضافر الجهود وتتوحد القلوب وتتكامل الأدوار، وان يتكاتف المسلمون سنة وشيعة لمواجهة العدو المشترك، وأن يعتبرا ما تمر به القضية الفلسطينية فرصة لإحداث هذا التقريب والبعد عما يُضعف المسلمين من رؤى مذهبية ضيقة تهدف الى اغراض سياسية تُشقي الأمة وتُضعف الإسلام، وعلى الجميع حكاماً ومحكومين أن يمنعوا نشر هذه الطائفية سعياً لمكاسب شخصية أو نفوذ سياسي، وهو ما يُعد - بيقين - ضد الاسلام، وعلى الجميع احترام الخلاف بين السنة والشيعة باعتباره خلاف تنوع لا خلاف تضاد او تناقض، ولا ندع الاختلافات السياسية والحرص على المصلحة القطرية تخصم من وحدة المسلمين العامة وتصبح مفتاحاً لأعداء الأمة، لا مانع أن تكون كل دولة قوية ولكن عليها الا تسعى لتحقيق هذه القوة على حساب إضعاف دولة مسلمة أخرى، فالمصلحة الآنية والمهمة والتي ينبغي تحقيقها هي التقارب السياسي والاقتصادي والاجتماعي، حتى تقوم أمتنا من كبوتها، وتستعيد مكانتها.

أطروحة دكتوراة تدرس:

معالم وأدوار الفكر التربوي الشيعي في المجتمع الإسلامي المعاصر

قراءة: حمدي عبد العزيز ●

أسهمت عدة مدارس فكرية في تشكيل الحياة الفكرية والثقافية الإسلامية خلال ما يزيد على أربعة عشر قرناً، ويكاد يتفق الباحثون في التاريخ الإسلامي على أن هناك أربع مدارس رئيسة كان لها الدور الأساسي في الحياة الإسلامية، هي: مدرسة أهل السنة، والمدرسة الامامية، المعتزلة، الصوفية.

وقد نوقشت بدايات العام ٢٠٠٨ بأحد الجامعات المصرية أطروحة دكتوراة للباحث التربوي حسان عبد الله حسان حول الفكر التربوي الإمامي، ونال عنها درجة الدكتوراة مع مرتبة الشرف، ثم صدرت بعد ذلك بفترة وجيزة في بيروت عن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإنساني.

الفكر الإمامي.. لماذا؟

يقول مؤلف الدراسة إن هناك حزمة من الأسباب التي دعت إلى البحث في الفكر التربوي الإمامي، أهمها: أولا: أن الشيعة - موضوع البحث - من الفرق الإسلامية التي أسهمت بشكل واضح في الجانب العلمي والتربوي في الحضارة الإسلامية، وفي الوقت نفسه لم تنل من الاهتمام ما يكفي للتعرف على كل إسهاماتها الحضارية والمعاصرة.

ثانيا: أن المجتمع الشيعي المعاصر أصبح مجتمعا فاعلا اجتماعياً، ومن ثم فمن الضرورة بمكان معرفة الفكر التربوي الذي يوجه هذا المجتمع، على اعتبار أن التربية هي قائدة التغيير والتنمية في المجتمع، وهذه من الحقائق المسلم بها بين المربين والاجتماعيين والسياسيين.

ثالثا: الرغبة في فتح آفاق جديدة للبحث في التربية الإسلامية غير العربية، وهذا يؤدي بدوره إلى استفادة المجتمع العربي المعاصر من تجارب وأنماط من الأنساق التربوية لمجتمعات تتشابه معه في الظروف والمتغيرات نفسها، فضلاً عن التشابه في الخلفية العقدية.

رابعا: تحقيق قدر من التبادل المعرفي الموضوعي بين عنصري العالم الإسلامي، السنة والشيعة -لاسيما في ظل المتغيرات العالمية والإقليمية الأخيرة- بما يساهم في بناء شخصية إسلامية قادرة على مواجهة التحديات، وهو ما يبرز دور التربية في تحقيق الوحدة الإسلامية

قضية الدراسة وانعكاساتها المختلفة

تتساءل الدراسة عن تأثير الفكر الشيعي الاثنى عشري على جوانب الحياة المختلفة للفرد والمجتمع الشيعي المعاصر، وبالتالي تسعى إلى

● صحفي مصري مقيم بالبحرين

إلقاء الضوء على موقع التربية من هذا التأثير باعتبارها المسئولة عن قيادة المجتمع إلى التطوير أو التجديد وبناء الدولة، ومن ثم كان التساؤل الرئيسي هو: ما معالم الفكر التربوي المعاصر عند الشيعة الإمامية الاثنى عشرية؟ وتفرع من هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية سعت فصول البحث إلى الإجابة عليها، وهي: ما السياقات الاجتماعية والفكرية للفكر التربوي الشيعي المعاصر؟، ما مصادر الفكر الشيعي المعاصر؟، ما النظرية التربوية التي يتبناها الفكر الشيعي المعاصر؟، ما وسائط التربية المعاصرة عند الشيعة؟، ما معالم النظام التعليمي المعاصر في إيران وقضاياه؟

نتائج مهمة

إن السؤال الذي لم تطرحه الدراسة ولكنها أجابت عليه بشكل مباشر هو: هل أثرت الأبعاد الفكرية والتاريخية على السلوك الاجتماعي والسياسي للشيعة في الاسلام؟

والإجابة هي: نعم!، حيث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج العامة التي تحدد هذا السلوك مثل: أولا: أن البعد التاريخي لنشأة الشيعة- وفقاً للتفسيرات المختلفة - كان له أثره التربوي الواضح، حيث أصبح الهدف الأساسي للفكر التربوي الشيعي هو تكوين شخصية تقوم على مضامين ومفردات التمايز والخصوصية.

ثانيا: أن البعد الاجتماعي لنشأة الشيعة وما تأثر به من أحداث ووقائع سياسية مختلفة أدى إلى تبني الفكر التربوي الشيعي نسقاً فكرياً يقوم على تأكيد مفاهيم «الجماعة» و «الأقلية» و«الفئة» في مقابل المجتمع الأكبر الذي ساعد في تأصيل هذه المفاهيم في الشخصية الشيعية.

ثالثا: أن النسق الفكري والثقافي للشخصية الشيعية قد تأثر بمجموعة من العوامل التاريخية والاجتماعية مرت بها الجماعة الشيعية خلال المراحل والأدوار التي تكونت فيها، أدت إلى بلورة مجموعة من الأصول الفكرية والثقافية التي ساهمت فيما بعد في تشكيل الشخصية الشيعية عبر التاريخ وهي: الوصية أو النص للأئمة الاثني عشر بعد النبي ﷺ، عصمة الأئمة، التقية، الغيبة أو المهدوية.

وبمجئ الإمام الخميني في القرن العشرين حدثت بعض التطورات في هذه الأصول أهمها إلغاء التقية، حيث أعلن أنه لا تقية لشيعي بعد اليوم، أي بعد الثورة الإسلامية، وأنتج وطور نظرية ولاية الفقيه، وهي تعديل لفكرة الانتظار السلبي في ظل الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر.

من الأصول التربوية

تذكر الدراسة أن الفكر التربوي الشيعي يستمد محدداته العقدية من خمسة أصول أساسية هي: التوحيد، النبوة، العدل، الإمامة، المعاد، وينفرد الشيعة بالقول بالإمامة وهي أساس الاختلاف بين الشيعة والسنة على المستوى المذهبي، وتحاول الآراء والكتابات الشيعية المعاصرة التقريب بين الشيعة والسنة فيما يتصل بمسألة الإمامة من خلال تجاوز الآراء الشيعية القديمة التي تؤكد على أن الإمامة من أصول الإيمان وجعلها من أصول المذهب فقط، وقد ذهب إلى ذلك علماء ومراجع شيعة كبار أمثال محمد كاشف الغطاء، وغيره.

وتؤكد أن الفلسفة التربوية الشيعية تتفق مع النظرية التربوية الإسلامية لاسيما في أهداف التربية وغاياتها، والأبعاد الأخلاقية والمعرفية والرؤية الكونية، بينما تتمايز عنها في عنصرين أساسيين، هما: الإمامة والنظرة إلى المجتمع، حيث يذهب التفسير المذهبي الشيعي إلى تقسيم المجتمع الشيعي إلى ثلاثة أصناف: الأول: مجتمع الحضور، أي الذي شهد حضور الأئمة، والثاني: مجتمع المنتظرين، أي الذي يعيش فترة انتظار الإمام المهدي، والثالث: المجتمع المهدوي أو المجتمع الذي يشهد عصر ظهور الإمام المهدي.

مدخل جديد للتقريب

قدمت الدراسة عددا من التوصيات والمقترحات في ضوء البحث والتحليل للفكر التربوي الشيعي المعاصر، منها:

دراسة صورة أهل السنة في مناهج التعليم العام الإيرانية، للوقوف على مدى تحقيق الثورة الإسلامية للانسجام الإسلامي والاجتماعي في إيران.

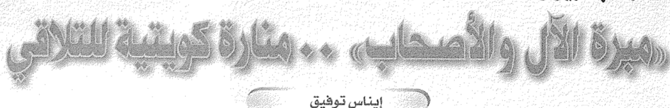
ضرورة توجيه نظر الباحثين في ميدان التربية إلى البحث في فلسفات التربية المختلفة في العالم الإسلامي، لاسيما الفكر التربوي الشيعي المعاصر، وذلك لثراء تجربته التربوية من ناحية، وللتقريب الفكري بين الباحثين في العالم الإسلامي من ناحية أخرى.

تقديم اللغة الفارسية في التعليم العام في مصر- كلغة ثانية-، حيث إنها تعد احدى أهم اللغات التي يتحدث بها عدد كبير من المسلمين، بعد اللغة العربية، بالإضافة إلى غزارة الإنتاج الفكري والتربوي الذي يصدر سنوياً بهذه اللغة، والتي يقف الجهل بها عائقاً أمام التعرف عليه.

وأوصت الدراسة أيضا بتعديل مفاهيم «التربية الإسلامية» لدى الباحثين، والتي اقتصرت في أذهانهم على التربية عند «أهل السنة»، وذلك بإدخال المذاهب الإسلامية الأخرى مثل الإمامية، الزيدية، الإباضية في هذا المفهوم، لاسيما وأن هذه المذاهب الإسلامية فاعلة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وتنشيط حركة ودور الترجمة من لغات العالم الإسلامي إلى اللغة العربية، لإحداث نوع من الانفتاح الثقافي والفكري بين أبناء الأمة الواحدة.

ويستخلص الباحث في خاتمة دراسته العلمية درسا هاما للنظام التربوي والتعليمي العربي، يتمثل في تأكيد مبدأ «الاستقلالية الفكرية»، أي أن يكون النظام التربوي العربي مستقلاً في تفكيره، ويعود إلى هويته الإسلامية التي انسلخ عنها، والعمل على إيجاد فلسفة تربوية عربية واضحة المعالم، مما يترتب عليه وجود نوع من التعليم محدد الأهداف، متوافق مع قيم وعقيدة وتراث المجتمع العربي، إضافة إلى غرس روح الإرادة والتحدي في النشء، وهو ما تفتقده الشخصية العربية نتيجة لضعف بنائها التربوي، نظرا لأن حالة الاضطراب التي يعاني منها التعليم في العالم العربي ناتج بصورة أساسية عن عدم وجود فلسفة تربوية واضحة المعالم، وعن التبعية العمياء للمنهج الغربي.

نقلتها البحرين والمنطقة العربية بحاجة لتعميمها



«مبرة الآل والأصحاب».. منارة كويتية للتلاقي

إيناس توفيق

وسط الحراك الفكري والتنظيرات المتنوعة لمد جسور التواصل تأسست «مبرة الآل والأصحاب» كأول تجربة عملية، بموجب قرار وزير الشؤون الاجتماعية والعمل رقم ٢٨/٥/٢٠٠٥م، وقد سجلت المبرة في إدارة الجمعيات الخيرية والمبرات بوزارة الشؤون تحت رقم ٢٣ بين المبرات الخيرية في الكويت، في محاولة لإظهار الترابط والمحبة التي تجمع بين آل بيت النبي ﷺ والصحابة الكرام ظهرت في الثناء المتبادل، وترضي بعضهم عن بعض، بل تصاهر بعضهم مع بعض، وتسمي بعضهم بأسماء بعض، رضي الله عنهم جميعا.

ورغم تلك الحقائق إلا أن تاريخ آل بيت النبوة الأطهار وصحابته الأخيار اختلط فيه الخطأ بالصواب، وشابه لبس، وتداخلت فيه الروايات، وزيد عليه ما ليس منه، لهذا نشأت المبرة لتخدم الأمة والمجتمع من خلال عمل مؤسسي هادئ يغرس محبة الآل والأصحاب في نفوس المسلمين، وينشر العلوم الشرعية المتعلقة بتراث الآل والأصحاب بين أفراد المجتمع، ويقوم بالتوعية بدور الآل والأصحاب وما قاموا به من خدمات جليلة لخدمة الإسلام.

الأمة الإسلامية أمام تحدي وجود يستوجب طرح الخلافات جانباً

النهوض الواقعي

وتعمل المبرة على غرس محبة الآل (آل البيت) الأطهار والأصحاب (الصحابة) الأخيار في نفوس المسلمين، ونشر العلوم الشرعية بين أفراد المجتمع وخصوصا تلك المتعلقة بتراث الآل والأصحاب من عبادات ومعاملات.

وتقوم المبرة بنشر الصفحات المشرقة من تاريخ الآل الأطهار والصحب الأبرار، وبيان ما كان بينهم من صلة ومحبة، وقرابة ومودة، وصهر ونسب، والتوعية بأدوارهم في خدمة الإسلام والدفاع عن المسلمين وتحقيق هدي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودعم الوحدة الوطنية، وزيادة التقارب بين شرائح المجتمع من خلال تجلية بعض المفاهيم الخاطئة التي رسخت في نفوس بعض المسلمين عن أهل البيت الأطهار والصحابة الأخيار.

استراتيجية إطفاء الحرائق

وتعتمد المبرة، التي يرأس مجلس إدارتها د.عبدالمحسن الجار الله الخرافي الأستاذ بجامعة الكويت، الإغاثة الفكرية لمواجهة مخاطر الطائفية التي تعد بحق أكبر الهواجس التي يمكن أن تعصف بأمن المنطقة؛ بسبب الفهم المغلوط لتراث آل البيت والصحابة الذين كانت لهم علاقة حميمة بين بعضهم البعض، ومع خطأ هذه المفاهيم ازداد الشعور الطائفي رغم أن أصحاب الشأن كانت علاقتهم في أفضل صورة من الحميمية.

العمل الخيري الفكري بات أولوية لنزع فتيل الطائفية بطرح عقلاني وواقعي

وتنطلق سياسات المبرة من نهج أساسي وهو تجنب التدخل في السياسة والبعد عن المنازعات أو ما من شأنه إثارة العصبيات الطائفية والعنصرية، وخدمة جميع الشرائح الاجتماعية من خلال الفئات العمرية من الذكور والإناث في نطاق جميع أنحاء الكويت، والانفتاح على شرائح المجتمع وإفادة الجميع.

الإغاثة الفكرية

وتشتمل المنظومة الفكرية للمبرة على مجموعة من الأهداف لتكريس مفاهيم الوسطية الواضحة في أذهان المسلمين الأمر الذي يلغي فكرة النزاعات الطائفية، ويسحب البساط من تحت أرجل كل الغلاة من الجانبين، وهم الذين ينقبون عن فوارق مصطنعة بين آل البيت والصحابة.

وتضع المبرة الإغاثة الفكرية أو العمل الخيري الفكري كأولوية أساسية، لنزع فتيل الطائفية بطرح عقلاني وواقعي، ودون مواجهة حادة أو ميدانية، وتبرز فعالية الإغاثة الفكرية في الوقت الذي تتقدم فيه الإغاثة المادية بقوة، ونظرا لما تواجهه المنطقة العربية من متغيرات سياسية، قد تلهبها إثارة النعرات الطائفية، التي يثيرها البعض وتؤثر سلبا ليس على المنطقة فقط،

مبرة الآل والأصحاب

خطب منبرية في تراث الآل والأصحاب

الشيخ الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد
إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة
الشيخ الدكتور عبدالمحسن القاسم
إمام المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة
الشيخ الدكتور وليد العلي
إمام مسجد الدولة الكبير بدولة الكويت

الآل والصحابة .. محبة وقرابة

وإنما على الأمة الإسلامية بكاملها.

كما تتركز جهود المبرة في إعادة تقديم تراث آل البيت والصحابة بشكل صحيح تحترم فيه ثوابت كل مذهب؛ دون أن يتخلى أحد عن مذهبه، ودعم الوحدة الوطنية وزيادة التقارب بين شرائح المجتمع من خلال تجلية بعض المفاهيم الخاطئة التي رسخت في بعض النفوس عن أهل البيت الأخيار والصحابة الأطهار.

ومن أبرز التحديات التي تواجهها المبرة استقطاب خَيِّرين جدد؛ فكل العاملين في المجال الخيري مشغولون بما لديهم من مشروعات خيرية لا يمكنهم التخلي عنها.

وسائل وآليات

لتحقيق تلك الأهداف الحضارية التي وضعتها المبرة، اعتمد القائمون عليها إقامة الندوات والمحاضرات، ونشر الكتب والأشرطة التي تحقق أهداف المبرة، وكذلك تأسيس مجلة، والبدء في عمل موسوعي ضخم عن آل البيت والصحابة.

ومن أبرز إصدارات المبرة؛ «شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين» و«ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت»، و«تذكير الصديق.. بصلة القرابة بين الصادق والصدّيق»، وهناك إصدارات عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين وفاطمة وعائشة وخديجة وحفصة وحمزة رضي الله عنهم جميعا، بالإضافة إلى كتاب «كيف نقرأ تاريخ الآل والأصحاب»، وشجرة بأولاد النبي ﷺ وأولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد عثمان، وأولاد علي، وأولاد موسى الكاظم، رضي الله عنهم، ويظهر في هذه الشجرة المصاهرة والنسب بينهم جميعا.

وغيرها الكثير مما لا يخرج عن إطار التقريب تحت شعار: «آل البيت والصحابة.. محبة وقرابة».

آفاق التمويل الواسعة

وتعتمد المبرة في تمويلها على المبالغ المخصصة من قبل المؤسسين والوصايا والأثلاث والهبات، وأية مساعدات أخرى تقدم للمبرة في سبيل تحقيق أهدافها بالإضافة إلى الزكاة من مصرفها السابع: «وفي سبيل الله» بناء على فتاوى الهيئة الشرعية في بيت الزكاة بالكويت، ولجنة الإفتاء بوزارة الأوقاف، والرئاسة العامة للدراسات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالسعودية، ومجلس المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، وندوة الاقتصاد الإسلامي.

أقوال وبرامج عملية

ومن روائع الأقوال والآثار التي تنطلق منها المبرة في أنشطتها العملية قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام «ولدني أبو بكر الصديق مرتين».. فالإمام جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، هذا نسبه من جهة أبيه، ومن جهة أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأم فروة أمها أسماء بنت عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق؛ لهذا جاءت تسمية فروة بنسبها من أمها وأبيها إلى أبي بكر الصديق، ومنه قال الإمام جعفر: «ولدني أبوبكر الصديق مرتين»، ولذلك يقال له: «عمود الشرف» أي إنه عليه السلام يجمع في شرف نسبه بأخذه من بني هاشم من جهة أبيه، وأخذه من آل أبي بكر الصديق من جهة أمه.

فلسطين واللا مبالون الجدد

عبدالفتاح إسماعيل

الآن أصبح وضع قطاع غزة بصفة خاصة وفلسطين بصفة عامة يوصف بأنه الأسوأ وانه يحمل كارثة تعد الأسوأ في تاريخ البشرية، وهي بذلك أصبحت وصمة عار على جبين البشرية.

فالبشاعة هي الصورة التي اصبحت تطل علينا يومياً من خلال وسائل الاعلام المختلفة فتنقل لنا مشاهد من العنف والقسوة والوحشية والدمار والتجويع والتجريف والتخويف والارهاب وتكسير العظام وقتل الذين هم في عمر الزهور فلم يسلم حتى الشجر والطير ولا حتى الحجر من ايذاء الصهاينة اليهود الذين ادانهم حتى منصفي اليهود.

مناظر تنخلع لها القلوب حتى لتكاد تصل الى الحناجر، فهل مات داخلنا الضمير الانساني بحيث أصبح الانسان لايشعر بداخله بانسانية الانسان ولا يهتم لأمر المسلمين؟!

فها هي مذبحة غزة تضاف الى سلسلة المذابح الوحشية التي ارتكبها اليهود الصهاينة على ارض فلسطين الحبيبة ابتداء من مذبحة «دير ياسين» وانتهاء بمذبحة غزة.

وعندما أستحضر في ذهني صورة للواقع الفلطسيني وبخاصة في غزة الآن أجد ان الصورة تشبه الى حد كبير صورة البوسنة أثناء الحرب الصربية عليها فوجه الشبه واحد في انها حرب مخطط لها ضد المدنيين العزل، فكلا الشعبين يجوع ويحاصر ويباد، الى غير ذلك من وسائل التطهير العرقي، حرب تخصصت في اعمال القتل والخراب وقصف البيوت على رؤوس اصحابها ولم تحترم حتى قوانين الحرب نفسها بل ألقت بكل المواثيق الدولية والاتفاقيات عرض الحائط.

ففي مذبحة غزة كان ومازال ذبح الاطفال والنساء هو هدف اليهود الصهاينة، اما في مذابح البوسنة فكان ذبح الرجال هو الهدف.

وقد ارتبط مع الوضع في فلسطين والوضع في البوسنة موقفان- في نظري - حملا لنا اسمى المعاني الانسانية.

أما الموقف الاول على ارض فلسطين فكان موقف الشاعرة «راتشيل كوري» الأميركية الجنسية والتي تمر ذكراها الخامسة هذا العام، فقد جاءت الى فلسطين عام ٢٠٠٣ مع وفد التضامن العالمي لمساندة الشعب الفلسطيني ضد الاحتلال الاسرائيلي، فحين رأت وعرفت الكثير من الألم والحصار الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني اصرت حينها على ان تفعل ولو شيئاً بسيطاً فتشارك هذا الشعب آلامه، فوقفت بجسدها امام جرافة اسرائيلية كانت متوجهة لهدم أحد المنازل الفلسطينية في مدينة رفح، لكن سائق الجرافة الاسرائيلية لم يأبه لكل نداءاتها او حتى الى لون ملابسها البرتقالية والتي تمثل شارة الوفد العالمي ولم يهتم حتى بأنها أميركية وهي التي لا يمكن بأي حال من الاحوال ان يتجرأ عليها أحد ويؤذيها، وقام بدهسها بكل برود!.

أما الموقف الثاني على ارض البوسنة وكان بالتحديد في مطار سراييفو وكان صاحب هذا الموقف هو الرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» عام ١٩٩٢حين قام برحلة الى مطار سراييفو المحاصر اثناء الحرب لغرض فتح الطريق امام المساعدات الانسانية لنحو ٣٠٠ الف مسلم مدني كانت تحاصرهم القوات الصربية وقد نجا يومها من اطلاق النار عليه لدى عودته من اجتماع مع زعماء البوسنة في مدينة سراييفو واضطر الى الاختباء في مبنى المطار لحين توقف القتال!

وهنا في كلا الموقفين لنا وقفة، فقد كان ثمن موقف «راشيل كوري» هو حياتها، أما موقف الرئيس الفرنسي الراحل «فرانسوا ميتران» فقد كاد يومها ان يدفع حياته ثمنا لموقفه! وأن كلا الموقفين حمل لنا مشاعر مرهفة ومفعمة بالعواطف الانسانية النبيلة التي سطرت لنا مثالاً يحتذى به في موقفهما الرافض للظلم ايا كان مصدره.

وان اكبر اسفنا على اللا مبالين الذين يقول لسان حالهم «انا مالي» او «انا ومن بعدي الطوفان» فاصبحوا يرون ان ما يجري على ارض فلسطين هو شيء طبيعي وحين استشعر العدو الصهيوني هذا الشعور ظن انه باستطاعته ان يزرع الخوف واليأس ويكسر الذراع الطولى للشعب الصامد المرابط، غير ان قدر الله غالب ونصره للمؤمنين محقق بإذنه تعالى.

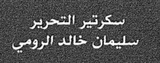
أما آن لنا ان نعتبر من مواقف اطفال فلسطين حين يتصدى الصبي بجسده الصغير ممسكاً في يده حجراً وهو الاعزل ليواجه به دبابات «الميركافا» وطائرات الاباتشي وصواريخ الليزر؟! والله انها لمواقف وافعال ترتفع معها هامات الشرفاء كما ننحني لها احتراماً وتقديراً فهم العزة والكرامة

يقول الشاعر - كمال خضر:

حتى متى يا أمتي تبقى سيوفك مغمدة
وهي التي دكت لقيصر عرشه والأعمدة
وإلى متى تبقى الجياد الصافنات مقيدة
وهي التي عبرت لتفتح مانعات موصدة
ومتى نهب لمن دعا وا مسلماه لننجده
يا أمة وهنت وصارت دون جهد مجهدة

فلقد أثبتت الأيام وحشية اليهود وتجردهم من الآدمية كما اثبتت ايضاً ان كل مشاريع السلام ما هي الا اشجار بلا جذور وان ثمارها هي امر من العلقم والحنظل، فإلى متى سنظل نتجرع المر و العلقم؟!





سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي



سلاحنا لإخواننا في غزة

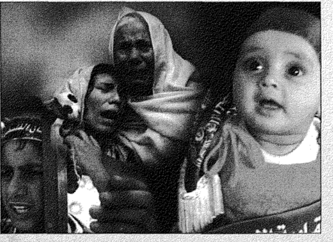
أحداث غزة سيطرت على أجوائنا اليومية، فلا تمر لحظة ولا ثانية إلا وما يتعرض له إخوة الدين في غزة تمر مشاهده الدامية على أذهاننا، فتعصر قلوبنا وتدمع عيوننا، ويصبح العاقل فينا سائلا نفسه: ما العمل؟ وكيف نخفف عنهم ما يلاقونه صباح مساء؟ وهل لنا دور منتظر نقوم به؟

نعم هناك كثير من الأعمال البسيطة التي تصغر في العين لكنها تؤثر في نصرة الإخوة الكرام، أهل غزة، وأحب أن ألفت نظركم اليها - رغم أنها معتادة عند الكثيرين منا - لتكون سلاحنا الذي نهديه لغزة دون منة أو تفضل، فهذا واجب الأخ نحو أخيه.

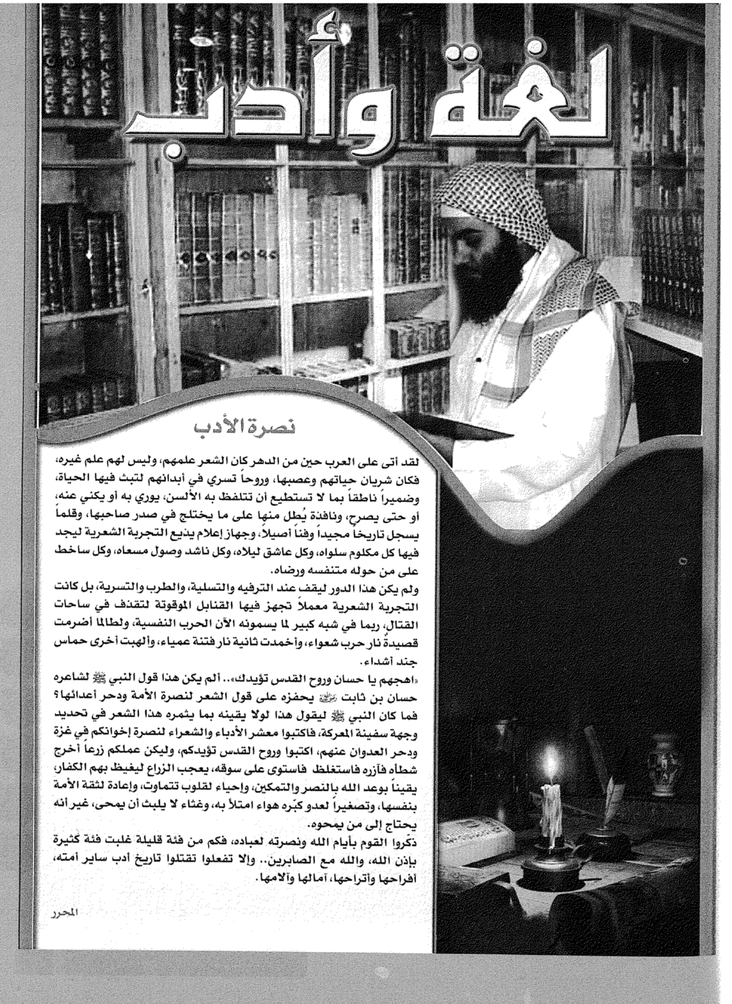
أولها قول الله تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾(البقرة - ١٨٦) فالدعاء - كما أنه عبادة - هو سلاح من لا حول له ولا قوة، فواجبنا التزام الدعاء لاخواننا، أن يصبرهم الله تعالى على ما يجدونه من محن ومصائب يشيب لها رأس الصبي، ويثبتهم - سبحانه وتعالى - أمام أهوال القصف المتواصل والعشوائي الذي لا يعرف مدنيا ولا رضيعا ولا صغيراً ولا مسناً ولا بيتاً ولا مستشفى ﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾(التوبة - ٨)، فنعاهد أنفسنا أن نرفع الكفوف ونكثف الدعاء، فلا نتركه قبل إقامة الصلاة ولا عند السجود ولا عند أوقات السحر أو غيرها من الأوقات إلا ونلح بدعاء المضطر الذي يستيقن أن الحول والقوة بيد الله تعالى وحده، وأن الله على كل شيء قدير ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض﴾(النمل - ٦٢).

ثانيها: كل منا يملك المال، بأي صورة كان، ويستطيع أن يخرج منه ما يريد، ليفرج هم من فقد ماله وداره وقوته من أهل غزة المنكوبين، ومن زاد في صدقته كان من أهل البر الأخيار، كعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنهما - صحابة نبينا الأطهار، فقد وصف الله تعالى الصدقة العظيمة قائلاً سبحانه: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم﴾(آل عمران - ٩٢).

ثالثا: بعد منع إسرائيل لمراسلي القنوات الغربية من تغطية أحداث ومآسي غزة، فإنه أصبح لزاماً على كثير من شباب أمتنا البارع والماهر في تصميم ودخول المواقع الالكترونية أن يسخر نفسه وطاقته لنصرة الإخوة في غزة بالصورة والكلمة المؤثرة، أمام الرأي العام الغربي، وغير الإسلامي، فالكثير منهم يعشق زيارة المواقع المصورة، ويبحث عن الإثارة ويتحمس للدفاع عما يحزن له، وهو ما نحتاج إليه - خاصة - بعد إخفاق مجلس الأمن في تنفيذ قراراته لإنصاف أهلنا في غزة.



وأخيرا: اللهم فرج عن إخواننا في غزة، اللهم اربط على قلوبهم، اللهم ثبت أقدامهم، وانصرهم بجنودك في السماء والأرض الذين لا يعلمهم إلا أنت، اللهم سخر لهم عبادك وخلقك، وارزق شهداءهم الجنة، واكشف ضر مريضهم، اللهم عجل نصرهم وفرج همهم وأبدل همهم نصراً وفرحاً، فأنت حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول لنا ولا قوة إلا بك.



لغة وأدب

نصرة الأدب

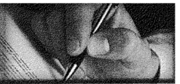
لقد أتى على العرب حين من الدهر كان الشعر علمهم، وليس لهم علم غيره، فكان شريان حياتهم وعصبها، وروحاً تسري في أبدانهم لتبث فيها الحياة، وضميراً ناطقاً بما لا تستطيع أن تتلفظ به الألسن، يوري به أو يكني عنه، أو حتى يصرح، ونافذة يُطل منها على ما يختلج في صدر صاحبها، وقلماً يسجل تاريخاً مجيداً وفناً أصيلاً، وجهاز إعلام يذيع التجربة الشعرية ليجد فيها كل مكلوم سلواه، وكل عاشق ليلاه، وكل ناشد وصول مسعاه، وكل ساخط على من حوله متنفسه ورضاه.

ولم يكن هذا الدور ليقف عند الترفيه والتسلية، والطرب والتسرية، بل كانت التجربة الشعرية معملاً تجهز فيها القنابل الموقوتة لتقذف في ساحات القتال، ربما في شبه كبير لما يسمونه الآن الحرب النفسية، ولطالما أضرمت قصيدةٌ نار حرب شعواء، وأخمدت ثانية نار فتنة عمياء، وألهبت أخرى حماس جند أشداء.

«اهجهم يا حسان وروح القدس تؤيدك».. ألم يكن هذا قول النبي ﷺ لشاعره حسان بن ثابت ﷺ يحفزه على قول الشعر لنصرة الأمة ودحر أعدائها؟ فما كان النبي ﷺ ليقول هذا لولا يقينه بما يثمره هذا الشعر في تحديد وجهة سفينة المعركة، فاكتبوا معشر الأدباء والشعراء لنصرة إخوانكم في غزة ودحر العدوان عنهم، اكتبوا وروح القدس تؤيدكم، وليكن عملكم زرعاً أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار، يقيناً بوعد الله بالنصر والتمكين، وإحياء لقلوب تتماوت، وإعادة لثقة الأمة بنفسها، وتصغيراً لعدو كبّره هواء امتلأ به، وغثاء لا يلبث أن يمحى، غير أنه يحتاج إلى من يمحوه.

ذكّروا القوم بأيام الله ونصرته لعباده، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين.. وإلا تفعلوا تقتلوا تاريخ أدب ساير أمته، أفراحها وأتراحها، آمالها وآلامها.

المحرر





"المقامة الغزِّيَّة" (1)

أحمد إبراهيم ●

هذه المقامة الغَزِّيَّة بعد المقامة الدِّينارِيَّة، سميتُها بهذا الاسم، لِما حل بغزة من الظلم، من جوع وحصار، ثم بطش ودمار، فقُتِلَ الأبرياء، وسالت الدماء، وتناثرت الأشلاء، فلا يُلام حرٌّ إن مات بعد ذلك من الهمِّ، أو ذهبت نفسُه حسرةً من الغمِّ (2)، والكلامُ عن مأساة غزة غيرُ كافٍ، والوصفُ غيرُ وافٍ، والبيانُ غيرُ شافٍ.

خطبٌ ألمَّ فلم يَسْطِعْ تحمُّلَهُ
لفرط وطأته قلبٌ ولا خَلَدُ(٣)

لقد رأينا المعتدين يدمرون المساجد(٤)، ويدنسون الكتاب الخالد، ولم يرحموا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، قتلوا الطفلَ أمام والدته، والرجلَ مع أسْرَته.

يا غيرةَ الله ابطشي بعصابة
ألهاهمُ الجبروتُ والطغيانُ
ولقد أُهينت للمساجد حرمةٌ
وأُهين في محرابها القرآنُ(٥)
ونحن، لعجزنا، لا نَملِكُ عُدَّةً غَيْرَ الدُّعَاء،
وَلا حيلةَ إلاَّ الرَّجَاء، فيا رَبِّ:
أدركْ بنصرك" أهلَ غزةَ" إنهم
ظُلموا فريعَ الشيبُ والشبانُ
أدركْ بها الضعفاءَ واستعجل فقد
عزَّ النصيرُ وقلَّت الأعوانُ
وجرت دموع الحزن فوق خدودهم
وتقرحت منهم بها الأجفانُ(٦)

أيها الناس إني سائلكم، وبالله مستحلفكم، هل رأت البشريةُ منذ وجودها، مثل هذه الفظائع، أو عرفت البَرِيَّةُ عبر عهودها، مثل تلك الشنائع، هل فعل فرعونُ عُشْرَ ما فعلوا؟ وهل قتل نُمرودُ(٧) معشارَ معشار ما قتلوا؟ بل لو وُضعت جرائم الطغاة عبرَ القرون في كفة، ووضعت جرائم أولئك في كفة، لرجحت كفة إجرامهم، وطاشت كفة أقرانهم.

يا قوم.. اقطعوا حبال مَنْ ساند الطغاة، وانبذوا مَنْ صمت عن أفعال البغاة، يا قوم كيف تأكلون وتشربون، وتلعبون وتطربون، وأهل غزة يموتون؟

أينَ الحَفائظُ ما لَها لَم تَنبَعث
أينَ العَزائمُ ما لَها لا تَنبَري
عِندَ الخُطوبِ النُكرِ يَبدو فَضلُكم
وَالنارُ تُخبِرُ عَن ذَكاءِ العَنبَرِ (٨)

فاجأروا بالدعاء لهم في الأسحار، وسلوا لهم التثبيت والنصر آناء الليل وأطراف النهار، ادعوا لهم، قولوا: اللهم كن معهم، فمن كان الله معه فهو الغالب، ومن كان عليه فهو الخائب، ولا تبخلوا بمدِّ يد العون لهم، فقد أعرض قريبُهم عنهم، وجار عدوُّهم عليهم، فلا تغضوا الطرف عن مأساتهم.

وَكَيفَ تَنامُ العَينُ ملءَ جُفونها
عَلى نَكَباتٍ أيقَظَتْ كُلَّ نائم (٩)

يا قوم..عودوا إلى أصلكم، عودوا إلى جوهركم، ففي أصلكم الشهامة والوفاء، وفي جوهركم النجدة والإباء، فأنتم أحفاد الفاتحين، وأبناء الغر الميامين، فخذوا نصيباً من مآثرهم، وأعيدوا شيئاً من مفاخرهم، وهبوا لنصرة غزة، وسجلوا وقفة عزة.

سأفعلُ فعلَ أجدادي فإمَّا
كما نالوا وإمَّا حيثُ صاروا(١٠)

وأنتم أيها المعتدون، وايْم الله (١١) إنكم أنتم الخاسرون، نعم خسرتم كل ما تريدون، ولم تحققوا ما إليه تَصْبُون، فإذا كانت غايتكم من عدوانكم تحقيق الأمن والأمان، فهذا لم يكن ولن يكون لمجرم عبر الزمان، لأن اللص يحسب كل صيحة عليه، وكل سهم موجهاً إليه، فلا يطيب له رقاد، ولا يتحقق له مراد.

وإن كان مرادكم من فعلكم، التخويف والترويع، والترهيب والتركيع، فهذا ضرب من المحال، لأن الخوف لا مكان له في قلوب الرجال، وأمامكم رجال يطلبون الموت ويريدونه، كما تفرون منه وتخشونه.

كفاكم أيها المعتدون عدواناً، وتجبراً وطغياناً، واعلموا أن دماء أجدادنا، ما تزال تسري في عروقنا، وغبار فتوحهم ما يزال محلقاً في سمائنا، فاحذروا غضب الحليم، كما نحذر منكم غدر اللئيم، فلقد أوشك صبر الأمة على النفاد، وهي عازمة على إعادة الأمجاد.

فَتَقوم أحفاد لأجداد مضوا
وَتعيد مجد أولئك الأجداد(١٢)

ويا أهل غزة، أنتم رمز العزة، أرضكم مثوى الكرام، ومنبت الأعلام، ولست مبالغاً في هذا الكلام، ألم تضم أرضكم في بطنها هاشماً(١٣)، وتُخرج للإسلام عالماً(١٤)؟ هاشم عنوان الجود والبذل، والشافعي صنوان العلم والفضل، اسمع إلى قول القائل من الفحول الأوائل(١٥)، يرثي هاشماً، فيقول متألماً:

مات الندَى بالشام لما أن ثوى
فيه بغزة هاشمٌ لا يبعد

واسمع إلى قول الآخر (١٦)، يُجَلِّي ما للشافعي من المفاخر:

لرَأيِ ابنِ إدريس ابنِ عَمِّ مُحَمَّد
ضِياءٌ إذا ما أظلَمَ الخَطبُ ساطِعُ
أبَى اللهُ إلاّ رَفعَهُ وَعُلُوَّهُ
وَلَيسَ لِما يُعليه ذو العَرشِ واضِعُ
فَمَن يَكُ عِلمُ الشافِعيِّ إمامَهُ
فَمَرتَعُهُ في باحَة العلم واسِعُ

قال الشافعيّ يحن إلى غزة حَنينَ المُشتاق، بعد أن طوَّف في الآفاق:

وإني لمشتاق إلى أرض غزة
وإن خانني بعد التفرُّق كتماني
سقى اللهُ أرضاً لو ظفرتُ بتُربها
كحلتُ به من شدة الشوق أجفاني (١٧)

فيا أيها الغزِّيُّون، أنتم - لعمر الله - منصورون، عرفتم الطريق فَسِرْتم، وما ضعفتم وما استكنتم، ولم تلتفتوا إلى أحد، وتوجهتم إلى الواحد الأحد، ومن كان مع الله كان الله معه، ومن كان الله معه، فلن يغلبه الوجود أجمعه.

● إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الهوامش

(١) عند النسبة إلى اسم في آخره تاءُ التأنيث، فإن التاء تحذف، كـ (مَكّي) نسبة إلى مكة، و(غَزّي) نسبة إلى غزة، وأما قَوْلُ العامَّة مَكّاويٌّ وغَزّاوي، فخَطأ. انظر: الزبيدي: محمّد بن محمّد «تاج العروس» مادة: م ك ك. والكفوي: أبا البقاء «الكليات» (ج ١ ــ ص ٨٩١).

(٢) مات أناسٌ وهم يتابعون الأخبار الواردة من غزة، في عدد من البلدان، منهم مَنْ نعرفه، ومنهم من سمعنا عنه.

(٣) القائل عبد الكريم القيسي البَسطي، وهو من شعراء الأندلس قبل سقوطها، وكان شاهداً على مأساتها، «وليست النائحة كالثكلى» كما تقول العرب في أمثالها.

(٤) بلغ عدد المساجد التي هدمت في غزة حتى الآن (الجمعة ١٢/١/١٤٣٠هـ الموافق ٩/١/٢٠٠٩ ثمانية عشر مسجداً، وهذا منذ بداية تلك المجزرة المروعة التي بدأوها (السبت ٢٩/١٢/١٤٢٩ هـ الموافق ٢٧/١٢/٢٠٠٨م كما نقلت وكالات الأنباء.

(٥) البيتان لجميل صدقي الزهاوي (ت: ١٣٥٤هـ).

(٦) الأبيات للزهاوي من نفس القصيدة السابقة، وأبدلنا (أهل غزة) مكان (أمر قومك) كما في الأصل.

(٧) أحد الطغاة الجبارين وهو الذي حاول حرق إبراهيم عليه السلام، ونمرود: بالضمّ وإهمال الدال وإعجامها ــ أي: يجوز أن نقول: نمرود ونمروذ ــ وذهب بعض النحاة إلى أن اشتقاقه من التَّمَرُّد. انظر: ابن منظور «لسان العرب»، والزبيدي «تاج ال تاج العروس» ــ مادة: ن م ر د.

(٨) البيتان لإبراهيم بن سهل الأندلسي (ت: ٦٤٩ هـ). انظر ترجمته في الأعلام للزركلي - (ج ١ ــ ص ٤٢ و٤٣).

(٩) قائل البيت هو الأبيوردي أبو المظفر محمد بن العباس (ت: ٥٠٧ هـ)، وفي الأصل (هفوات) مكان (نكبات).

(١٠) البيت لمصطفى صادق الرافعي إمام العربية ــ رحمه الله تعالى ــ (ت:١٣٥٦ هـ ــ ١٩٣٧ م).

(١١) أَيْمُ الله وإيمُ الله أيضاً بكسر الهمزة، هي كلمة قسم. ابن منظور ــ لسان العرب ــ مادة: ي م ن.

(١٢) البيت لجميل صدقي الزهاوي.

(١٣) هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة، من قريش (مات نحو ١٠٢ ق هـ، ٥٢٤ م): أحد من انتهت إليهم السيادة في الجاهلية، ومن بنيه النبي ﷺ قالوا: اسمه عمرو، وغلب عليه لقبه «هاشم» لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات، مات في غزة، وبه يقال لغزة: «غزة هاشم» وإليه نسبة الهاشميين. انظر: «الأعلام» للزركلي (ج ٨ ــ ص ٦٦).

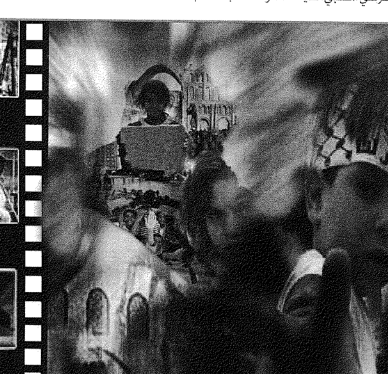
(١٤) المراد به الشافعي: هو محمد بن إدريس القرشي المطلبي، فقيه العصر، صاحب المذهب، لَهُ: كتاب «الأم»، وكتاب «الرسالة»، وغيرهما، ولد بغزة سنة ١٥٠ هـ على الأصح، وتوفي ــ رحمه الله تعالى ــ بمصر سنة ٢٠٤ هـ. انظر: النووي «تهذيب الأسماء» (ج ١ ــ ص ٦٤).

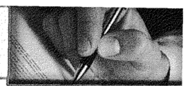
(١٥) مطرود بن كعب الخزاعي: شاعر جاهلي فحل، لجأ إلى عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف لجناية كانت منه، فحماه وأحسن إليه، فأكثر مدحه ومدح أهله. الأعلام للزركلي (ج ٧ ــ ص ٢٥١).

(١٦) ابن دريد: محمد بن الحسن بن دريد الأزدي القحطاني)ت: ٣٢١ هـ (من أئمة اللغة والأدب، كانوا يقولون: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء، وهو صاحب المقصورة الدريدية، من كتبه (الاشتقاق) في الأنساب، و(الجمهرة) في اللغة، و(أدب الكاتب)، و(الأمالي). المرجع السابق(ج ٦ ــ ص ٨٠).

(١٧) انظر: الحموي: ياقوت ــ معجم البلدان ــ باب الغين والزاي وما يليهما.







الإعجاز في رسم المصحف بين القبول والرفض

أخذت العناية بالكتاب العزيز أشكالا كثيرة متنوعة طالت مناطق مختلفة مما يرتبط به، حتى صارت العناية بخطه وطريقة هجائه علما مستقلا في قائمة علوم القرآن، وهو ما تجد مصداقه في الأبواب التي صنعها المؤلفون في علوم القرآن كما يلي:

د. خالد فهمي

١- باب في كتابة المصحف وهجائه في «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزى المتوفى سنة ٥٩٧هـ ص ١١٩-١٢٩.

٢- علم مرسوم الخط في «البرهان في علوم القرآن» للسيوطي توفي سنة ٩١١ هـ مج٢ ج/٤ ص ١٤٥-١٦٦.

٣- كتابة القرآن ورسم مصاحفه وما يتعلق بذلك في «مناهل العرفان في علوم القرآن» للزرقاني المتوفي سنة ١٣٦٧هـ ج ١/ص٣٦١-٤١١.

وقد عرف التاريخ العلمي عند المسلمين استقلال التصنيف في هذا العلم منذ وقت قديم جدا لأمثال: يحيى بن الحارث الذماري، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، والغازي الأندلسي، وأبي عمرو الداني وغيرهم كثيرون (١).

١- تطور التأليف في رسم المصحف مدخل لقضية القول بإعجازه.

لقد كانت مباحث رسم المصحف في تاريخ العناية به تهدف إلى نوع من حفظ ما ورد في المصاحف القديمة على اعتبار أن الفتوى الثابتة المستقرة تقضي بوجوب التزام الرسم العثماني عبر العصور خلافا للعز بن عبدالسلام فيما روي عنه!

ولعل السر وراء ذلك الإجماع كامن في إغلاق الأبواب التي يمكن أن تفضي إلى تحريف الكتاب العزيز.

على أن ثمة تطورا مهما أصاب هذا العلم وتوسع فيه أبوالعباس أحمد بن البناء المراكشي (٦٥٤-٧٢١هـ) في كتابه «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل» (٢).

وخطورة هذا الكتاب أنه صنع اتجاها كاملا، صارت له الغلبة والجلبة فيما بعد، يفسر اختلافات الرسم العثماني في الكلمات تفسيرا يعكس الإيمان بإعجاز رسم المصحف، وهوتطوير واسع المدى للاتجاه القائل بتوقيف الرسم المصحفي، ومن لوازمه المفرطة في التأويل.

وقد وصف هذه المحاولة التي وجدت من ينسج على منوالها د. غانم قدروي الحمد في دراسته الرائدة «رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية» بغداد ١٤٠٢هـ= ١٩٨٢م ص ٨

وكان أساس هذه المحاولة هو تفسير ظواهر الرسم على أساس اختلاف معاني الكلمات حسب السياقات بأسلوب صوفي باطني» وعلى الرغم من قسوة هذا الوصف فإن ثمة ما يدعمه من بعض عناوين مؤلفاته من مثل «مراسم الطريقة في فهم الحقيقة» و«شرح مراسم الطريقة» و«رسالة في طبائع الحروف» وهي جميعا عناوين تضرب في اللغة الصوفية بسهم.

هذا فضلا عما عرضته د. هند شلبي في أثناء حديثها عن مذهب ابن البناء في تعليل رسم المصحف في تقسيمه على ظاهر وباطن في باب ما يدرك.

وهذا هو الخطر في المسألة، وفي تطور النظر في قضية القول بما سمي عند بعض المعاصرين بإعجاز التلاوة!

٢- الانتصار لآراء ابن البناء المراكشي

وقد انتصر لأفكار ابن البناء المراكشي منذ فترة مبكرة جدا، وربما يكون هذا الانتصار قد وقع في حياته، إذ نرى نقولا وموافقة من الزركشي ٧٩٤هـ، ثم استمر هذا الانتصار عند السيوطي ٩١١هـ .

حتى جاء العصر الحديث لنرى لمذهب أبي العباس هذا أثرا في مواقف من تعرضوا لدراسة الرسم من بعده، على ما نرى في دراسة د. عبد الحي حسين الفرماوي في كتابه «رسم المصحف ونقطه» الذي كان في أصله رسالة دكتوراه بجامعة الأزهر ١٣٩٥هـ= ١٩٧٥م.

ثم جاء محمد شملول ليتطور بالقضية تطورا أوسع مدى عندما ينتصر لابن البناء المراكشي ويؤلف في القضية تحت عنوان «إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة»، طبعة دار السلام، القاهرة ١٤٢٨هـ= ٢٠٠٧م بتقديم د. علي جمعة، مفتي الديار المصرية.

وخطر العنوان أنه يلزم منه وضع الذين قالوا بأن خط المصحف اصطلاحي وليس توقيفيا في موقف حرج دينيا وعقديا!

وواضح أن قراءة القضية من إطار وجداني عاطفي يحكم بمتابعة رأي المراكشي، فمن ذا الذي لا يرقى بمنزلة الصحابة، ويرقى بمنزلة خط المصحف، وأن وراءه أسرارا وكنوزا؟

ويبدو أن البعد الباطني في قراءة اختلافات الرسم العثماني كان واضحا منذ فترة بعيدة قديمة، وهوما يفسر الحدة التي واجه بها ابن خلدون ٨٠٨هـ هذا الاتجاه ، فيقول في مقدمته «تحقيق د. علي عبد الواحد وافي ٩٦٦/٢»: ولا تلتفت في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم (أي الصحابة) كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿لا أذبحنه﴾ (النمل -٢١)، إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع، وفي زيادة الياء في قوله تعالى ﴿بأييد﴾ (الذاريات -٤٧)،

● أستاذ اللغة العربية في جامعة المنوفية

إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية.

وكتاب ابن البناء تفسير قريب مما يسخر منه ابن خلدون هنا، يقول المراكشي في لغة باطنية ٩١ «ولا شك أن القوة التي بنى بها الله السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود». ويستمر محمد شملول في «إعجاز رسم القرآن» ص ١٤٩ «إن زيادة حرف «ي» في كلمة بأييد يوضح قوة وشدة السماء ومتانة سمكها وبنائها»!

وقد كان ذلك أمرا واضحا عند د.عبد الحي حسين الفرماوي الذي صنع مبحثا مستقلا بعنوان «الدلالة على معنى خفي دقيق» ومثل فيه أول ما مثل بزيادة الياء في قوله تعالى ﴿بأييد﴾، ليصل إلى أن يقرر ٤٢٨ « وهكذا لا يعدم المتأمل في الرسم بعقل واع وقلب مستضيء من أن يقع على أسرار من أسرار الإعجاز في الرسم، فلله در القرآن ما أعظم بركاته ! وما أكثر أسراره ! لفظا ومعنى ورسما.

٣- الساحة ليست فارغة

والحق يقتضي أن نقرر أن غلبة هذا الصوت القائل بإعجاز رسم المصحف المدعوم بقبول وجداني وعاطفي عام لا يصح أن تبعدنا عن اتجاه مهم جدا يرى أن رسم المصحف لا مدخل للتوقيف فيه، إنما هوصناعة بشرية اضطلع بها الصحابة رضوان الله عليهم .

ومن أقدم من انتصر لهذا الاتجاه أبوبكر الباقلاني وابن خلدون على ما رأينا في تعليقه على القائلين بوجود أسرار كامنة خلف الرسم ومن المعاصرين الشيخ حسين والي وأحمد حسن الزيات ود.رمضان عبد التواب ود.غانم قدوري الحمد ود.علي عبد الواحد وافي.

رسم المصحف وطريقة كتابته أمراً اجتهادياً وليس توقيفياً وأنه صناعة بشرية خاضعة لظروف كل زمن

وهذه بإجمال أبرز أدلة القائلين بعدم توقيفية الرسم العثماني.

أ- عدم بيان السنة وجها معينا لرسمه.

ب- لا دليل من القرآن ولا القياس الشرعي يوجب رسمه على وجه مخصوص.

ج- اختلاف خطوط المصاحف

٤- تساؤلات على الطريق

والحق أن ثمة تساؤلات كثيرة ينبغي التوقف أمامها في هذا السياق لأهميتها، وأول ما يجب التنبيه إليه هو كيف جاز للأمة أن تقبل بإدخال أية تعديلات تحسينية على الخط أو الرسم العثماني عبر العصور من مثل: نقطه وإعجامه، أي التمييز بين حروفه باستعمال النقط، وهو ما لم يكن موجودا في الرسم الذي تم في عهد النبي ﷺ ولا في الجمعين اللذين وقعا في عصر أبى بكر وعثمان رضي الله عنهما.

أفليس قبول هذا التعديل، ومن قبله الموافقة على إجرائه إعلان بعدم توقيفية الرسم المصحفي؟!

ثم أليس دخول الضبط (الشكل) وتطوره في مرحلتين، هما مرحلة الضبط بالنقط بالمداد الأحمر بجوار النقط أو الاعجام بالمداد الأسود، ثم الضبط باستعمال الأشكال التي ابتكرها الخليل بن أحمد ١٧٥هـ والتي استمرت إلى يوم الناس هذا. (الضمة بُ والكسرة بِ وقد كانت في أصلها ياء مرتدة تحت الحرف، والفتحة تَ وهي ألف مضطجعة فوق الحرف، والشدة ، وهي رأس شين مهملة فوق الخط، وبْ التي كانت في أصلها رأس خاء مهملة فوق الحرف) أقول أليس دخول الضبط أيضا دليلا على عدم توقيفية الرسم العثماني؟!

وهل يصح أن يكون الرسم الناقص الذي تم إدخال عدد من التعديلات والتحسينات عليه توقيفيا؟

أمر ثان يجب أن نتأمله جيدا وهو مع إقرارنا بمنزلة الصحابة الكرام رضي الله عنهم، ومع قولنا بجهادهم العلمي في خدمة الكتاب العزيز، هل ثبت القول بعصمتهم؟ وهل روي عن احد من السلف أو الخلف القول بقداسة ما صنعوا أو فعلوا؟ وهل صح أنهم جميعا كانوا أئمة في الاجتهاد والعلم ولا يجوز في حق أحد منهم الخطأ فيهما؟ اللهم لا . وإذا كان القول بعصمة الصحابة غير وراد فان القول بتنزيه خطوطهم عن الاضطراب أمر يحتاج إلى شيء غير قليل من المراجعة والتأمل.

هذان إشكالان مهمان يمكن أن يضاف إليهما عدد آخر من الإشكالات يلزم الجواب عنها قبل التورط في القول بإعجاز رسم المصحف الشريف من مثل: هل ورد أن جبريل عليه السلام نزل بنسخة مكتوبة من القرآن الكريم، وهل نزل مصحف من السماء؟ اللهم لا!

٥- العلاقة بين القول باصطلاحية الرسم المصحفي والقول بمخالفته.

والحق - كذلك - يفرض علينا أن نقرر أن القول بعدم توقيفية الرسم المصحفي وأنه صناعة بشرية خاضعة لما كان شائعا مألوفا من قواعد الكتابة العربية في ذلك الزمان البعيد، وخاضعة لاختلاف مستويات الصحابة الكتاب في الكتابة والتدوين والإتقان في هذا الباب المهاري أقول إن القول بهذا لا يلزم منه القول بمخالفة الرسم العثماني للمصحف الشريف، ذلك أن المنع من مخالفته، ووجوب التزامه والحفاظ عليه لاعتبارات وعلل أخرى يأتي في مقدمتها:

أ- إغلاق الباب أمام العبث بالقرآن الكريم.

ب- تقديم الجهد العلمي الجبار الذي اضطلع به الصحابة العلماء الذين قاموا على جمع المصحف الشريف وتدوينه وكتابته.

ومن المهم أن نقرر أن الانتصار للقول بأن رسم المصحف الشريف صناعة بشرية وليس توقيفا إنما كان احتراما للأدلة النقلية والعقلية وأنه - وما يتولد عنه من نتائج - لا يصح أن يتخذ ذريعة لهجرانه ومخالفته، فذلك ما لا يرضى عنه مسلم.



المراجع

١- انظر: الفهرست لابن النديم ٣٨ وما بعدها ودراسة د. أحمد شرشال لكتاب «مختصر التبيه لهجاء التنزيل» لابن نجاح المتوفى سنة ٤٩٦هـ ج١/١٦٤-١٩٩.

٢- حققته ونشرته د. هند شلبي في دار الغرب الإسلامي، بيروت سنة ١٩٩٠م

٣- اعتمدنا طبعة دار نور المكتبات، والمكتبة المكية، بجدة ومكة المكرمة سنة ١٤٢٥هـ= ٢٠٠٤م.



العــدو العــربي في أدب الأطفال الصهيوني

علاء الدين رمضان

إن أمتنا الإسلامية تعيش - منذ زمن - مازقا حضاريا وانسانيا خطرا، هذا المازق يحوجنا إلى تعيين الأعداء، ونقاط العداء الرئيسة، حتى يتثنى لنا التعامل معهم ومع عداوتهم بحسم وقوة، وعدونا الرئيس في تلك الحقبة - من جملة الأعداء الظاهرين - هو الكيان الصهيوني، وهو كيان لا يجدي معه التعامل من الخارج فقط، بل لا بد أن نتغلغل في أعماقه حتى نتمكن من صناعة اليات لمواجهته، ومن أهم ما يمكننا درسه في المجتمع الصهيوني - سعيا وراء ذلك - هو التربية اليهودية للأطفال خاصة، ثم أدب الأطفال العبري على نحو أخص، لأنه يوجه أطفالهم نحو أهداف استراتيجية وأيديولوجية محددة، وقد حاولت أن أقدم ههنا ملمحا من ملامح الأدب العبري الموجه للأطفال، والياته من خلال هذه المقالة حول صورة العربي في هذا الأدب.

سادت الحياة الفكرية اليهودية في القرن التاسع عشر حالة من الاتزان الفكري تجاه العرب، وكان للأدباء اليهود دور مهم في دعم ذلك التيار، فمن رواد الأدب اليهودي بنجامين دزرائيللي ١٨٠٤ - ١٨٨١ الذي عالج في رواياته صورة العربي من وجهة النظر اليهودية السائدة في ذلك العهد، ففي روايته «كوننفزبي» صنف العرب في المرتبة الثانية - بعد اليهود - في المنظومة العرقية القوقازية، وبعد ذلك بعامين كتب رواية أخرى هي «تانكريد»، وصف فيها العرب بأنهم يهود على ظهور الخيل.

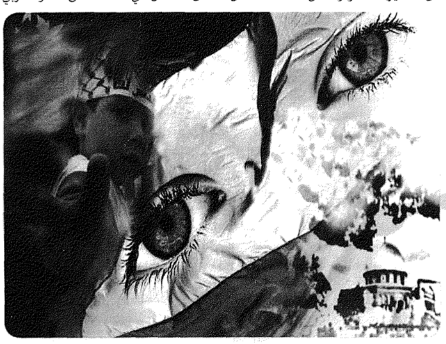
وقد خلقت كتابات دزرائيللي اتجاها في التصور اليهودي للعرب يدعمه التوجه الاجتماعي اليهودي الذي كان يرى في العرب أبناء عمومة، كما كان هذا الاتجاه أساسا من أهم الأسس التي انطلق منها التصور البوبري للعرب، وهو تصور تشكل بين يدي «مارتن بوبر»، الذي يعترف بالنظرة المعتدلة للعرب على أساس الاعتراف بالظلم التاريخي الذي وقع عليهم، والذي تمثل في طردهم من ديارهم بزعم أن شعبا بلا أرض قد وجد أرضا بلا شعب- بحسب مقولة إسرائيل زانغويل الشهيرة - لكن هذا التصور لم يعد له وجود مقدر في النفسية الاجتماعية الصهيونية بعد أن أشبعت بالقتل والطغيان والإرهاب وترويع الآمنين العزل من العرب، وهذه النفسية الجديدة قد خلقت اتجاها تصوريا إزاء العرب يرى أنهم: أهل صحراء، وهمج، و جهلة لا يرون، ولا يفهمون ما يجري حولهم، كما قال كاتب صهيوني روسي ملقب بـ أحد العوام (آحادها عام) سنة ١٨٩١.

إتجاهات ايدولوجية

وتتميز القصص المكتوبة للأطفال بخاصة، في الأدب اليهودي، بتعدد الاتجاهات الأيديولوجية في القصة الواحدة، كما اهتم بعض الكتاب بتقسيم القصة الواحدة إلى وحدات فكرية متعددة، ومثل هذا الأسلوب في الكتابة يدفع الملل عن القارئ، ويحدث لدى الأطفال نوعا من التفكير المتحفز والذهن النشط، كما أن هذه الطريقة في الكتابة تبعد عن المباشرة في التوجيه الأيديولوجي، وهو أنسب الطرق وأنجحها في مخاطبة الأطفال الذين يكرهون التدخل بالإرشاد المباشر ممن هم أكبر منهم سنا.

فيلجأ كتاب الأطفال في الأدب العبري من خلال عوامل الجذب والتشويق إلى إحياء تقاليد العنف التي تعد رمزا للتمرد اليهودي والبطولة والشجاعة اليهودية.

كما أنهم يحاولون تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الأطفال في القضاء على العدو العربي



من جهة، وإزالة أسباب التوتر والخوف لدى الأطفال اليهود من جهة ثانية، فهم يقدمون العرب على أنهم كثيرو العدد،كثيرو الموارد، ولا يريدون غير إبادة اليهود وإزالة إسرائيل من الوجود.

عرس الكراهية

ويزرعون في نفوسهم مفاهيم القوة والعنف والعداء وتثبيت معاني القتال حتى الموت، كما يعلمونهم ويدخلون في روعهم أن حياتهم رهن الانتصار الدائم على العرب، كما أن حياة أمهاتهم وآبائهم وإخوانهم وأفراد أسرهم الآخرين ومواطنيهم يهددها العرب باستمرار.

وقد ظلت هذه النظرة الصهيونية المعادية للعرب تزداد سوءا منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى الآن، وقد انعكست هذه النظرة الصهيونية في كتاباتهم وأدبهم، بل ازدادت وضوحا وحدة وعداء للعرب، في الأدب الموجه للأطفال، إذ جعلت الحكومات والأجهزة التربوية الصهيونية نصب عينيها هدفا سياسيا وأيديولوجيا رئيسا تسعى إلى تحقيقه وتأكيده وترسيخ دوره في المجتمع المحيط، من خلال تنمية الوعي اليهودي الإسرائيلي لدى الأطفال والشباب، وغرس المبادئ الصهيونية في نفوسهم وتلقينهم قيم الحضارة اليهودية، وحب إسرائيل والولاء للحركات اليهودية والصهيونية.

وقد لوحظ أن لأدب الأطفال والمناهج المدرسية أثرا كبيرا في صياغة العقل والخيال لدى الأطفال اليهود، ففي دراسة أجراها أحد أساتذة علم الاجتماع في إسرائيل على طلاب المدارس الابتدائية، خرج بالنتيجة التي تقول: إن ٦٠ ٪ من بين ١٠٦٦طفلا قابلهم، تتراوح أعمارهم بين ٩- ١٤ عاما، أيدوا الإفناء الجماعي الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في الأرض المحتلة، في حالة وقوع صراع مسلح مع الدول العربية، إذ ترسخ التربية الصهيونية من خلال أدب الأطفال أسسا تراها من أهم الأسس اللازمة لاستمرار الدولة الصهيونية على الأرض العربية منها:

تقديس اللغة العبرية بوصفها لغة دينية، ومن ثم العمل على نشرها وتوسيع رقعتها.

تنمية الثقة في النفس، وإضفاء مسحة القداسة على حياة اليهود وتاريخهم.

غرس الروح العسكرية لدى الأطفال ووضعهم في جو مهيأ للحرب والتأكيد على أن أمر الانتصار اليهودي أمر مسلم به، وغير قابل للمناقشة أو التحول.

جعل البروتوكولات التي وضعها حكماء صهيون أساسا جذريا للتعليمات والتقاليد والحياة الدينية للأطفال.

قنابل ورقية

ومن أهم الكتب اليهودية الموجهة للأطفال، تلك التي ساهمت في تشكيل هذا التيار العدائي ضد العرب: السامبا وهي قصص مسلسلة كتبها يغيئال موسينيزون في خمسينيات القرن العشرين، وفتحت الطريق سافرا للعداء والاضطهاد العنصري فظهرت عدة كتب قصصية موجهة أيديولوجيا وتربويا للأطفال الصهاينة، ومن هذه المؤلفات أيضا: ما كتبه حاييم غبور مؤرخا لأمجاد جماعة تطلق على نفسها اسم هافو عوز، والرواية تصف للأطفال كيفية انتصاراتهم السهلة على العرب الأغبياء! وظهرت كذلك روايات: البغضاء الأربعة،وجماعة شوفتيشيك، وعملية جوش عتسيون وهي من مؤلفات الكاتبة الشهيرة أرنونا جادوت، كما كتب أورجيل جي قصة تحكي عن الجبابرة اليهود الأبطال الذين تعقبوا العرب المخربين، عنوانهاالجبابرة يتعقبون المخربين.

ويبقى أخطر ما يقدمه الأدب اليهودي للأطفال كامنا في كتابات عيدان إستر، وهو الاسم الوهمي لحزاي لوفمان رئيس التحرير السابق لمجلة الجيش الإسرائيلي بما حانيه، وأون سريج وهو شارنما غفتي عضو منظمة ليحي سابقا، فكتاباتهما مسلسلة تعتمد على ترسيخ بطل فرد، هو الفتى الإسرائيلي الصغير الذي ينتصر على العرب، فمن أهم ما كتب شارنما غفتي قصة دانيدان الفتى اليهودي الذي تسلل إلى مصر وفجر العلبة التي دمرت كل أرض العدو وبسكانها، ولم يكم للمصريين الجبناء رد فعل إلا قولهم: هيا نهرب، صاح ناصر وبدأ يفر، ولكن بسرعة سقط على الأرض، فاستجمع قواه ووقف مذعورا، وهرول، ومعه كل من شهد الموقف.

وقد أصدر إلياهو عاش بيير مجموعة السقوف الحمراء للأطفال عام ١٩٦٥، وهي مجموعة قصصية للأطفال تتحدث عن الخطر المحدق باليهود نتيجة العمليات البربرية التي يقوم بها العرب في سبيل اجتثاث أرومة اليهود والقضاء عليهم، كما صدر في عام ١٩٦٧ كتاب بعنوان الجيديونيت ألفه عمر ديفورا، وهو ينادي الأطفال بالالتزام بيهوديتهم ضد العدو العربي والتمسك بأرض الميعاد، وفي عام ١٩٦٩ أصدر بني متيف كتابا سماه في ظل شجرة السنط، ينقل للأطفال أهمية أن يعيش الإنسان اليهودي في وطنه ويحاول أن يمس من قريب قضية الخطر العربي على الوجود الإسرائيلي وقضية الأمن الإسرائيلي في مقابل التهديد العربي، ثم توالت المؤلفات التي تشير إلى العداء العربي الإسرائيلي، أو تخلق أنموذجا لهذا العداء وتحفز عليه، ففي عام١٩٧٠ نشر موشي بتشاؤول مغامرة سر الكلمات المفردة، وصدرت في تل أبيب عام ١٩٧١ مجموعة قصصية، على المنوال نفسه، تأليف زيفاح بنشالوم.

وقد تخطت بعض الكتب الموجهة للأطفال حدود الأدب واللغة العبريين، إلى آداب ولغات أخرى،ومن أشهر كتب الأطفال ذات الدور الإعلامي الصهيوني العالمي: كتاب داود الصغير أو حكاية إسرائيل تروى للأطفال، وقد ترجم هذا الكتاب إلى عدد كبير من اللغات الحية حتى يقرأه يهود هذه اللغات فيحيا في نفوسهم أمل العودة إلى أرض الميعاد كما يزعمون ويخططون.

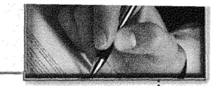
المراجع

١-د.سناء عبد اللطيف: الاتجاهات الأيديولوجية في أدب الأطفال العبري في إسرائيل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم اللغة العبرية وآدابها، عام ١٩٩٢م.

٢- هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٦م.

٣ - هادي نعمان الهيتي: ثقافة الأطفال، عالم المعرفة ، ١٢٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٨م.

٤ - ندعوكم لزيارة موقع القدس عبر الانترنت، ومواقعه الفرعية: الوهن frustrate، والسلام peace، والفيصل strict، وقدسنا ourQods، على العنوان التالي: /http://www.geocities.com/alauddin٧٠ alQods.htm



رباعيات مقدسية

وحيد الدهشان

القدس قدسي والمحراب محرابي
والساح ساحي والأبواب أبوابي
وقبة الصخرة الشماء قبتنا
والأرض أرضي فيها إرث أحبابي
وبين مكة والأقصى عرى نسب
خطى البراق هنا مفتاح أنسابي
ما راح يتلو من الإسراء مدكر
وما الشهادة قالت إيه خطابي

القدس يجري هواها في شراييني
أصحو على نبضها في الحلم تأتيني
القدس عشقي وتاريخي وملحمتي
لها انتفاضة شعري في دواويني
القدس ليست مكانا في خرائطنا
القدس صخري وصاروخي وسكيني
القدس عزمة ياسين بمقعده
أنفاس جند صلاح عند حطين

◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇

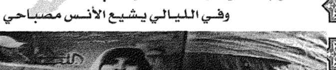
القدس جرحي وآلامي وأوجاعي
بدء انطلاقي لآمالي وإقلاعي
يدمي هنا معصمي والقيد في يدها
وصمتها كم سرى رعداً بأسماعي
لو جاع في القدس طفل جعت في شبعي
وإن بكى زلزلت روحي وأضلاعي
القدس مسرى رسول الله تربتها
بوقع أقدامه معراج إبداعي

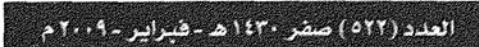
القدس قدسي وكانت قبلتي الأولى
لا لست أفدي الثرى بالقول معسولا
القدس حب بحجم القلب منشرحا
والقلب ليس هنا عرضا ولا طولا
القدس حب جنوني ومشتعل
لو ساحة العشق تأبى الحب معقولا
القدس حب حقيقي نواصله
وليس بالحب حب ليس موصولا

◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇◇

القدس مفتاحها الميمون مفتاحي
على رباها نما حزني وأفراحي
من يوم أن وقع الفاروق عهدتها
قد أفصح العدل فيها خير إفصاح
حتى أتاها الدجى والغدر في يده
يغتال روحي بها يجتث أدواحي
متى بشمس الهدى تختال مصبحة
وفي الليالي يشيع الأنس مصباحي

القدس قدسي ولي وعد وميقات
ما عاش من عاش أو ما مات من ماتوا
وعد من الله بالتمكين يدركه
من آمنوا إن علا واغتر أشتات
وعد تغني له أشجار مقدسنا
وتحت أحجاره للرمل ذرات
فلتفسدوا يا لفيف الشر وارتقبوا
فإنها في طريق الوعد آيات







مرثية حي

إبراهيم الأسود

أبنوه إبان فوداه شابا　　أو إذا سيم عن بنيه اغترابا
تان للموت صورتان فأمعن　　نظراً فيهما ودقق حسابا
صاح إنا بين المنى والمنايا　　ما أرانا إلا فقدنا الصوابا
والذي في لمامه نتبارى　　بلغة ندعيه لا إعجابا
هو ضرب من المعابة فاضرب　　عنه صفحاً وانفض يداً وعيابا
دق جداً تحليل فلسفة الرز　　ق وأمهل جريا ووفر عذابا
فاعْنَ أو فاغْنَ بالهوادة والرف　　ق مجيبا بالكد أو منجابا
لو تشاء الحياة وصف غني　　أو قوي، قالت له: يا ترابا
إن دنياك هذه يا أخا الحـ　　ـب عجوز، لكنها تتصابى
والذي في بنائها يشبه العنـ　　ـدم هذا دم وليس خضابا
وهي كالزوجة الفروك تداجيـ　　ـك، فإن غبت غمغمت: لا آبا
خذ زكاة للعاملين عليها　　من همومي فقد بلغن النصابا
وخذ الحلم والتجاريب مني　　والنهى والأخلاق والآدابا
ما وقار المشيب عندي بغنم　　خذه واغنم به وبعني الشبابا
والتي عششت على أم رأسي　　مسخت بومة وكانت غرابا
شب فيها القتير حتى حسبت الـ　　ـصبح أوفى أو مفرق الليل شابا
رغم أنف الحياة لا رغم أنفي　　إن يكن واعز المنون أهابا
فهي أصبى إلي مني إليها　　فإذا ما أصبت جلت مصابا
ظل فكري (حي بن يقظان) فيها　　نصف قرن والموت يصرف نابا
قذفتني شرارة فتعالى　　أدبي بي حتى غدوت شهابا
فأثارت ضروب غين ورين　　ضربت دون مجتليَّ حجابا
فلذا لو نَوَّهْتَ في الأرض باسمي　　لم يصادفك من يحير جوابا
بينما لو سألت في الأفق عني　　كوكباً، لم يسعه أن يتغابى
غير أني أسلمت وجهي للـ　　ـه اتضاعا لوجهه واحتسابا
في نهار من المحجة ضاحِ　　لم ألج من ظلمائها سردابا
مطمئن الفؤاد حيناً، وحيناً　　ينثني القلب خافقا وجابا
واهلاً إن عددْتُ بعض ذنوبي　　بيد أنْ لم أعدد الأربابا
ومليكي أغنى وأكرم من أعـ　　ـتق فضلا عن العبيد الرقابا
مبغض من عباده كل من أغـ　　ـلق في وجه مجتديه البابا
يا تباركت خالقي وتعاليـ　　ـت عميما جوداً ورحباً جنابا
عطر الروح بالقبول وأشرعِ　　لي بين السماء والأرض بابا
وكما قد أحسنت في البدء هديا　　رب أحسن ختماً وأحسن مآبا





إصدارات

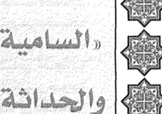
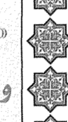
إعداد: مصطفى عاشور

■ «ألفاظ عامية فصيحة» الكتاب هو موسوعة جمعت حوالي (١٤٠٠) كلمة عامية يعتبرها العرب ليست فصحى، لكنها ذات جذور عربية أصيلة، كما يقدم الكتاب تصحيحا لعدد من الكلمات التي تم تحريف نطقها في الاستخدام العامي الدارج وهو ما غير من وجهها العربي الأصيل، حيث بدلت العامية الثاء إلى تاء، والهمزة إلى ياء مثل كلمة بئر تحولت في العامية إلى بير، والكتاب تأليف محمد داود التنير، ويقع في (٢٤٥) صفحة وهو صادر عن دار الشروق بالقاهرة ٢٠٠٨.

■ «جذور الأصولية الإسلامية في مصر المعاصرة» تأليف أحمد صلاح الملا، وصادر عن دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة في ٢٠٠٨ وعدد صفحاته ٤١٢ صفحة، ويناقش الكتاب أسباب ظهور التيار السلفي الذي ينسب إلى الشيخ رشيد رضا ومجلته المنار، والتي أصدرها في الفترة من ١٨٩٨م حتى ١٩٣٥م رغم أن جذور تلك المدرسة نبتت في المدرسة الإصلاحية للشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، والكتاب يحاول في بعض جوانبه أن ينظر إلى الأسباب التاريخية للقضية من منظور طبقي.

■ «مريم المسلمة» كتاب من تأليف ميشيل دوس، وترجمة عبود كاسوحة، وهو صادر في بيروت سنة ٢٠٠٨ عن دار قدمس للنشر والتوزيع، ويتناول الكتاب صورة السيدة مريم- عليها السلام- كما صورها القرآن الكريم، حيث يرى مؤلف الكتاب- وهو أستاذ في التاريخ والديانات التوحيدية الثلاث على أن النص القرآني ليس أقل تمجيدا للسيدة مريم من النصوص الإنجيلية.

■ «ماذا لو لم يظهر الإسلام» هذا الكتاب رغم صغر حجمه (٤٦صفحة) إلا أنه يكتسب أهميته من جانبين: الأول من مؤلفه جراهام فولر، الذي شغل مناصب متقدمة في المخابرات الأمريكية، والثاني كون السؤال طريفا في طرحه، وعميقا في مقصده ومعناه، فيتساءل الكاتب عن حجم التحديات التي كان سيواجهها الغرب إذا لم يكن الإسلام موجودا في منطقة الشرق الأوسط، وعن شكل العلاقة بين الشرق والغرب في حالة عدم وجود الإسلام، كذلك مستقبل الديمقراطية في المنطقة، وهو ما يؤكد أن الإسلام هو الذي أعطى المنطقة قوتها وأهميتها وحيويتها، والكتاب صادر عن مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٨.


«السامية والحداثة الأوروبية»

المسألة اليهودية هي إحدى الظواهر السلبية للحداثة الأوروبية، تلك الحقبة التي دعت للتحرر من السيطرة الدينية وإعلاء العقلانيات الإنسانية، والتأكيد على الحقوق المدنية والمساواة بين أبناء أي مجتمع بشري بغض النظر عن الانتماء الديني أو العرقي.

ومن سلبيات حقبة الحداثة الأوروبية تنامي الشعور القومي ليحل محل الانتماء الديني الذي سيطر على أوروبا في العصور الوسطى، فبينما كان الأوروبيون يعرّفون أنفسهم من خلال الانتماء الديني المسيحي- بشقيه الكاثوليكي أو البروتستانتي- حلّ الانتماء القومي مع الحداثة محل الانتماء الديني، وشهدت أوروبا ميلاد الأمة كنواة للدولة الحديثة.

وفي هذا السياق الأوروبي كان لا بد من طرح السؤال عن وضع اليهود كمجموعة أوروبية، هل هم مجموعة قومية أم مجموعة دينية؟ فإن اعترف الأوروبيون بـ«يهودهم» كمجموعة قومية وَجَبَ عليهم السماح لهم ببناء دولة مثل بقية الشعوب الأوروبية، وإذا اعترف الأوروبيون بـ «يهودهم» كمجموعة دينية! فإن اعترافاً كهذا يمثل خرقاً لمبادئ الثورة الفرنسية التنويرية الرافضة للهوية الدينية الجماعية. وهنا ولدت المسألة اليهودية، رغم أن جذورها تعود إلى عصور أوروبا الوسطى - حيث كان اليهود يعيشون على هامش المجتمعات الأوروبية - وعرف النصف الثاني من القرن التاسع عشر انقسامات شديدة داخل التجمعات اليهودية، فبينما تأثر معظم يهود الغرب الأوروبي بالأفكار التنويرية، واختلطوا بمجتمعاتهم وعُرِفوا بـ «يهود الغرب»، تشبثت معظم تجمعات أوروبا الشرقية من اليهود بالفهم التقليدي للديانة اليهودية، معتبرينَ أنفسهم حماة تراثهم الديني من الاندثار.

ومع موجات التطرف القومي الأوروبي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذ العداء لليهود في التزايد، وهو عداء لم يكن بالجديد في أوروبا، وظن عدد من المثقفين اليهود أن ذوبانهم في أوروبا العلمانية، سينهي الكراهية الأوروبية المشرّعة دينياً، لكن خاب الظن، فتزايد التطرف القومي الأوروبي وأتى بكراهية عرقية لليهود أخذت بعداً أيديولوجياً تمثله ظاهرة العداء للسامية.

وكان أول من استخدم مصطلح العداء للسامية صحافي ألماني مغمور يسمى فيلهيلم مَرّ (١٨١٩-١٩٠٤)، وقد استغل النقاشات الدائرة في ذلك الحين حول الثورة الصناعية وما جلبته من تغيرات اجتماعية وصراعات بين فئات المجتمع الألماني من رجال الدين الخائفين من اندثار الروحانيات وتعاظم الماديات كنتيجة للعلمنة، ليصدر كتيباً عنوانه «انتصار اليهودية على الجنس

«الهوية.. من نحن؟.. وأيضا من الآخر؟»

جاء سؤال الهوية في الوعي العربي متأخرا عن سؤال النهضة، ولا شك أن سؤال الهوية هو سؤال وجودي، لأنه يسأل عن الذات والآخر المواجه لها، فالآخر هو المرآة التي تُرى من خلاله الهوية، فإذا غاب الآخر أصبحت الهوية كامنة، ولعل ذلك ما جعل بعض الأوربيين يرون أن وجود المسلمين في تلك القارة هو الذي دفع الأوروبيين للبحث والتنقيب عن هويتهم وأن يطرحوا على أنفسهم السؤال الوجودي: من نحن؟

والإشكالية هنا هل سؤال «من نحن؟» تفكيكي يحاول تفكيك الـ «نحن» ليتوصل إلى تكوينها، أم أنه تركيبي يهدف إلى تركيب المتناثرات لتكون الـ «نحن»؟ وهل الهوية كيان مكتمل التصنيع وغير قابل للتشكل إلا مرة واحدة، أم أن الهوية كيان متعدد الطبقات تستدعى كل طبقة حسب التحدي الذي يمثله الآخر، وهل الهوية كيان بلوري شفاف يعطي انعكاسات مختلفة حسب الأضواء التي تسقط عليه، وبالتالي فالآخر هو الذي يحدد ما يظهر من هويتنا وما يترتب على ظهوره من حركة وفعل سياسي واجتماعي وغيره؟

يرى البعض أن اقتصار تشكيل الهوية على الدين فقط هو نوع من السجن لها، إذ يحصرها في مكون واحد، لكن هذا الاتجاه يمتلك رؤية تجزيمية للدين في شتى مجالات الفكر والحياة، متجاهلا أن الدين هو أحد أهم مكونات الهوية، بل هو المفسر للمكونات الأخرى غير الدينية في الهوية والقادر على إعطائها تفسيرات جديدة حتى وإن كانت متراكمة منذ سنين طويلة.

ومن ثم تظل الهوية مشروعا تحت التأسيس، فليست هناك نقطة ما يكتمل عندها إنجازها، كما أن تحقيقها على نحو تام ليس ممكنا؛ فالكمال شيء نقاربه ولا نستحوذ عليه، ووفقا لذلك فالهوية تحتاج إلى تجديد مستمر.

وهنا تثور مشكلة التضحية بالهوية، وأن يصبح إنسانا فاقدا لها ومتخليا عنها، وذلك في حالة أن ينتقل من موقع «الذات» الذي يتيح له رؤية الآخر لينتقل إلى موقع «الآخر» فتحدث حالة تبخر الذات وذوبانها في الآخر، وهذا الضياع «الهوياتي» يحدث في حالات الاستلاب الحضاري.

ولذا فالهوية تطرح عناصر التميز للجماعة عن الآخرين، وهي عوامل الثبات فيها، وتطرح -أيضا- تصورات الجماعة للآخرين وعناصر الاندماج معهم، وبالتالي فالهوية تتحقق في مجال الاتصال بالآخرين، حتى يصح القول إن هوية الفرد الواحد تتبدل حسب اتصالاته ومواقفه ومواقعه المختلفة.

ومن الضروري التأكيد على أن الدفاع عن الهوية الثقافية لا يتأتّى من خلال الانغلاق على الذات ورفض الغير، ولكن من خلال بناء الذات وكسر الانبهار.

الجرماني» معلناً أن كراهية اليهود لا تعود لأسباب دينية، بل لأسباب عرقية، لأن اليهود غرباء عن الجنس الأوروبي ودخلاء على الثقافة الأوروبية، وعليه فليس هناك جدوى من محاولات استيعابهم داخل الجسد الأوروبي الواحد، إذ أنهم يمثلون ورماً خبيثاً يجب بتره ليتعافى الجسد الأوروبي.

وتزايدت الكتابات المعادية للسامية، وتزايدت معها الصور النمطية المعادية لليهود، فعرفت الثقافة الأوروبية صورة اليهودي القبيح الذي يحيك المؤامرات، وصورة اليهودي عديم الشرف، وأصبح العداء للسامية جزءاً من الوجدان الأوروبي.

ومع تنامي العداء للسامية في أوروبا في القرن التاسع عشر، أخذ العديد من المفكرين اليهود في البحث عن السبل لمواجهة الرفض الأوروبي المتزايد ليهودها، وفي هذا السياق ظهر تيودور هرتزل (١٨٦١-١٩٠٤) الذي يعتبر المؤسس للصهيونية السياسية، التي تولدت عنها ومنها دولة لليهود في فلسطين، حيث اقتنع بأهمية بناء حركة قومية يهودية، وهو بذلك لا يخرج عن الفكر السائد في أوروبا في القرن التاسع عشر.

ويلاحظ أن هرتزل كان مقتنعا بأن أوروبا لن تسمح ليهودها ببناء وطنهم القومي في إطارها، وكانت هناك عدة مناطق مطروحة للوطن القومي اليهودي وهي: فلسطين وأوغندا والأرجنتين ومدغشقر، ومال اختيار هرتزل إلى فلسطين، لما لها من وقع ديني وثقافي على النفس اليهودية، وهذا لا يعني أن الحركة الصهيونية السياسية قامت على فكرة دينية، إذ أن هرتزل ومن بعده الجيل الثاني المنشئ للدولة العبرية كانت تغلب عليهم العلمانية، بل العداء للفكر الديني اليهودي، إلا أن هرتزل ومن بعده ديفيد بن غوريون قد أدركا أهمية تسخير الدين في خدمة هدفهم السياسي من اجل تعبئة اكبر عدد من اليهود خلف الفكرة الصهيونية.



«معسكر الاعتقال النازي برجن بلسن».. أكاذيب عنصرية

بدر محمد

الفكرة الأساسية في كتاب «معسكر الاعتقال» النازي برجن بلسن، الذي ألفه أستاذ الأدب الإنجليزي بكلية الألسن جامعة عين شمس د. رمسيس عوض وصدرت طبعته الأولى عن مكتبة الإنجلو المصرية في عام 2007 م، أنه يبحث فيما جرى في أحد معسكرات الاعتقال النازية التي ساهمت في إنشاء وطن قومي لليهود، وكيف تم ترحيل أعداد كبيرة من اليهود المعتقلين فيه إلى فلسطين، ويرد على ما يقع فيه الإعلام الغربي، وأيضا العربي، من خطأ الاعتقاد بأن معسكر برجن بلسن وغيره من المعسكرات، استخدم الغازات السامة في إبادة السجناء، استنادا إلى أن هذا المعسكر كان مزودا بغرف المحارق، غير أن الواقع مختلف تماماً - كما يقول المؤلف - فبالرغم من وجود هذه المحارق في معتقل برجن بلسن فإن هذا المعسكر لم يستخدم غرف الغاز في إبادة نزلائه، ولم تكن هذه الغرف - بأي حال من الأحوال - شرطاً ملزما للمعسكرات النازية في إبادة السجناء.

يقول المؤلف في المقدمة: إن معسكر برجن بلسن يمثل مكانة مهمة في الذاكرة الجماعية للألمان والبريطانيين واليهود، المتصلة بالحرب العالمية الثانية، ولم ينس اليهود ذكرى هذا المعسكر أبداً، بل حثوا الألمان - في يوم ذكرى الهولوكست - ألا يسمحوا لأنفسهم بنسيان هذا المعسكر، والأهم أن اليهود الذين كانوا يمثلون السواد الأعظم من السجناء فيه، آمن الكثير منهم بالمذهب الصهيوني وإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وينقل المؤلف عن الباحث هاجيت لافاسكي أن تحرير الجيش البريطاني لهؤلاء الغلاة لم يكن كافياً، فقد رفضوا الرجوع إلى بلادهم الأصلية، وطالبوا بإنشاء وطن قومي ليهود الشتات، وعقدوا العزم على تحقيق الحلم الصهيوني بالهجرة إلى فلسطين لإقامة كيانهم.

معسكرات الاعتقال

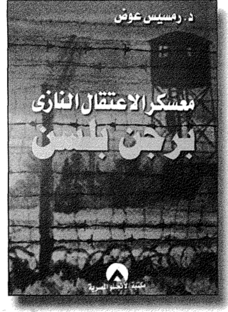
في الفصل الأول يعود بنا المؤلف إلى السنوات الأولى من إقامة معسكرات الاعتقال النازية، في أعقاب تولي أودلف هتلر وحزبه النازي السلطة في ألمانيا في ٣٠ / ١ / ١٩٣٣، حيث بدأ في اضطهاد المعارضين السياسيين من جميع الأطياف، بوحشية لم تعهدها ألمانيا من قبل، وبعد خمسة أيام من توليه السلطة، أعلن حالة الطوارئ في البلاد، وسرعان ما تم اعتقال ٢٥ ألفاً من المعارضين في شهري مارس وأبريل من نفس العام، وبدأت معسكرات الاعتقال تنتشر في أنحاء ألمانيا، ورغم ذلك لم تزد نسبة النزلاء اليهود عن ١٠٪ من مجموع السجناء تقريباً، غير أن التركيبة المتاسقة من السجناء تغيرت تغيراً كبيراً في عامي ٣٧ - ١٩٣٨، عندما تم وضع ١٥ ألفا من المسجلين الخطرين ومعتادي الإجرام في المعتقلات، بالإضافة إلى ترحيل عدد كبير من المعارضين السياسيين والزج بهم في معسكرات اعتقال في المناطق التي ضمها الرايخ الألماني عام ١٩٣٨ إلى أراضيه ومنها النمسا، والمناطق التي تتحدث باللغة الألمانية في يوغسلافيا، بالإضافة إلى ترحيل نحو عشرة آلاف يهودي إلى المعسكرات «بهدف إذاقتهم كأس المرارة، حتى يضطروا إلى مغادرة الأراضي الألمانية بأسرع وقت ممكن» وتم إطلاق سراح معظم المقبوض عليهم من اليهود في نوفمبر ١٩٣٨، بمجرد موافقتهم على الهجرة من ألمانيا.

ويؤكد المؤلف أن النازيين مارسوا ضغوطا هائلة على اليهود للنزوح من ألمانيا إلى الأقطار الأخرى، فنزح نصفهم تقريباً من الرايخ إلى الخارج عام ١٩٣٣، وفي بولندا التي احتلتها ألمانيا النازية عام ١٩٣٩ والتي كان يعيش فيها ما لا يقل عن مليوني يهودي لم يتمكنوا من الهجرة، وفي أكتوبر ١٩٣٩ أجبرت سلطات الاحتلال النازي يهود بولندا على العمل الشاق القسري والعيش في الجيتو، وأثناء استعداد هتلر لغزو الاتحاد السوفيتي، فكر الفوهرر في انتهاز هذه الفرصة لإبادة يهود أوربا الشرقية إبادة جماعية، وقد حدثت أكبر مجزرة لهم يومي ٢٩، ٣٠ سبتمبر ١٩٤١، حيث أجهز النازيون على أكثر من ٣٣ ألفا بإلقائهم في هوة سحيقة بالقرب من كييف تعرف باسم بابي يار.

تحفظ بهدف المقايضة

أنشيء معسكر برجن بلسن عام ١٩٤٣، وكان الهدف من إنشائه التحفظ على نحو ألف يهودي من أوربا، بهدف المقايضة عليهم بالتفاوض، في مقابل أسرى ألمان وقعوا في قبضة الحلفاء أثناء الحرب العالمية الثانية، وفي آخر مناسبة تبادل يهود يزمعون الهجرة إلى فلسطين، قام البريطانيون بإرجاع ٣٠٠ ألماني من الأراضي الفلسطينية إلى الرايخ الألماني، وأملاً في إجراء بعض التبادلات، أمر النازيون بإعداد قائمة جديدة بأسماء ١٦٠٠ يهودي من سكان بولندا، ممن كان لهم أقارب يعيشون في فلسطين، والهدف هو المقايضة ببعض الألمان الذين يعيشون في فلسطين على وجه التحديد، الخاضعة آنذاك للحكم البريطاني.

ومنذ بداية عام ١٩٤٤م أصبحت غالبية السجناء في معسكر برجن بلسن من اليهود الهولنديين المحتجزين للمقايضة، وقد



صحفي وباحث إعلامي

المعسكر لم يستخدم غرف الغاز للتخلص من اليهود عكس ما يشاع

تعرض يهود هولندا للإبادة النازية أكثر من يهود البلاد الأوروبية الأخرى، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لم يعد سوى ستة آلاف من اليهود الهولنديين المرحلين، البالغ عددهم ١١٠ ألف سجين، كان أكثر من ثلثهم محتجزين في معسكر برجن بلسن للمقايضة عليهم، لكن خطة التبادل لم تأخذ طريقها إلى حيز التنفيذ إلا في حدود ضيقة للغاية، ولم يتحرر من قبضة النازيين سوى عدد ضئيل من آلاف السجناء في برجن بلسن.

ويرصد المؤلف أن هذا المعسكر تحول في أواخر عام ١٩٤٤ من معسكر متميز للمحظوظين لاستخدامهم في عملية التبادل إلى معسكر إبادة، واكتسب وجها قميئاً وسمعة بالغة السوء، فبعد أن كان في مراحله الأولى مجرد معسكر احتجاز ليهود تفيض قلوبهم بالأمل في الهجرة السريعة إلى فلسطين أو إحدى البلاد القريبة، نراه يتحول في مراحله الأخيرة إلى معسكر إبادة، وفي الفترة من أوائل يناير إلى منتصف أبريل ١٩٤٥، مات في المعسكر مايقرب من ٣٥ ألف سجين، وظل الموت يحصد أرواح الكثيرين من سجناء برجن بلسن، حتى بعد أن تم تحريره على أيدي القوات البريطانية في ١٥ أبريل ١٩٤٥، ومنذ تحريره وحتى ٢٠ يونيه من نفس العام مات في السجن ١٤ ألف سجين، أي أن ضحايا المعسكر في أقل من ستة أشهر بلغ نحو ٥٠ ألف سجين.

ويسجل المؤلف شهادات بعض الناجين من هذا المعسكر، التي تكشف الكثير من المعاناة، ثم يتحدث عن أن بعض اليهود - برغم هذه الظروف المأساوية - كانوا يقيمون صلواتهم سراً حتى يحافظوا على أمنهم النفسي وصلتهم الروحية، لكن البعض الآخر غيّر دينه أو أصبح بلا دين، ثم يصل المؤلف في النهاية إلى قيام القوات البريطانية بتحرير المعسكر لكنه ينتقد ضعف الرعاية الصحية، التي خصصها الإنجليز للسجناء في هذا المعسكر، وهو ما أدى إلى موت عدد كبير منهم قبل أن يتم إنقاذهم طبياً.



أميرة أبوجبة - مصر

هل تؤمن بأنه يمكن تغيير رأي شخص آخر؟ انه مهما كان مركزك، ومهما كانت مهنتك فان احد اكبر اسلحتك هو قوة الاقناع، والخبرة والنجاح يسيران جنباً الى جنب في اي موقف. ان الامر يتطلب اكثر من الثقة بالنفس والقدرة على تكرار ما تؤمن به حتى تقوم باقناع الشخص الآخر. وهناك ثلاث خطوات للاقناع:

ثقة الجمهور

هي تحضير افكارك بدقة، ابدأ بالتخطيط لبعض اساليب اتصالك بجمهورك ومستمعيك، فكر في كيفية كسب ثقتهم، ويساعدك في ذلك ان تجمع أكبر قدر من المعلومات عن جمهورك، ثم البحث عن الاسباب التي قد تؤدي الى اقناعهم وموافقتهم.

مشاركون لا قلقون

هي الحديث نفسه، فقد يكون بامكانك صياغة عبارات بشكل مثالي، ولكن هذا لن يكون له اي قيمة ان لم تستطع جذب الجمهور للاستماع اليك، ان الحديث عن التفاصيل المملة يبعث الملل والسأم، اذا فما الذي يجب عمله لجذب الجمهور الى صفك؟ يمكنك البدء بالقاء الاسئلة بدلاً من التصريح بالعبارات، او القاء البيانات، فبدلاً ان تقول مثلاً: «انا اريد» يمكنك ان تقول «ماذا لو جربنا القيام بكذا؟» وبدلاً من قول «انا اعتقد» يمكنك ان تقول «هل فكرتم في كذا؟»، فإذا تمكنت من اشعار مستمعيك بانهم مشاركون لا متلقون فقط، فستكون قد اكتشفت اول انواع قوى الاقناع، ويمكنك اظهار مشاعرك: (حماسك واهتمامك بالمشروع الذي تدعوا اليه)، فالناس تجذب تلقائياً نحو من يحدثهم بصراحة وصدق.

نجاح كامل

يجب ان تعرف انه لا يمكنك اقناع الجميع كل الوقت، ولكن يمكنك ان تنجح في اقناعهم ٩٠ ٪ من الوقت، وهو ما يجب عليك عمله:

اقهر الخوف من عدم القبول او الرفض، توقف عن القلق بشأن قبول الآخرين او احترامهم لك. وافهم انه لا يوجد انسان معصوم من الخطأ، لذلك توقع الخسارة أحياناً، وتقبل اختلاف وجهات النظر. وحول أي عصبية تشعر بها إلى حماس وطاقة عمل.

التعاطف

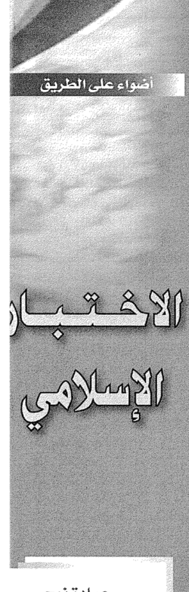
تعبيرك عن تعاطفك مع مستمعك، يخلق حلقة اتصال معه، تذكر دائماً انك تحتاج الى ان تعرف الناس أنك تفهمهم وتتعاطف معهم، اهتم بالشخص الآخر، والامور التي تخصه، وابحث عن ارضية مشتركة بينكما، كأن تجد موضوعاً يمكنكما الاتفاق عليه، لانكما مررتما بالتجربة نفسها سابقاً، عشتما في المدينة نفسها مثلاً، او دراستها بالمدرسة نفسها.

اعرف مستمعك

بعض الناس يريدون الوصول الى قرار سريع، وآخرون يحتاجون لبعض الوقت لاتخاذ قراراتهم، حاول ان تكون مرناً، وتحرك حسب ايقاع الشخص امامك، أشعره بالراحة، ولا يعني هذا ان تغير شخصيتك، بل عليك فقط ان تجعلها تتسع لتستوعب الشخصيات المختلفة.

دروس في الاستماع

قرر ان تسمح للناس بأن يتحدثوا دون مقاطعة، وكن على استعداد لسماع ما لا تحب، وتعلم السيطرة على مشاعرك، فلو كانت أنباء سيئة، فحاول ان تبتعد بنفسك عما يقال، ولكن استمر في الاصغاء حتى تفهم ما يحدث واسبابه. وكن بسيطاً وسهل على مستمعيك فهم ما تريد.



عبادة نوح
nooh22@hotmail.com

تعيش الأمة الإسلامية اليوم مرحلة فاصلة في تاريخها.. مرحلة الصراع فيها على أشده بين الحق والباطل، بين الخير والشر، بين الفضائل الرذائل.

فما يحدث في غزة الجريحة دليل واضح على الفرق الشاسع بين المسلمين واليهود في مختلف مجالات الحياة، حتى في القيم والمبادئ الانسانية، وهذا ما عبرت عنه مجرمة الحرب الجديدة الداعرة الصهيونية تسبي ليفني بقولها أن ما يحدث في القطاع ليس حربا بين «اسرائيل» وجماعة ارهابية، وانما هو صراع قيم ومبادئ! ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر...﴾ (آل عمران: ١١٨).

ونحمد الله أن ابتلانا بهذا المصاب الجلل ليكشف لنا المنافقين من بني جلدتنا، والمتخاذلين ممن يدعون الإسلام، والمتعربدين ممن يقودون مجتمعاتن، فالله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصر أهل غزة، ولكنها سنة الابتلاء والتمحيص ﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز﴾ (الحديد: ٢٥) فماذا قدم المسلمون لهذه القضية؟

إن ما يشهده الميدان يثبت حقا دور كل فرد ومؤسسة في هذه الأمة على مختلف المستويات والفئات سواء بالسلب أو الأيجاب ليعود ذلك بالنفع للجميع في الدنيا قبل الآخرة خاصة أن هناك فئة من أصحاب الأقلام المسمومة ورواد الكلمات الخائنة وأصدقاء القردة والخنازير وأبناء «السكسونية» المجحفة يصطادون في (الماء العكر)..

فأعمالنا تلوح في الأفق بإمكانية تضييع فلسطين، كما ضيعت الأندلس من قبل، بسبب خلودنا للراحة الدنيوية وتغييبنا عن الحقيقة الأخروية، فأحد المؤلفين الصهاينة يؤكد: «إن إجبار العرب على الصلح مع إسرائيل هو هدف حيوي من أهداف السياسة الإسرائيلية، ولا بد لها من السعي إلى تحقيقه، إذا أرادت التخلص من الوضع الشاذ الذي يستحوذ عليها منذ مولدها عام ثمانية وأربعين ... والعنف أهم وسيلة للاعتراف بكياننا».

ونحن على يقين تام بأن هذا الكيان الدخيل وسط ٣٠٠ مليون عربي مسلم يسعى لتمزيق أواصر وحدتنا وروابطنا المتعددة من دين وجيرة وقيم وعادات، وهذا ما أكده موسى ساريد رئيس وزراء «إسرائيل» الأسبق في مذكراته من أنه كي تبقى «إسرائيل» فلا بد من تحقيق هدفين مهمين أولهما: أن تصبح «إسرائيل» قوة إقليمية مهيمنة، تتمتع دائمًا بالتفوق العسكري على العرب، والآخر أن تفرض «إسرائيل» تقسيم المنطقة إلى دويلات صغيرة، ضعيفة ومفككة.

وطرح ساريد وابن جوريون أفكار عدة لتحقيق الخطوة الثانية، أي تقسيم المنطقة الإسلامية إلى دويلات صغيرة ضعيفة ومفككة، تحت شعار طائفي أو عرقي أو غير ذلك، وقد طرحوا آراء لتقسيم لبنان وسورية والعراق والأردن ومصر... الخ، وهذا ما حصل في مؤتمر السلام، فقد دخلت كل دولة من الدول العربية على حدة في مفاوضات مع «إسرائيل»، وكانت غير ملزمة بأن تتفاوض مع الجميع، فتتفاوض مع من تريد وترفض مفاوضة من لا تريد. فالصورة الواضحة مما يحدث هي أن هذا «الدمل» الخبيث لن يقتلع من الجسد إلا إذا استخدمنا أدواتنا الطبية الصحيحة المتمثلة في الكتاب والسنة، وهذا ما نتغافل عنه اليوم لسبب أو لآخر.

ولنتمعن في قول الله تعالى ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ (الانفال -٦٠) فلا بد من تضافر الجهود للحصول على أسرار التسليح وخفاياه، والحصول على التكنولوجيا المتطورة، كما فعل الكيان الصهيوني تمامًا، فلم تكن مهمة الموساد مضايقة المستوطن «الإسرائيلي»، أو ملاحقته، أو حبس حريته، بل كانت مهمته خدمة المصالح القريبة والبعيدة لليهود، وتنفيذ العمليات الداخلية والخارجية التي يعتقد اليهود أنها في صالحهم. والله ولي التوفيق.

لفتة

■ «المعركة الفاصلة مع اليهود» كتاب أكثر من رائع للشيخ سلمان العودة، وأنصح كل مثقف ومفكر غيور على وطنه وأمته بأن يقرأه بتمعن ولن يندم.

■ أتحفتنا بعض الفضائيات والصحف والمجلات بالدفاع المستميت عن العدوان الصهيوني وكأنهم صهاينة أكثر منهم .. واسألهم سؤال واحد، أيهما أولى بالظفر الجاه والمال أم الجنة؟!

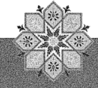
■ أعتب على بعض العلماء الذين كان يظهرون في كل المناسبات ويقودون الرأي العام إلا في قضية فلسطين وكأنها مسألة خلافية لا تستدعي الحديث فيها!

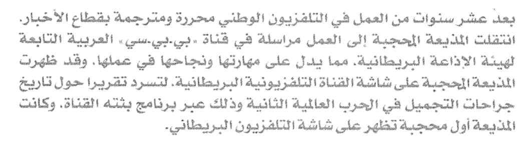
■ تحية خاصة للمجاهدين في المقاومة الباسلة في غزة ونقول لهم أنتم مصدر عزة الأمة في زمن ضاع فيه أبسط أنواع الشهامة والرجولة.

أسـرتي

- هتك أسرار البيوت جريمة
- نبذ العنف ضد النساء
- أنين غزة





مذيعة محجبة!

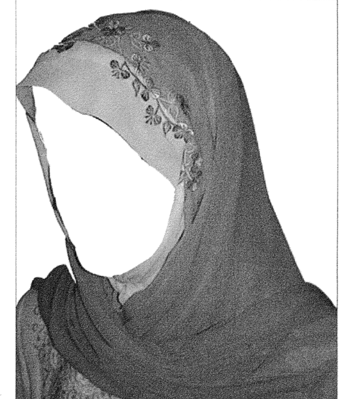
بعد عشر سنوات من العمل في التلفزيون الوطني محررة ومترجمة بقطاع الأخبار. انتقلت المذيعة المحجبة إلى العمل مراسلة في قناة «بي.بي.سي» العربية التابعة لهيئة الإذاعة البريطانية. مما يدل على مهارتها ونجاحها في عملها. وقد ظهرت المذيعة المحجبة على شاشة القناة التلفزيونية البريطانية. لتسرد تقريرا حول تاريخ جراحات التجميل في الحرب العالمية الثانية وذلك عبر برنامج بثته القناة. وكانت المذيعة أول محجبة تظهر على شاشة التلفزيون البريطاني.



د. حلمي القاعود

وكانت المذيعة المحجبة، قد حاولت مرارا في أثناء عملها بتلفزيون بلدها أن تظهر على الشاشة ولكنها أخفقت، وذلك بسبب الحجاب، لأن المسؤولين في التلفزيون لا يوافقون على ظهور محجبات.

بالطبع كانت المذيعة المحجبة سعيدة بظهورها على الشاشة الفضية البريطانية، لأنها مارست حريتها في ارتداء الحجاب اتساقاً مع دينها وعقيدتها، وأثبتت جدارتها وكفاءتها مثل الآخرين الذين يعملون ويجتهدون، وهو ما يشجعها على الاستمرار في التفوق، خاصة أن مذيعة محجبة لم تظهر من قبلها على هذه الشاشة.



معيار المهنية

وقد أفاد رئيس الخدمة العربية بهيئة الإذاعة البريطانية أنه لا توجد معايير تحريرية تمنع ظهور نساء يرتدين الحجاب على شاشات بي.بي.سي، وأضاف: إن إدارة هيئة الإذاعة البريطانية لا تضع مسألة الحجاب في الحسبان عند النظر في التكاليف الصحافية.

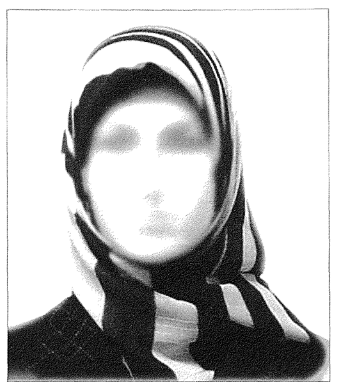
وأشار إلى أن ظهور المذيعة المحجبة لم يكن مخططاً له، ولم يتم الرجوع إليه بوصفه رئيساً للخدمة العربية أو للمسؤولين في هيئة الإذاعة البريطانية في هذا الشأن، لأن الزيّ- كما يعتقد- ليس جزءاً في عملية اختيار الصحافيين.

وختم الرجل تعليقه قائلاً: من السخرية أن بعض مؤسسات العالم العربي عندها تخوف من مسألة الحجاب.

وإذا كان التلفزيون البريطاني لا يتخوف من مسألة الحجاب، فإن بعض الدول العربية تتخذ موقفاً صارماً من ظهور المحجبات على الشاشة الفضية، وترى في ذلك عملاً مخالفاً لنظام الدولة وسياستها، مع أن الدستور في هذه الدول يقرر أن الإسلام هو الدين الرسمي، ومصدر التشريع الرئيس، ولا يستطيع مسؤول في هذه الدول أن يتنكر للشريعة الإسلامية علناً، والقرآن الكريم يقول صراحة: ﴿يأيُّها النّبيُّ قُل لأزواجك وبناتك ونساء المُؤمنين يُدنين عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذين وكان اللّهُ غفُورًا رّحيمًا﴾ (الأحزاب- ٥٩).

مفارقات عجيبة

ومن المفارقات أن السنوات الماضية شهدت صراعاً قانونياً أمام القضاء بين مجموعة من المذيعات في بلد عربي، تحجبن استجابة للعقيدة والشريعة، وكن بالقياس إلى غيرهن من الزميلات يمثلن تفوقاً واضحاً في عملهن وأدائهن، ومع ذلك، فقد منعتهن إدارة التلفزيون من الظهور على الشاشة، وتم تحويلهن إلى القيام بأعمال



أخـرى وراء الـشـاشـة، وقد استطاعت إحداهن منذ شهور أن تحصل على حكم ملزم بتمكينها من الظهور محجبة على الشاشة الفضية، وقد رضخت الإدارة وسمحت لها في حدود قناة محلية أو إقليمية محدودة التأثير!

في العديد من البلاد العربية تظهر مذيعات محجبات على شاشات التلفزة، دون أن يمثل ذلك مشكلة أو معضلة للمذيعات أو السلطات، وبعض هؤلاء المحجبات متفوقات في أدائهن وقدراتهن المهنية، ولا يمثلن مشكلة بحال من الأحوال، ولكن بعض النخب الثقافية المتغرّبة ترى في الحجاب مظهراً من مظاهر التطرف، فضلاً عن كونه- من وجهة نظرهم- سيثير صراعاً دينياً طرفه الآخر غير المسلمات، أو سيحول الشاشة إلى ساحة مفتوحة للصراع الديني، كما أن ظهور المذيعة المحجبة يصبح معبراً عن الاتجاه الفكري أو العنصري للقناة.

وإذا كانت القنوات الإسلامية المتخصصة تشترط ارتداء مذيعاتها الحجاب، فإن من حق السلطات الرسمية- كما ترى هذه النخب- أن تضع القواعد التي تراها ملائمة، أي نزع الحجاب!

تحالف علماني ضد الحجاب

ومع أن مسألة الحجاب لا تمثل عدواناً على أحد، ولا انتقاصاً من وجوده ولا إكراهاً له على اعتقاد، فإن العلمانيين في الغرب (غير الإسلامي) وبعض النخب المثقفة في البلاد الإسلامية صنعوا تحالفاً غير مقدس ضد الحجاب بوصفه رمزاً للإسلام يجب استئصاله في الغرب وبلاد الإسلام معاً.

ولم يعد خافياً ما يلاقيه الحجاب في الغرب من

تلفزيون البي بي سي البريطاني يسمح لمذيعة محجبة وتلفزيون دولة مسلمة يرفض أحكام القضاء بظهور المحجبات على شاشاته لسنوات

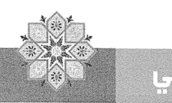
ازدراء ومحاربة في كثير من المؤسسات والأماكن، لدرجة فصل الموظفات المحجبات من أعمالهن، والتلميذات المحجبات من مدارسهن، وقد صدرت قوانين في بعض البلاد الأوروبية لحرمان الطالبات والعاملات المحجبات من التعليم والوظائف، ولا يكاد يمرّ يوم إلا وتحمل الأنباء خبراً عن مأساة مسلمة محجبة في هذه المدينة الغربية أو تلك، بسبب حجابها وتمسكها به، ومن المؤسف أن يصل الأمر إلى استبعاد المحجبات في المؤتمرات واللقاءات والتجمعات ذات الصبغة الرسمية أو الشعبية كما حدث مثلاً في أحد المؤتمرات الانتخابية لمرشح الرئاسة الأميركية باراك أوباما، حيث تم استبعاد فتاتين مسلمتين عن المنصة بسبب حجابهما.

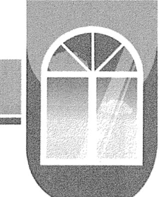
وللأسف فإن بعض البلاد الإسلامية تحذو حذو الغرب في الموقف من الحجاب، لدرجة أن بعض الحكومات كانت مرشحة للسقوط بسببه، وهو ما حدث في تركيا، حيث كان قانون السماح بارتداء الحجاب داخل الجامعات الذي أقره البرلمان التركي سبباً لرفع دعوى أمام المحكمة لإسقاط حكومة حزب العدالة والتنمية.. ومع ذلك فإن حزب الشعب القومي التركي العلماني المتشدد ضد الحجاب لم يجد أخيرا مفراً، كي يكسب أنصاراً في الانتخابات، من السماح لبعض النساء في حزبه بارتداء الحجاب واستقبالهن بوساطة رئيس الحزب أمام كاميرات التلفزة والصحافة، وأبدى تسامحا غريباً مع المحجبات!

ولكن نمو عدد النساء المحجبات في العالم الإسلامي، يؤكد عودة المرأة المسلمة إلى فطرتها، دون أن تعبأ بالحملات الكثيفة التي يشنها خصوم الإسلام ضد معتقداته وتشريعاته وقيمه.

أخطر ما يفعله هؤلاء الخصوم هو إصرارهم على محاربة الحجاب عبر الأعمال السينمائية والدرامية المصورة، فلا تكاد تعثر على سيدة أو فنانة محجبة، مع أن نسبة المحجبات تتجاوز ٩٠٪ في المجتمعات الإسلامية، بل إن خصومة القوم تذهب إلى أبعد من ذلك حين تطبع في وجدان المشاهدين سلوكيات وأخلاقيات تزدري بالمرأة المحجبة وتشوه الإسلام.

ومهما يكن من أمر، فإن وجود مذيعة محجبة على شاشة التلفزيون لن يغير نظام الكون، ولن يؤذي أحداً، ولن يؤجج صراعاً دينياً في دولة إسلامية، لسبب بسيط هو أن المجتمعات الإسلامية، أهلها جميعا مسلمون بالعقيدة أو الثقافة، ولا يجدون غرابة في أن تكون المرأة محجبة على الشاشة أو بعيداً عنها، لأن هذا هو الأمر الطبيعي والفطري.





هتك أسرار البيوت جريمة مجتمعية

كمال عبدالمنعم

هتك أسرار الحياة الزوجية هو قاصمة الظهر لاستمرار تلك الحياة. ذلك لأنه يجعل الزوجين أحدهما أو كليهما في حرج وخجل شديدين من مواجهة المجتمع من حولهما. لم لا وقد هتكت أسرار حياتهما الزوجية؟ وأصبح هذا وهذه، وهم وهن يتحدثون عن هذا البيت وعما يدور فيه، وعن مشاكله التي لا تنتهي، ولا يجد المصلحون لها حلولاً، وإن وجدت لا يجدون لها آذانا صاغية.

والبيت المسلم يقوم أساسه ومعاملاته خاصة بين الزوجين على الستر والصون، وحفظ الأسرار بينهما، فلا يطلع عليها أحد، قريب أو بعيد، حتى الأبناء، وهذا أدعى الى نجاح هذا البيت والى تحقيق السكن والمودة والرحمة التي هي أركان الحياة الزوجية، فلا بد من سر قائم بين الزوجين في أمور ما، هذا السر يعد بمثابة العهد بينهما، لا يجوز نقضه، بل يجب الوفاء به، لأن هذا من شيم المؤمنين الذين خاطبهم الله تعالى في صيغة الأمر قائلاً: ﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾(النحل -٩١)، وقال سبحانه: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾(الأسراء - ٣٤)، والذي ينقض هذا العهد ولا يفي به فيه خصلة من النفاق، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان»، وفي زيادة للإمام مسلم «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»، وإن كانت هذه الأدلة تحث على الوفاء بالعهود بشكل عام إلا ان الاسلام شدد على أهمية حفظ قدسية العلاقة الزوجية فقال عنها: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾(البقرة -١٨٧)، فتخيل أخي الكريم وأختي الكريمة هذا الوصف، وكيف ينسحب على جميع شؤون الحياة الزوجية الخاصة منها والعامة؟ كذلك قال الله تعالى واصفاً هذه العلاقة: ﴿وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾(النساء -٢١)، هذا الافضاء الذي يشمل كل الاسرار الزوجية بما فيها القول والفعل، التلميح والتصريح، فمن العبث أن تفشى هذه الأسرار

أو يباح بها خارج جدران غرفة نومهما، وخص النبي ﷺ العلاقة الزوجية بهذا الوفاء حفظاً للأسرار وحماية للأسرة المسلمة من التفكك والانهيار، فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ان من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي الى المرأة وتفضي اليه ثم ينشر سرها».

فضفضة مقيتة

والعجب كل العجب من الذي يهتك سر بيته بإرادته لا رغما عنه فيذهب الى أصدقائه في العمل ليتحدث معهم عما يدور في بيته وعن

كم من البيوت هدمت؟ وكم من الأبناء شردوا؟ بفعل هتك أسرار البيوت من باب الفضفضة المقيتة

حواراته مع زوجته، وربما تطرق الحديث الى أخص علاقاته بزوجته، والمرأة كذلك تنتشي بإفشاء هذه الأسرار أمام قريناتها في العمل، وهي تظن أنها تفضفض عن نفسها بما تفعل، ولا تدري ان من بين من تحدثهن التي تحبها فتحفظ سرها ولا تفشيه، والتي تكرهها وتتمنى هدم بيتها وتقويض أركانه، هذا فضلاً عن ان من فعل ذلك، يستحق وصف النبي ﷺ له، فقد روى الامام أحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها- قالت: كنت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال: «لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم» (عضوا على أضراسهم) فقالت أسماء: أي والله يا رسول الله إنهن يفعلن، وانهم يفعلون، قال: «فلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في الطريق فغشيها والناس ينظرون»، فهذا أقل ما يوصف به من يهتك أسرار بيته.

وغالباً فإن المشكلات الأسرية التي تحدث هي الاساس في افشاء الاسرار لان الزوجين لايحسنان ادارة المشكلة والوصول الى حلول سريعة لها، فأول ما تحدث المشكلة تعلو الاصوات وتُتبادل الاتهامات بينهما، ويحكي هذا وتحكي هذه، ويتسع الخرق على الراقع، وان تم التوصل الى حل يكون بعد ان اذيعت الاسرار التي كانت، ولو أن الزوجين اغلقا الباب عليهما وتناقشا بطريقة هادئة بعيدة عن از الشيطان وهمزه ولمزه لتوصلا الى حلول مرضية لكل شقاق.

بيت الزهراء

فهذه زوجة تربت في بيت النبوة تعطينا القدرة في حفظ اسرار بيتها حتى عن أبيها رسول الله ﷺ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: «جاء النبي ﷺ الى بيت فاطمة رضي الله عنها فلم يجد علياً رضي الله عنه فقال «اين ابن عمك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني، فخرج النبي ﷺ فقال لرجل: «انظر اين هو»؟، فقال: هو في المسجد راقد، فجاء وهو مضطجع وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يقول: «قم يا أبا تراب، قم يا أبا تراب»، يقول سهل بن سعد: ما كان لعلي اسم أحب إليه منه.

فكم من الحكم في هذه القصة الرائعة في حسن تصرف الرسول ﷺ في عدم سؤاله عن سبب الغضب حتى لا تتسع دائرة المعرفة بما حدث بين الزوجين، وتباح الأسرار، وفي حسن تصرف الزوجة البتول فاطمة الزهراء في عدم إفشائها أسرار بيتها ولو لأبيها النبي المختار، وفي حسن تصرف الزوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث خرج «مؤقتا» من المكان الذي أجج فيه الشيطان نار الخلاف بينه وبين زوجته، فلم يعطه الفرصة كي يزيد من اشتعال تلك النار، فأين ذهب اذن؟ انه لم يذهب الى فلان كي يقص عليه ما حدث، ولم يشتك حتى لرسول الله ﷺ، بل جلس في المسجد لأن المسلم فيه ابعد ما يكون عن وسوسة الشيطان.

قدوة للأبناء

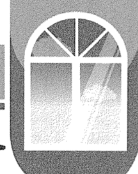
إن الزوجين اذا حفظا اسرار بيتهما يكون ذلك قدوة للأبناء للتخلق بهذا الخلق، فقد روى مسلم في صحيحه عن ثابت عن انس بن مالك - رضي الله عنهما - قال: «أتى علي رسول الله ﷺ وأنا ألعب مع الغلمان فسلم علينا، فبعثني في حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟

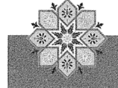
فقلت: بعثني رسول الله ﷺ لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تخبرن بسر رسول الله ﷺ أحداً، قال أنس: «والله لو حدثت به أحداً لحدثتك به يا ثابت»، فهذا مثال عظيم للابن الذي يصون الأسرار ولا يفشيها، ومثال رائع للأم التي ساعدت ابنها في حفظ الأسرار، فقد ربته وعلمته ذلك.

إن المرأة العربية نصحت ابنتها في ليلة عرسها قائلة لها: «لا تفشي له سراً، ولا تعصى له أمراً، فإنك ان افشيت سره لم تأمني غدره، وان عصيت أمره أو غرت صدره».

فالمرأة المسلمة تصون سر بيتها وكذا الزوج، فهما يتعاهدان أمام الله على ذلك، والا فان حياتهما مهددة بالفشل والانهيار، جراء افشاء الأسرار.

فكوني كفاطمة الزهراء في حفظ اسرار البيت، وقولي لزوجك: زوجي العزيز، سرك في بئر، وإياك ان يكون هذا البئر سقيا للرائح والغادي!! وأنت كذلك أيها الزوج الكريم.





حتى تصدق الرغبة في نبذ العنف ضد النساء

د.صالحة رحوتي

في عالم متلاشية فيه القيم ومتهالكة فيه مقومات الإنسانية، لا بد أن يطول الضعيف القهر وسوء المعاملة، ولما كانت المرأة قد صنفت ضمن فصيلة «الضعفاء» وتعورف على أنها تستحق «العنف» فمن اللازم القول إنها تستحق أيضا التعاطف معها وأن يحتفل باليوم العالمي لنبذ العنف ضدها ولمواجهة احتقارها.

لكن وقد اتُفق على أن العنف معيب في حقها، ويجب ردع مرتكبيه وردهم إلى الجادة أو حتى معاقبتهم إن لم يرعووا وينتهوا، فيجب أن يُصطلح أيضا على أن كل أنواع العنف تجاهها مرفوضة وكل أصنافه ممقوتة.

ولا شك أن العنف الزوجي مخرب لأنسجة الأسر، ولا شك أيضا أن المطلوب هو إشاعة المودة والرحمة داخل البيوت، انطلاقا من ضرورة احتساب كل من الطرفين للمسؤولية تجاه الآخر.

وعلى الرغم من الآثار السيئة والمدمرة لهذا العنف فإن هناك عنفا آخر مقيت يطول منها الجسد ويفتك بالنفس، ما يجعل الحديث عنه أحرى وأهم ويجعله أولى بالمحاربة، لكن وللأسف الشديد فإن ذلك الصنف استُمرئ وجوده، وتُعورف على استحلاله، وتووطئ على غض الطرف عن تداعياته وآثاره.

إنه يتمثل في أسواق النخاسة المنتشرة في كل ربوع العالم «المتحضر» حيث تعرض فيها الأجساد وبأبخس الأثمان وحتى لقد غدا يُعتبر ذلك البيع من مستلزمات التقدم وضرورات الحضارة.

والأنكى والأشد أن هنالك نساء مثقفات لا يستنكرنه، بل ينادين بتقنينه وجعله تحت الإشراف الطبي ضمانا لإيجاد أحسن الظروف النفسية للرجال المستهلكين لتلك الأجساد المعروضة المعدة للاستهلاك.

إن هؤلاء النسوة يرمن «تحقيق الإشباع الجنسي» للرجال كيفما اتفق وأينما كان ذلك، ولو في المواخير، وهن المناضلات اللواتي يظللن يجعجعن حول ضرورة التحرر من ربق العبودية، وينفقن الكثير من الوقت في الحديث حول ضرورة تحقيق المساواة، يُردْنَهن أن يكن مطمئنات غير خائفات من الإصابة بالأمراض الجنسية حين ممارسة تفلتاتهن وعند القيام بانحرافاتهن وهن يزعمن أنهن يدافعن عن حقوق بائعات اللذة، لأنهن نساء مثلهن، يعترفن لهن بحق التصرف في الجسد، ثم يتخذن لهن الأعذار لأنهن المضطرات بدافع الحاجة والفقر وقد تكون منهن فعلا فئة من المحتاجات المعانيات من آثار الفاقة، لكن، أولا يبدو امتهان مهن أخرى من طرفهن أقل ضررا وأقل عنفا على أجسادهن وعلى مقوماتهن النفسية؟

فنتائج العهر ليست إلا الجراح في الأجساد تتآكل بفعل تواتر أمراض جنسية مدمرة، وليست سوى الشروخ في الحنايا تتناثر منها الشظايا بسبب صدمات عاطفية محطمة.

لا بد أنه من الواجب، والحالة هذه، أن يهب الجميع لدرء هذا العنف عن هؤلاء النسوة، إلا إذا احتُسب أنهن من الدرجة الدنيا في سلم الطبقات، وما يُحتاج إلى الاهتمام بأوضاعهن، بل يجب تكريسها توفيرا للمتع حين تتطلبها الطبقات الأخرى.

«راضيات عما هن عليه» هكذا يقال، لكنهن أيضا الأميات الجاهلات في الأغلب الأعم كما يقال عنهن مرة أخرى، وتقع على المجتمع مسؤولية إنقاذهن من أتون هذا العنف الذي لا يدركن مقدار عمق الهاوية الكامنة فيه،،، ففي الوقت الذي تتزايد فيه نسب المصابات بالوباء الوبيل «الإيدز» يُقترح عليهن فقط من طرف المسؤولات عن جمعيات محاربة داء الإيدز إرغام الزبناء على استعمال العازل الطبي، وكأنهن غير عالمات بالحمولة الثقافية التي تختزنها العقلية الرجالية حول الجنس وظروف ممارسته في واقعنا المتخلف، ثم كأنهن لا يدرين أن المشتري هو من يحدد الشروط ويدفع الثمن، ثم أيضا كأنهن لا يدركن أن استعمال تلك القطعة من اللدائن حتى وإن منعت مرور الفيروس القاتل، فإنها لا تدرأ جرثوم المهانة المدمر ولا سم الاحتقار المشين.

ففي دراسة حول الممتهنات للجنس في المغرب أنجزتها المنظمة الإفريقية لمحاربة داء الإيدز، يبدو وكأن سن المتعرضات لعنف الدعارة آخذة في التناقص بشكل رهيب، إذ هي السن بين التاسعة والخامسة عشرة، تلك التي يبدأ فيها ٥٩،٤ في المائة من المحترفات في التقاضي.

هو عنف متفاقم بغيض إذن، ولا يطول البالغات فقط، وإنما يتعداهن إلى الطفلات ليسرق طفولتهن وبراءتهن على اطلاع من المجتمع وعلى مرأى من «مثقفيه» ولا من منافح عنهن ولا مجرّم للمستغلين لأجسادهن، بل هنالك فقط المبتهجون بالوفود المتناسلة من السياح القادمين الراغبين في قضاء الوطر وتحصيل المتع وتحقيق الشهوات.

عنف الدعارة إذن هو ما يجب أن يشجب قبل كل شيء، والنساء هن من يجب أن يمتنعن أو حتى يُمنعن من أن يعنفن أنفسهن بامتهان العهر، والرجال هم من ينبغي أن يبرهنوا على صدق الرغبة في القضاء على هذه الظاهرة المشينة بعدم استعمال بضائع أسواق النخاسة.

خطوات تستبطن الصدق حقيقة، ولعل هذا هو ما يلزم أن يُفعل، وأن يُقام به عوض تلك الجعجعة المتواترة من الكل سنويا حول نبذ العنف ضد النساء.



توتر الآباء ليس مسؤولية الأبناء

آمال عبدالرحمن محمد - مصر

أشعر بأننا ندور في ساقية لا تتوقف.. هكذا صرحت ميليسا هيل، الأم والزوجة الأميركية العاملة التي انغمس زوجها في عمله الحر وانشغل أولادها الثلاثة بالدراسة وبالأنشطة الرياضية حتى أصبحوا لايجدون وقتا لتناول العشاء معا، خلال دراسة أجرتها الجمعية الأمريكية للطب النفسي في ٢٠٠٥ م ومن الواضح أن ميليسا هيل تعيش في فوضى لا تستطيع السيطرة عليها وتشعر بالتوتر جراء هذه الفوضى، لكنها ليست الوحيدة.

فالتوتر يهدد ٤٧ ٪ من النساء والآباء العاملين في الولايات المتحدة الأميركية، وذلك وفقا لإحصاء أجرته الجمعية الأميركية للطب النفسي، كما كشف إحصاء آخر تم اجراؤه عام ٢٠٠٥ عن أن الأطفال أيضا يصابون بالتوتر بسبب الواجبات المدرسية بنسبة ٣٦ ٪ وبسبب الأسرة بنسبة ٣٢٪ والأصدقاء والنميمة والمداعبة بنسبة ٢١٪ وقد وضع الخبراء التربويون بعض الإرشادات التي تساعد المرأة على تجنب الإحساس والمعاناة من التوتر ومنها النقاط التالية:

لا تهملي وقت الفراغ

أوضحت الاستفتاءات أن ٢٦ ٪ من الأمهات الأميركيات يتركن العمل يزحف على الوقت المخصص لأسرهن، وأن ساعات العمل زادت لديهن بنسبة ٢٥ ٪ بينما نقصت أوقات الفراغ بنسبة ٢٥٪ والمعروف أن الأميركيين يحصلون على اجازات أقل من نظرائهم في بقية المجتمعات الصناعية خوفا من فقدان وظائفهم، وتقول د.بولين بوس مؤلفة كتاب «إدارة ضغوط الأسرة» إن الآباء يريدون السيطرة على كل كبيرة وصغيرة في حياة الأبناء، كما أنهم يحاولون منح أبنائهم كل خبراتهم التي تعلموها لينجحوا، وفي سبيل تحقيق ذلك يحرمون أنفسهم من كل أوقات الراحة التي يحتاجون إليها.

تنفس أنت أولاً

إذا كنت دائماً متوترة فاعلمي أنك لن تستطيعي تعليم طفلك كيفية التعامل مع الآخرين بأسلوب صحيح، وأحسن هدية يمكنك تقديمها له هي أن تكوني أما سليمة العقل والبدن وراضية عن حياتك، فأبناؤك يحتاجون إليك أكثر مما يحتاجون إلى درس «باليه» أو مباراة كرة قدم.

لا تنشدي الكمال

ربما يخيل إليك أن الآخرين يعيشون حياة أفضل من حياتك، مثل جارتك التي يبدو منزلها أكثر ترتيبا من منزلك، أو ابنة أخيك التي أجادت القراءة أكثر من طفلك، توقفي عن توبيخ نفسك ومقارنتها بالأخريات من حولك واعلمي أنك مثل الآخرين، وهم لا يتصفون بالكمال، لأنك إذا تحدثت معهم بصراحة ستجدينهم مثلك وربما أقل منك وقد يكون لديهم من يعاونهم على بلوغ ما وصلوا إليه من كمال.

اتصلي بالآخرين

بعض الناس لديهم قناعة أن في استطاعتهم المضي في الحياة من دون طلب المساعدة من الآخرين، ولكن تأكدي أننا لا نستطيع أن نعيش من دون مساعدة أفراد الأسرة أو الجيران أو المدرسين أو الأطباء أو بقية أفراد المجتمع، وإذا لم يكن لديك هؤلاء الأشخاص لتعتمدي عليهم في حياتك فابدئي ببناء شبكة من العلاقات لأن وجودهم من حولك ومساعدتهم في وقت الحاجة شيء أساسي في الحياة.

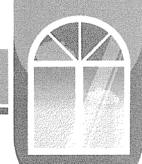
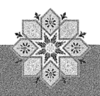
احمي أولادك من التوتر

وفقا لهيئة الصحة العقلية الأميركية يؤثر الاكتئاب على واحد من كل ثمانية مراهقين، وواحد من كل ثلاثة وثلاثين طفلا، وبعض هذا الاكتئاب يرجع الى تأثير الأسرة على الطفل، وتشيرالدراسات إلى أن الابناء يحتاجون إلى الحب والقوانين والإرشاد الأسري وإلى قضاء الوقت مع الآباء ليشعروا بالسعادة والأمن والاستقرار، كما يحتاجون الى الآباء المستقرين نفسيا وغير المتوترين ليصدروا لهم القرارات الحكيمة، ويمكنك أن تحمي طفلك من تأثير التوتر بالحد من النشاط الخارجي أنت وأطفالك، والجلوس معا لمناقشة مشكلاتهم واحتياجاتهم، كما يؤكد د.ريتشارد أوكونر مؤلف كتاب «القضاء على التوتر الدائم».

علمي أبناءك المرونة

نحن نحب أبناءنا كثيراً ولا نتحمل أن نراهم محبطين، ولكن هذا الحب المبالغ فيه يجعلهم عرضة للشعور بالتوتر الشديد عند عجزهم عن حل أي مشكلة تواجههم، لذلك نحن في حاجة لتعليمهم أن الاحباطات والتحديات ليست هي نهاية العالم وأن نعلمهم كيف يقاومون عندما لا يحصلون على ما يريدون، وفي المرة المقبلة التي يتعثر فيها طفلك في حل مشكلة ساعديه على التفكير في خطوات حلها واتركيه يتخيل الحل، وعندما يصبح مرنا ومدركا سينخفض شعوره بالتوتر وأنت الأخرى لن تعاني منه.

والنصيحة الأخيرة هي ضرورة منح مساحة من الحرية لأفراد الأسرة لأن التدخل في التفاصيل الصغيرة هو الذي يؤدي إلى التوتر.

الأبعاد الخفية لهدايا الأطفال

الهدية رمز للمحبة والمودة العميقة الخالصة، ولكنها تأتي غالباً دلالة على تثمين لجهد متميز أو إقراراً بمكانة خاصة... الخ، ومن غير شك فإن الهدية تؤدي دورا ظاهرا ملحوظا في التأثير النفسي والعاطفي على الطفل، فهي تحمل الكثير من المعاني الإيجابية الضرورية، كالمودة والعطف والتبجيل والتشجيع والاهتمام، ويزداد وقع الهدية على نفسية الطفل إذا كانت مُقدّمة من قبل الأم أو الأب، إذ تتحول في هذه الحالة إلى أداة فاعلة، أو وسيلة مهمة تدعم وتعضّد السلوك الإيجابي في منظومة الطفل الأخلاقية والسلوكية والقيمية.

المردود المعنوي

كما أن الهدية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمردود الإنجازي، سواء كان معنوياً أو مادياً، والرغبة في تحسينه واستثماره، وقد انتبه أحد علماء التربية الغربيين إلى أثر التحفيز والتشجيع على مضاعفة المردود وتحسين الأداء، عندما حضر عرضاً بهلوانياً شيقاً في «السيرك» لطائر البطريق، فقد كان المشرف على هذا العرض يبادر إلى تقديم «سمكة» كهدية تحفيزية للطائر، كلما أبدع في عروضه، وكان الطائر بدوره ينوّع أكثر في حركاته الشيقة، ويجتهد في الكشف عن مهارات جديدة - لم يظهرها من قبل - لإمتاع الجمهور، وكأنه بذلك يتطلع إلى تحصيل هدية جديدة أو مكافأة مناسبة للجهد المبذول، فأدرك هذا الخبير التربوي على الفور مدى أثر عنصر التحفيز وفعاليته الظاهرة على الاجتهاد في العمل، والكشف عن المهارات المتميزة، وتحسين الأداء، كما اكتشف هذا العالم التربوي - من خلال عروض طائر البطريق - أن التربية بواسطة التحفيز والتشجيع أكثر مردوداً من تلك التي تعتمد على أساليب العقاب والزجر أو تغلب فيها على غيرها من الأساليب.

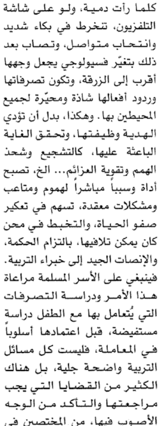
ولعل هذا الأمر واضح في منهج التربية الإسلامية المستمد من القرآن الكريم، فالترغيب أبرز من الترهيب في آيات القرآن، والحكمة ظاهرة أيضاً من تفصيل القرآن للثواب والجزاء العظيم الذي أعدّه الله تعالى للمتقين في جنات النعيم، فقد فصّل القرآن وعرض صوراً فنية كثيرة متنوعة عن حياة مَنْ شملهم الرضوان الأعلى في دار الخلود.

خطر غير متوقع للهدية

بيد أن بعض الآباء لا ينتبهون للنتائج العكسية، أو المترتبات غير المتوقعة لبعض هداياهم لأطفالهم الصغار في بعض المناسبات الخاصة والعامة، وسبب ذلك نقص الوعي أو غياب التفكير الصحيح، نتيجة قلة العلم وسيطرة العاطفة غير المنضبطة بعقلانية راشدة مسؤولة، ومما طالعته في مطالعاتي المتكررة في هذا الباب، أن أحد الآباء وعد ابنه الصغير، وهو ما يزال في الصف الثاني الابتدائي بشراء دراجة جميلة إنْ هو تفوّق في الاختبار، وقد فاجأ هذا الأب ابنه - قبل صدور نتائج الاختبار - ودون أي تمهيد أو شرح، بإدخال الدراجة إلى غرفة ابنه الصغير، ومن شدة الفرح أصيب هذا الصغير بمرض السكري، وهو في بدايات عمره!! وقد ندم الأب ندماً شديداً على تصرفه الخاطئ، بل الأهوج، ولكن بعد فوات الأوان، حيث لا يجدي الندم والحسرة فتيلا، فقد أصاب هذا المرض المزمن الفتاك فلذة كبده، وقد يودي به يوما ما إذا جُهل التعامل معه كما جُهل التعامل مع فن الهدية.

قلة الوعي

ومثال آخر أيضا ينمّ عن الجهل وقلة الوعي، ضحيته بنتٌ بهية الطلعة في العام الخامس فقط من عمرها، حيث أحضر لها والدها دمية جميلة جداً من نوع «فلامنكو» المعروف بجودته وغلاء ثمنه، وكان والدها هذا يحبها حباً جماً، فلم ينتظر يقظتها من نوم عميق كانت تغطّ فيه، بل سارع إلى إيقاظها من نومها، ووَضع بين يديها هذه الدمية التي أراد أن يفاجئها بها، ولما كانت المسكينة لم تستيقظ تماماً، فقد أصيبت بهلع شديد، وتبيّن بعد عرضها على الأطباء أنها أصيبت بمرض يُسمى «فوبيا الدمى»، وأصبحت منذ ذلك اليوم كلما رأت دمية، ولو على شاشة التلفزيون، تنخرط في بكاء شديد وانتحاب متواصل، وتصاب بعد ذلك بتغيّر فسيولوجي يجعل وجهها أقرب إلى الزرقة، وتكون تصرفاتها وردود أفعالها شاذة ومحيّرة لجميع المحيطين بها. وهكذا، بدل أن تؤدي الهدية وظيفتها، وتحقق الغاية الباعثة عليها، كالتشجيع وشحذ الهمم وتقوية العزائم... الخ، تصبح أداة وسبباً مباشراً لهموم ومتاعب ومشكلات معقدة، تسهم في تعكير صفو الحياة، والتخبط في محن كان يمكن تلافيها، بالتزام الحكمة، والإنصات الجيد إلى خبراء التربية. فينبغي على الأسر المسلمة مراعاة هذا الأمر ودراسة التصرفات التي يُتعامل بها مع الطفل دراسة مستفيضة، قبل اعتمادها أسلوباً في المعاملة، فليست كل مسائل التربية واضحة جلية، بل هناك الكثير من القضايا التي يجب مراجعتها والتأكد من الوجه الأصوب فيها، من المختصين في علوم النفس والتربية والسلوك.


إبراهيم نويري



أنين غزة

باشراف: د.سعاد البشر - استشارية تربوية نفسية
نتواصل معا في مناقشة القواسم المشتركة في حياتنا الاجتماعية على البريد الكتروني suad119@hotmail.com

لنا في حياتنا عبر ومواقف، تمر بنا جميعا فتأخذنا بين أفراح وأتراح، نجاحات واخفاقات، غنى وفقر، سعادة وتعاسة خير وشر، وغيرها الكثير من الأضداد والمتناقضات، لأن هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار، كما قال تعالى في كتابه الحكيم «الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا» فلذلك لن يكون هناك خير محض ودائم إلا في الجنة ولن يكون شر محض ودائم إلا في النار، أما حياتنا فتحمل الضدين، فكلما تعايشنا مع هذه المواقف الحياتية بخيرها وشرها واستطعنا التكيف معها كلما استقرت حياتنا وسرنا في طريق آمن ، وكلما تخبطنا في التعامل معها ولم نستطع التوافق والتكيف كلما شعرنا بالضيق ومن ثم الحزن والذي يكون بوابة للأمراض النفسية التي قد نصاب بها.وأهلاً وسهلاً بكم أعزائي القراء، نعرض عليكم بعض الأسئلة الخاصة بالمشكلات النفسية والاجتماعية علها تكون عبرة وعظة ووقاية لكم، مع تمنياتنا للجميع بحياة سعيدة، خالية من المشكلات، هانئة بالمحبة والرحمات.



دماء تراق.. وأنفاس تكتم.. وأرواح تبعث صراخا ونحيبا.. بكاء وحزنا.. استغاثة وعويلا: ساعدونا يرحمكم الله.. أنقذونا من بطش الطغاة.. هلموا إلينا فنحن بحاجة إليكم.. حي على الجهاد.. حي على الجهاد... بهذه الكلمات الحزينة نبدأ، وهي كلمات نطق بها كل أهالي غزة، حيث مشاهد القتل في كل مكان، ومناظر الخراب تعم كل دار، فهل من مغيث؟ فهل من مجيب؟

فإليكم إخوتي في غزة تحية عز وإجلال، إليكم شهداءنا الأبرار جنة عرضها السموات والأرض، أكتب لكم وقلبي معكم، أشعر بما تشعرون به، وأتألم مما تتألمون منه، فنحن هنا في الكويت جربنا معنى الاحتلال وذقنا ألوان العذاب، وقتل أهلونا وأسر أحبابنا من غير ذنب اقترفوه، هاهو الظلم يقتل قلوبكم، هاهو الاضطهاد بجميع صوره يحتويكم، هاهو الموت يسلب منكم أحبابكم وأهليكم، فقلوبكم- بلا شك- ثكلى، وإن كان للحزن أوقات عند العالم كله فأنتم مولودون معه، يعيش بينكم وهو شاهد على كل ما حدث وما سيحدث، ولا ننسى قول الله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾(الزمر- ٥٣)، فلا تيأسوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون بإذن الله.. فالنصر قريب، والفرج آت، لأنكم تدعون ربا قريبا كريما.

عطاء الكريم

يأيتها الأمهات الكريمات، أذكركن فقط بأن هذه الدنيا دار ابتلاء وليست دار قرار، هي دار للمصائب والمحن، قدّر لكُنّ أن تعيشوها بجميع أشكالها، وأعتقد أنكن الآن الأقوى في العالم للتعامل مع مثل تلك الأزمات، والأفضل في التصدي لمثل هذه المحن، لأنكن على يقين بأن النصر آت لا محالة، وبأن مثل تلك الأوضاع غير الطبيعية لن تبقى مهما كان، لأن لكل بداية نهاية، ولكل شدة وقت ثم تزول، ولكل المحن زمن لا يمكن أن تتعداه، لأن الله خلق فسوى، وقدر فهدى، فعليكن أخواتي بالصلاة والدعاء بإلحاح، فالله لم يبتلكن إلا لأنه أحبكن، فأنتن محبوبات من الله، صابرات قانتات طيبات متعلقات بالله، لا تكللن ولا تمللن من البناء، هم يهدمون وأنتن تبنين، هم يقتلون أبناءكم وأنتن الودودات الولودات، هم يدمرون ويخربون، وأنتن تصلحن وتزينّ، أتعلمن لماذا؟ لأنكن متمسكات بأرضكن، لأنكن على حق، وعلى يقين بأن الله معكن، فصبرا صبرا... ودعاء ورجاء لله، وسيتبدل حالكم إلى أفضل حال بإذن الواحد القهار.

السكينة في القرآن

يحتل القلق النفسي المرتبة الأولى في الانتشار بين الأمراض النفسية، فالاحصاءات تفيد بأن كل شخص بين أربعة أشخاص يعاني من القلق النفسي خلال فترة حياته، والقلق حالة نفسية تتصف بالخوف والتوتر، وكثرة التوقعات، وينجم القلق عن الخوف من المستقبل، أو توقع لشيء ما، أو عن صراع نفسي بين النوازع والقيود التي تحول دون تحقيق تلك النوازع.
وقد أفاض الأطباء النفسيون وعلماء النفس في الحديث عن القلق من حيث أسبابه ومظاهره وأنواعه ومدى انتشاره وسبل علاجه، والقرآن الكريم قد سبق في بيان علاج القلق والتنبيه على ضرره، وذلك عند تناوله لمعنى السكينة في مواضع مختلفة، حيث أكد - سبحانه وتعالى- أن السكينة تتنزل من عنده على من يشاء من عباده، وأن السكينة علامة على رضا الله عز وجل عن عباده، وهي سمة العلماء والأولياء، حيث يستقر اليقين، ويثمر الخشوع، ويتجلى الوقار، وتثبت الأقدام، وفي هذا المقال الموجز بيان لمعنى السكينة وأنواعها وبعض مواردها في القرآن الكريم، ليكون القارئ على علم بهذه الصفة العظيمة والمنة الجليلة.



وليد خالد الربيع

تعريف السكينة

أصل هذه الكلمة- كمايقول ابن فارس- يدل على خلاف الاضطراب والحركة، يقال سكن الشيء يسكن سكونا فهو ساكن، ومن هذا الباب: السكينة، وهي الطمأنينة والوقار.

قال الراغب في المفردات: «السكون: ثبوت الشيء بعد تحرك، ويستعمل في الاستيطان نحو: سكن فلان مكان كذا أي: استوطنه، واسم المكان مسكن، والجمع مساكن، قال تعالى ﴿لا يرى إلا مساكنهم﴾ (الأحقاف-٢٥)، وقال تعالى ﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾ (الأنعام-١٣)، فمن الأول يقال: سكنته، ومن الثاني يقال: أسكنته نحو قوله تعالى ﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾ (ابراهيم- ٣٧)، والسكن ما يُسكن إليه، قال تعالى ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا﴾ (النحل-٨٠)، وقال تعالى ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ (التوبة- ١٠٣).

وقال ابن عباس: «كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا في سورة البقرة»، يقصد قوله تعالى ﴿وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم﴾ (البقرة-٢٤٨)، كما سيأتي بيانه.

قال ابن القيم معرفا السكينة: «هي الطمأنينة والوقار والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة الخوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان وقوة اليقين والثبات».

وقال الشيخ ابن سعدي: «السكينة: ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفظعات مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد».

ووردت السكينة في القرآن الكريم على معان منها:

المعنى الأولى: سكينة بني اسرائيل التي أعطوها في التابوت

وذلك كما جاء في قوله تعالى ﴿وقال له نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة﴾ (البقرة-٢٤٨).

وقد اختلف المفسرون في المراد بالسكينة المذكورة في الآية، كما نقله ابن كثير وابن القيم وغيرهما، هل هي عين قائمة بنفسها أو معنى؟ على قولين:

أحدهما: أنها عين، ثم اختلف اصحاب هذا القول في صفتها فروى عن علي بن أبي طالب أنها ريح هفافة لها رأسان ووجه كوجه الإنسان، ويروى عن مجاهد، أنها صورة هرة لها جناحان وعينان لهما شعاعا وجناحان من زمرد وزبرجد فإذا سمعوا صوتها أيقنوا بالنصر، وعن ابن عباس: هي طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الأنبياء، وعن وهب بن منبه: هي روح من روح الله تتكلم، اذا اختلفوا في شيء أخبرتهم ببيان ما يريدون.

والثاني: انها معنى ويكون معنى قوله ﴿وسكينة من ربكم﴾ أي ومجيئه إليكم سكينة لكم وطمأنينة، وعلى الأول يكون المعنى: إن السكينة في نفس التابوت ويؤيده عطف قوله: ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾، وقال عطاء بن أبي رباح: فيه سكينة هي ما تعرفون من الآيات فتسكنون إليها، وقال قتادة والكلبي: هي من السكون أي طمأنينة من ربكم، ففي أي مكان كان التابوت اطمأنوا إليه وسكنوا.

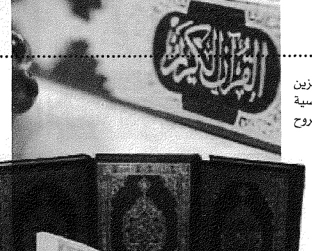
المعنى الثاني: السكينة التي أنزلها الله على قلب رسوله ﷺ والمؤمنين

قال صاحب المنازل: «أما السكينة التي نزلت على قلب النبي ﷺ وقلوب المؤمنين، فهي شيء يجمع قوة وروحاً، يسكن إليه الخائف ويتسلى به الحزين والضجر، ويسكن إليه العصي والجريء والأبي».

قال ابن القيم معلقا على كلامه: «إن هذا الشيء الذي أنزله الله في قلب رسوله ﷺ وقلوب عباده المؤمنين يشتمل على ثلاثة معان: النور والقوة والروح، وذكر له ثلاث

● العميد المساعد للاستشارات والتدريب في كلية الشريعة بالكويت

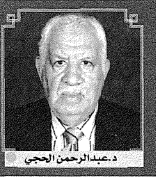
ثمرات: سكون الخائف إليه، وتسلي الحزين والضجر به، واستكانة صاحب المعصية والجرأة على المخالفة والإباء إليه، فبالروح التي فيهاحياة القلب، وبالنور الذي فيها، استنارته وضياؤه وإشراقه، وبالقوة ثباته وعزمه ونشاطه.
فالنور يكشف له عن دلائل الإيمان وحقائق اليقين ويميز له بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشد، والشك واليقين، والحياة توجب كمال يقظته وفطنته وحضوره وانتباهه من سنة الغفلة وتأهبه للقائه، والقوة توجب له الصدق وصحة المعرفة وقهر داعي الغي والعنت وضبط النفس عن جزعها وهلعها، واسترسالها في النقائص والعيوب، ولذلك ازداد بالسكينة إيمانا مع إيمانه والإيمان يثمر له النور والحياة والقوة، وهذه الثلاثة تثمره أيضا وتوجب زيادته فهو محفوف بها قبلها وبعدها.
ومن الآيات قوله تعالى ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ (التوبة-٤٠).
قال ابن كثير: يقول تعالى ﴿إلا تنصروه﴾ أى تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره - أي يوم الهجرة- لما همّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هارباً بصحبة صديقه وصاحبه أبي بكر فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب من الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر ﷺ يجزع أن يطلع عليهم فيخلص إلى الرسول ﷺ منهم أذى فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته ويقول «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، ولهذا قال تعالى ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين، وقيل: على أبي بكر وروى عن ابن عباس وغيره قالوا: لأن الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال ﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ أي الملائكة.





قال ابن سعدي: «ونصر الله رسوله ﷺ بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضوع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم، بأن يتم الله لهم ما طلبوا وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليه، والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله اياه أن يرد عنه عدوه ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع، وفيها فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفئدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته، وفيها أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع ان الأولى - إذا نزل بالعبد- أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة».
وقد ورد في السنة أن السكينة قد تجري على لسان المحدثين كما أخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «قد كان يكون في الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإن عمر بن الخطاب منهم» (رواه مسلم) قال النووي: واختلف تفسير العلماء للمراد بـ «محدثون». فقال ابن وهب: ملهمون، وقيل: مصيبون، وإذا ظنوا فكأنهم حدثوا بشيء فظنوا، وقيل: تكلمهم الملائكة، وجاء في رواية «متكلمون»، وقال البخاري: يجري الصواب على ألسنتهم.
ولهذا نقل عن ابن مسعود أنه قال: «كنا أصحاب محمد ﷺ لا نشك أن السكينة تكلم على لسان عمر»، قال ابن القيم: «السكينة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح وخشعت واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسان بالصواب والحكمة وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل باطل، قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنا نتحدث أن السكينة تنطق على لسان عمر وقلبه، وكثيرا ما ينطق صاحب السكينة بكلام لم يكن عن فكرة منه ولا روية ولا هبة، ويستغربه هو من نفسه كما يستغرب السامع له، وربما لا يعلم بعد انقضائه بما صدر منه، وأكثر ما يكون هذا عند الحاجة وصدق الرغبة من السائل والمجالس، وصدق الرغبة منه: هو إلى الله والإسراع بقلبه إلى بين يديه وحضرته مع تجرده من الأهواء وتجريده النصيحة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين وإزالة نفسه من البين».
فالسكينة من الله -عز وجل- كما تقدم، وقد ورد في السنة ما يحض على طلبها والتخلق بها وبيان بعض موجباتها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا» (متفق عليه).
فما أجمل أن يتحلى المسلم بالسكينة في روحه وقلبه وجوارحه وتعامله مع الآخرين، لأنها من الصفات السامية التي رغب فيها الشرع ومنّ الله تعالى بها على من شاء من عباده، نسأله سبحانه أن يمن بها علينا أجمعين ويثبتا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.

التاريخ الإسلامي .. مفاخره ودرره


د.عبدالرحمن الحجي

لقد غدا الإسلام لأهله خلال تاريخه الفخر والدر، فسطروا به المفاخر والدرر المتفردة، منذ أول يوم، مقتدين بالرسول ﷺ، يتبين ذلك من خلال سلوك المسلمين الذين عرفوا حقائق هذا الدين ومنهج رب العالمين وصياغته وصوره، وعبّروا عنها عملياً في حياتهم، فكانت تلك الحقائق الباهرة المثيرة التي دكّت عناد الآخرين وأسقطت الحجب أمامهم، فأقبلوا على دين الله أفواجاً وندم الذين تأخر إسلامهم، فأصبح همهم التعويض عما فات، فكان أحدهم يعتبر بقاءه حياً حتى أسلم من نعم الله عليه التي تستوجب الحمد والشكر، وبهذا انطلقوا في الحياة بكل طاقاتهم، يسعون في دروبها، ينيرونها ويزيّنونها بالمفاخر.

ولذلك نرى أمثلة كثيرة مترادفة متتابعة متكاثرة، فهذا عكرمة بن أبي جهل الذي حارب الإسلام طويلاً، أسلم بعد فتح مكة (٨ هـ) وقد هرب منها ناجياً بنفسه، ودَعَتْه امرأته أم حكيم إلى الإسلام فأسلم، وهو الذي نادى في المسلمين في معركة اليرموك (الخامس من رجب، ١٥هـ) حين اشتد القتال «من يبايعني على الموت؟» فتقدم إليه المئات في التو واللحظة، واستُشهد هو في تلك المعركة، ويذكر أنه حين جاء الساقي بالماء للجرحى بعد المعركة وكان هو بينهم وأتاه الساقي بالماء، نادى جريح آخر يطلب الماء، فقال له: أعطه قبلي، وهذا بدوره سمع جريحاً آخر يطلب الماء، فقال للساقي: أعطه قبلي، فلما وصل إلى الثالث وجده قد مات، فرجع إلى الثاني فوجده قد مات، فرجع للأول (عكرمة) فوجده قد مات.

ولإحساس هؤلاء الذين تأخر إسلامهم كانوا يحمدون الله أن أبقاهم، فكان أحدهم يقول إذا أقسم: والذي نجاني يوم بدر (حكيم بن حزام، ٥٤هـ). ويقول آخر (لبيد بن ربيعة):

الحمد لله الذي لم يأتني أجلي
حتى لبستُ من الإسلام سربالاً

إنَّ كل ما حققه المسلمون من انتصارات ومفاخر كان بالإسلام وحده، كما قال القائل:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ
إذا افتخروا بقيسٍ أو تميم

وكما قال آخر:

وما وجدتُ بغير الدين معركةً
للعُرْب فيها على أعدائها الغَلَبُ
إن العروبة بالإسلام عزّتها
فإنْ تولى فلا عزٌ ولا عَرَبُ

لقد أنقذ الله تعالى بمنهجه كل مَن أقبل عليه واهتدى به، واستراح كل من استظل بظله من الأمم الأخرى خلال تاريخه الطويل، لكن الذين التحقوا به صدقوا في انتمائهم، فحملوه في نفوسهم مُستأمَنين عليه، فحولوه إلى حياة متحركة ناطقة.

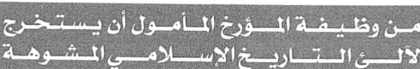
خلق اليأس

إن كثرة الهجوم على التاريخ الإسلامي هَدَفَ أعداءُ الإسلام به إلى أن يقيموا في نفس المسلم اليأس منه ونَفض اليد عنه، ولذلك فإن وظيفة المؤرخ لاسيما المسلم الغيور الصبور هو بذل الجهد لتنقيته وتقديمه بحقائقه، وللأسف فإن كثيراً مما ألقي على التاريخ الإسلامي من شُبُهات وزيف أصبحت - عند البعض - مُسَلّمات، وإن تفاوت جرحها وتلبيسها، وقد تستغربون لو ذُكر أن خطبة طارق بن زياد الشهيرة في فتح الأندلس (٩٢ هـ-٧١١م) لا وجود لها في الحقيقة، فهي ملفقة في عمومها، ومثلها قضية حرق السفن، ودراسة التاريخ الإسلامي لابد أن تكون متمكنة غائرة ناظرة في بواطنه، تتجاوز القراءة السطحية التي يمكن أن يكون أمرُها مثل ذلك الرجل الذي سمع عن أحد الفرسان فطلب سيفه ليراه، فلما جيء به ونظر إليه اعتبر ألا فرق بينه وبين غيره، ثم طلب فارسَه الذي قال للرجل حين سمع مقالته: أنت اعتبرتَ السيفَ لكنك لم تعتبر اليد التي تضرب به، ومثل ذلك كان في غزوة الخندق (٥ هـ) حين استطاع أحد فرسان قريش الذي قفز بفرسه من فوق الخندق لكنه سقط فيه، ولما نزل إليه الزبير بن العوام ضربه ضربة واحدة على رأسه فشقه إلى مقعده، وحين رأى المسلمون ذلك قال بعضهم ما أروعَ هذا السيف! فنظر إليه الزبير مستنكراً وقال: ليس السيف وإنما اليد التي ضربت به، وقل مثله في المحاورة التي جرت بين بائعة اللبن وابنتها من أهل المدينة المنورة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وعلى ذلك يكون من وظيفة المؤرخ المأمول أن يستخرج لآلئ هذا التاريخ بامتلاك العدة في تميز وتعلق وجهد جهيد حثيث وتَحَلٍ بالورع وثبوت النظر والصبر واتباع ما يقود إليه الدليل، وعلى هذه المنهجية يُقال للمحسن أحسنت وللمسيء أسأت، ولا يحجب إحسانُ أحد سيئاته ولا سيئاتُه حسناته، وهنا يصح ميزان قَول مَن قال «أنت لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله»، وهذه قاعدة رائعة تصلح أن تكون رائداً في البحث العلمي الأمين ووجهة سليمة كريمة في منهجية الكتابة الرصينة التي تتصف بالحيدة واتباع طريق الحجة بالنص والمنطق والعقل والأخذ بالحقائق الموثقة ومعرفة جادة جديرة ملمة بالعصر وطبيعته وصيغته وبنائه الإسلامي القيم المشهود.

وإن من هدايا الحضارة الإسلامية إلى الحضارة الغربية المعاصرة هي مناهج البحث العلمي والعلم التجريبي الحديث، وذلك باعتراف غير واحد من رواده، ولابد من إدراك أن لتاريخنا موازينَه المترقية في فهم الحياة ومعرفة حقائقها، أورثهم إياها هذا الدين، ولذلك كان التاريخ الإسلامي

● أستاذ التاريخ الأندلسي



من وظيفة المؤرخ المأمول أن يستخرج لآلئ التاريخ الإسلامي المشوهة

- بالتزام أهله - أروعَ التواريخ إنسانية وحضارة وكرامة، وسيبقى نموذجاً فريداً يُحتذى، وهذا ما يجري السعيُ لتحقيقه وإظهاره في كتابة التاريخ الإسلامي الذي يقوده الورع والتقوى والحب، واعتبار ذلك جهاداً وقربة إلى الله تعالى، وعلى هذا لابد من تكوين قاعدة جيدة رصينة متينة في فهم ذلك كله وكتابته بصيغة علمية أمينة بعد امتلاك المؤهلات اللازمة النوعية والتخصصية، لإظهار تلك المفاخر. إن هذا التاريخ هو الوحيد الذي بنى بعقيدة الوحدانية الحياةَ الإنسانية الفاضلة وحضارتها الوارفة، وذلك واضح في كلمات الله المنيرة وفي أحاديث وسيرة الرسول ﷺ. والْتَقطُ في ذلك ما رواه الإمام أحمد (٢٤٠ هـ)عن ربيعة بن عباد - وكان جاهلياً فأسلم - قولاً استوقفني كثيراً واستدر الإعجاب مني أيَّ إعجاب.. قال ربيعة الذي كان مع والده: «رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يتتبعُ الناسَ في منازلهم يدعوهم إلى الله يقول: يأيها الناس قولوا لا اله إلا الله تفلحوا، ويكرر ذلك عليهم». وكان هذا - سواء بالنسبة لرسول الله ﷺ أو مَن تابعه - يمثل الثقة بنصر الله تعالى رغم تلك الظروف، والذي يعرف طبيعة هذا الدين وحقيقته لا تؤثر فيه أقاويل الأعداء، مهما أمكنها أن تجلب في طياتها من ظواهر اليأس والبأس وتفتيت الآمال، فلقد تغلبت حقائق هذا الدين وطردت الأباطيل والظلمات.

ولقد صنع المسلمون بهذا الدين المفاخر والأمجاد، ولكنهم أنجزوا ذلك حين كان الإسلام عندهم كل شيء ويتمنى أحدهم تقديم نفسه العزيزة هبة لهذا الدين وهو بها أجدر، بل ويستقل نفسه من أجل هذا الدين. ولذلك قال خُبَيْب بن عَديّ بعد أن أسر في مكة وقُدِّم للقتل قال: «والله إن قتلي في سبيل الله قليل»، وصلى ركعتي الشهادة وقال والسهام تمزقه:

ولستُ أبالي حين أقتلُ مُسلما
على أيِّ جَنْب كان في الله مَصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارِكْ على أوصال شلو مُمَزَّع

وعلى ذلك كان جواب عُبادة بن الصامت لسؤال المُقَوقس (حاكم مصر، التي كانت تابعة للإمبراطورية الرومانية) حين قابله بوفد المسلمين فهدد المقوقس المسلمين قائلاً: إذا كنتم تريدون طعاماً نقدمه وارجعوا، وإلا فليس لكم إلا الفناء بهذا الجيش الكبير الذي أعده، فما كان من عبادة إلا أن قال له: إن الذي تهددنا به لا عبرة فيه، وإن أحدنا ليدعو الله صباح مساء أن يرزقه الشهادة.

المستقبل للإسلام

ماذا تنتظر من دين أنزله الله ليتولى أمر البشرية إلى يوم الدين.. لابد أن يهيئ الله تعالى من ينصره، وكان ذلك يلوح منذ الأيام الأولى وإن بدا غير واضح بالنسبة لكثير، ويوم أنزل الله تعالى في مكة: ﴿سيُهزم الجمعُ ويولون الدُّبُر﴾ (القمر- ٥٤)، لم يَفهم كثير من المسلمين مدلول هذه الآية، ولكن في معركة بدر، وحين ابتدأ القتال كان رسول الله ﷺ، يتلو هذه الآية الكريمة: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ وحينئذ فهم الصحابة معناها. ولقد أنشأ الإسلامُ المفاخرَ العظام وأقر في الحياة مفاهيم جديدة في كل اتجاه، ومن طرائف ذلك أن الفرار كان عيباً عند كل الأقوام وعند العرب كذلك، ولكن غدا مألوفاً أو ربما ليس عيباً إلى تلك الدرجة أمام المسلمين، ففي فتح مكة (٢٠ رمضان، ٨هـ) كان حماس أحدُ المشركين يستعد بأسلحته ويحد سيفه في بيته، فسألته زوجته: لمن تصنع ذلك؟ فقال: لمحمد وأصحابه وسأُخْدِم أحدَهم لك. فضحكت وقالت له: يا رجل والله ما أرى أن يقوم لمحمد وصحبه شيء، ويوم الفتح ناوش هذا الرجل شيئاً من قتال وتطاير أمامه أصحابه، فخرج منهزماً حتى وصل بيته يطرق الباب طرقاً جنونياً ففتحته امرأته وقال لها: أغلقي عليّ الباب، فقالت المرأة ساخرة: أين ما كنت تقول؟ واعتذر عن فراره فقال:

إنك لو شَهدت يومَ الخَنْدَمَة
إذ فَرَّ صفوانُ وفر عكرمَة
ولهم يزيد قائمٌ كالمؤتَمَة
واستقبلتهم بالسيوف المُسلمَة
يَقطف كُلَّ ساعد وجُمجُمَة
ضَرباً فلا يُسمَعُ إلا غمْغمَة
لهم نَهيتٌ خَلْفنا وهَمْهَمَة
لم تَنْطقي باللوم أدنى كَلمَة

فالإسلام هو الحركة الوحيدة العالمية لتحرير الإنسانية والارتقاء بها وبناء الحضارة الفاضلة، وما دام التاريخ الإسلامي وحضارته هو الصورة العملية لهذا الدين والواقع التطبيقي له - في حالة الالتزام والاعتصام - فإن الحديث عن التاريخ الإسلامي هو بيان للإسلام نفسه وصنائعه، وقدراته وإطلالاته وامتداداته، وإن صبغته وصنعته كانت ثماراً لهذا التطبيق، ترى من خلاله حقيقة هذا المنهج المتفرد مُصَنَّعَة ومُصَبَّغَة مُؤَلَّفة ﴿صبغة الله ومَن أحسنُ من الله صبغةً ونحن له عابدون﴾(البقرة، ١٣٨).

كان المسلمون في كل ميدان وفي الفتوحات وميادينها بشراً جديداً، ما رأى الناس مثلهم، حين عبروا نهر دجلة وقت فيضانه على ظهور الخيل، ما صَدَّق الفرسُ وهم على الشاطئ الآخر أن ذلك يحدث، فكانوا يُشيرون إلى المسلمين ويقولون: ديوانا ديوانا، فعبروه. وتذكر الروايات جميعاً أنهم كانوا . وهم يعبرون النهر على ظهور الخيل يتحدثون كما اعتادوا وهم يسيرون فوق الأرض، والله جلت قدرته يُسَخِر كل شيء للمسلم.

والخيل تهفو إلى الفرسان تَحملهم
كأنها جُنِّدتْ للدين أعوانا

وما دام الأمر كذلك فإن كل تخلف وضعف وتدهور وتمزق في حياة الأمة كان بسبب الضعف في الأخذ بهذا الدين، وفي كل كَبْوَة رَمَتْ بالأمة أرضاً كانت تقوم باللجوء لهذا الدين لا ترى في غيره نجاة، وانظر حولك اليوم هل رأيت أو سمعت صوتاً كريماً أو صورة مشرفة إلا من نفحاته أو آثاره أو أنواره، حتى في كبوتها الحديثة، مع أنها أشد الكبوات طرا، فسارت تطلبه وتستمد منه عافيتها وإن تَعثَّر ذلك أحياناً.

ومن هذا وغيره تظهر أهمية دراسة التاريخ الإسلامي، نقيا قوياً موثقاً كما هو في الحقيقة.



أستاذ التاريخ والحضارة د.عبدالحليم عويس:

إعادة كتابة التاريخ الإسلامي ضرورة لتصحيح المسار



حوار: محمد صالح

عندما يشتد وطيس الحرب على الإسلام وتتعالى صيحات الكارهين لعقيدة الإسلام، نحتمي بمنهجنا القويم، ود.عبدالحليم عويس أحد فرسان الدفاع عن إسلامنا في هذا العصر الذي كثر فيه الأعداء والذي ينير الطريق بدراسة التاريخ الإسلامي.. «الوعي الإسلامي» التقت بالمفكر ليعطي صورة واضحة عن واقعنا المعاصر من خلال قراءة للتاريخ الإسلامي.. وإليكم نص الحوار.

■ **تعرض التاريخ الإسلامي للتشويه والتحريف من المستشرقين، ومن بعض المسلمين، من أجل ذلك تعالت الصيحات منادية بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بشكل علمي وموضوعي، فهل تؤيدون هذه الدعوة؟**

نعم أؤيدها.. وبكل قوة، والحقيقة أنه ليس التاريخ الإسلامي وحده هو الذي صنعته وطبخته بطريقة خاصة مطابخ الاستشراق، وتلامذة الاستشراق.

فإني أزعم أن هناك محاولات جرت لتوجيه الأدب والعلوم الإسلامية هذا التوجيه الاستشراقي الذي يُجّسد بعض القيم، أو بعض النماذج التي تخدم الفكر الاستشراقي، والتي في نهايتها تُقدم الإسلام والمسلمين تاريخاً وحضارة على أنهم أناس لا يصلُحون كحل حضاري للإنسان الغربي، وأيضاً يحاولون تشويه الإسلام تاريخاً وحضارة، فركزوا على مناطق الخلاف بين المسلمين، كسنوات الخلاف بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)، وركزوا على بعض الحركات الخارجية كالصعاليك، وبعض الفرق التي تزندقت، أو ثارت على الدولة الإسلامية، سواء كانت أموية أو عباسية أو عثمانية لأتفه الأسباب.

ولقد اختزلوا بعض الفقرات من التاريخ، وعمّقوا بعض الوقائع، وقادوا الحقائق قيادة تحليلية تؤدي في النهاية إلى بث الشك في هذا التاريخ، ولكن، ليس معنى هذا أن تاريخنا يخلو من الأخطاء، ولكن حتى هذه الأخطاء يمكن أن تُدرس، ويُستفاد منها العبر، وألا تتكرر بعد ذلك، فتاريخنا هو تاريخنا بإيجابياته وسلبياته، وقد آن لنا أن نكتبه نحن بأقلامنا، وبأقلام علمية وموضوعية، وأن نتعرف على العناصر الرائعة فيه، وحبذا أن تقوم دولة بتشكيل لجنة كبيرة لكتابة هذا التاريخ، وأن يُكتب في عدد من الدول، وأن تُجمع هذه الجهود من قِبل بعض المخلصين الذين كتبوا التاريخ بعلمية وحيادية - وهم كثيرون الآن والحمد لله - تُجمع هذه الجهود وتُطبع وتُقدم للناس تقديماً يصل إليهم ولا يصعُبُ عليهم أن يحصلوا عليه.

ويشرفني أن أُعلن أنني أشرفت منذ عشر سنوات على موسوعة كاملة للتاريخ الإسلامي كتبها نحو ثمانين أستاذاً، وكنت أنا المشرف عليها، وتقع في نحو عشرة الآف صفحة.

■ **باعتباركم أستاذاً للتاريخ والحضارة الإسلامية.. ما هو تعريفكم لمفهوم الفقه الحضاري، وكيف نقدم حضارتنا الإسلامية للحضارات الأخرى؟**

الفقه الحضاري: هو التعرف على سنن الله الكونية والاجتماعية. والأمة الإسلامية قد تجادل كثيراً.. وقد تبذل جهوداً كبيرة في حقل الجزئيات، وفي حقل الأحكام الفرعية، بيد أنها لم تُول الفقه الحضاري حقه من الدراسة، بل إن القرآن الكريم فُسر لغوياً، وفُسر وفقاً للأحكام، وفُسر وفقاً للعقيدة على النمط الاعتزالي، وعلى نمط أهل السنة، وما إلى ذلك، فُسر القرآن تفسيرات مختلفة، لكن حتى الآن لم يُفسر القرآن تفسيراً حضارياً يستوعب كل ما ورد فيه حول الأمم السابقة، وحول تجارب الأنبياء السابقين، وحول اللمحات والإشارات التي تضمنتها كثير من الآيات القرآنية، والتي تدل على سنن البقاء، وسنن الصعود، وسنن الهبوط وسنن السقوط. ففي القرآن الكريم زخم كبير من هذا اللون من الإشارات الوجيزة

الوضيئة للسنن التي إذا اتبعتها الأمم ارتفعت، وإذا تخلت عنها هوت وسقطت.

فنحن في حاجة إلى قراءة للقرآن، وتفسير للقرآن وفقاً للفقه الحضاري الذي يُقدم السنن الاجتماعية والكونية، ويضع أمام الحاكمين والمحكومين، وأمام المثقفين أدلة عمل، أدلة نهضة، أدلة بقاء، أدلة وجود، وأيضاً يضع من خلال التجارب الهالكة أدلة الفناء، وأدلة السقوط، لنعمل على تقوية هذا وتجنب ذاك.

هذا هو الفقه الحضاري، فقه السنن الكونية.. فقه الدروس المستخلصة من قصص الأنبياء، ومن قصص الأمم السابقة، ومن فقه الإشارات الواردة في القرآن الكريم حول: كيف تبقى الأمم؟ وكيف تسقط الأمم؟

■ **من أخطر الأمور على الأمة الإسلامية شعور أفرادها بالهزيمة النفسية، فهل من سبيل لاستعادة المسلم ثقته بنفسه، واعتزازه بحضارته؟**

– أنا أؤمن دائماً بأن المسلم يجب عليه أن يبذر بذور الإيمان، وأن يقوم بما عليه في حدود ما يستطيع، والقاعدة الشرعية تقول: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ ﴿لا يُكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾، وحتى الرسول ﷺ عاتبه ربه عندما رآه يُكلف نفسه فوق طاقتها وقال له: ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ (فاطر-٨)، فالمسلم يجب أن يُؤمن بأن الله مهيمن على كل شيء، وأنه لا يقع في ملك الله شيء إلا بمراد الله، وكل ما يقع الآن هو تمحيص للمؤمن، وهو إعادة للمؤمن إلى القضبان الصحيحة، من أجل أن يمضى القطار الإسلامي إلى غايته الصحيحة، ولا يمكن أن تستيقظ الأمة بدون هذه التمحيصات التي تقع، لأن المسلمين كانوا نائمين ومخدرين، وما زالوا يُؤثرون الخلافات الفرعية على

بعض المستشرقين اختزلوا بعض أحداث التاريخ وعمقوا بعض الوقائع الخلافية وقادوا الحقائق لأهدافهم التغريبية والاستعمارية

الأصول الجامعة المانعة كشعب الإيمان، والأخوة الإسلامية. هناك أكثر من ثمانين شعبة تُجمع المسلمين، لا يختلف عليها مسلمان قط، ومع ذلك نترك هذه الأصول الجامعة المانعة ونعمل في حقل الخلافات الفرعية.

وأذكر هنا أن المفكر العظيم الذي عاش في ظل واحدة من أسوأ الظروف في تاريخنا المعاصر، وهو المفكر الكردي التركي المسلم بديع الزمان سعيد النورسي، وضع ستة شروط لنهضة الأمة الإسلامية، جعل أولها نبذ اليأس، فليس من حق مسلم أن ييأس، فإنه إذن يُشكك في قدرة الله أمام القوى العاتية التي يراها طغت على نفسه، ولأمر ما جعل الله اليأس قرين الكفر: ﴿إنه لا ييأسُ من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ وكثير من المصلحين نجحوا، وكونوا من حولهم ملايين حملوا الراية من بعدهم، وكانوا في ظروف من أسوأ الظروف، ففي تركيا مثلاً -أيام مصطفى كمال- ظهر سليمان حلمي، وقاد آلاف الكتاتيب وعمل عملاً عظيماً، وله تلامذة ينشرون الإسلام، حتى في أوروبا، وبهدوء أيضاً ظهر بديع الزمان النورسي، وهكذا، فيجب علينا أن نعمل، ونترك النتائج لله.

■ **لا شك أن كل مفكر وباحث إسلامي ومؤرخ له في مسيرته العلمية رجال كانت لهم بصمات واضحة عليه، فمن هم هؤلاء الرجال الذين تأثر ببصماتهم المفكر الإسلامي د.عبدالحليم عويس، وما هي جوانب الإبداع والتميز فيهم؟**

– الحديث في هذا يطول، لكن أحمد الله أنني كانت لي علاقة طيبة مباشرة بعدد من الرموز الإسلامية الكبيرة، فقد كانت لي صلة قوية بفضيلة الإمام الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، وكنت من أخلص وأقرب تلامذته إليه، وكنت أذهب إلى بيته، وأعيش فيه معه كما يعيش أقرب التلامذة إليه، وما زلت والحمد لله قريباً من أسرته وقريباً منه، وقد كتبت عنه كتابين أحدهما طبع في مصر عدة طبعات، والآخر طبع في جدة.

الشيخ محمد الغزالي تعلمت منه مباشرة عن طريق الاحتكاك الأسبوعي المباشر، وكنت أسافر معه دائماً، وسافرت معه خمس عشرة مرة إلى ملتقيات الفكر الإسلامي في الجزائر، وكنت أنا الذي أشرُف بصحبته، وأسنده في مشيه، وأقضي له أموره عندما يكون مريضاً أو مُتعباً، وهذا شرف أعتبره نعمة من الله، فتأثرت به وبأخلاقه، وبروحه الإسلامية، وأشهد أنه كان بكّاءً من خشية الله، وأنه كان يستظهر القرآن عن ظهر قلب، وأنه كان رجلا يعيش لله وفي الله.

وأيضاً عشت على فترات متقطعة مع الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، وزرته في الهند أكثر من عشر مرات، وكنت أقيم في ندوة العلماء أكثر من عشرة أيام في بعض الزيارات، وأعرفه عن قرب، وأيضاً عندما كان ينزل إلى الرياض وغيرها، كنت أصحبه، وكان ينزل في بيتي في بعض الأحايين، وقامت بيني وبينه علاقة قوية، وفوضني حتى في مراجعة كتبه، وقد رأيت فيه الإخلاص الشديد، والزهد العجيب، هذا الرجل الذي كان من الممكن أن يعيش في ترف، كان ينام على سرير من الخشب أو من الخوص، وكان يزهد في كل الأحوال، وكان يقدم الإسلام سلوكاً، وكان يتأوه لكل آلام المسلمين، ويعيش مع آلام المسلمين، وقد عُرف بوسطيته وبأخلاقه الرفيعة وبفكره الغزير رحمه الله.

وسائل تنمية الموارد البشرية

أشرنا في مقال سابق إلى أسس تنمية الموارد البشرية، ونواصل في هذا المقال البحث في وسائل تنمية الموارد البشرية التي تعد مدخلا لإيجاد العناصر الجيدة القادرة على القيام بأدوارها الإنسانية في مختلف الوظائف والإدارة، ولا شك أن الإنسان يمر في عصر تطورت فيه الوسائل، وتعددت الأساليب مع تطور الحياة البشرية، وتعدد صورها، ودخول عناصر جديدة أثرت على حياة الإنسان، مثل التأثير الكبير والمكثف لعوامل التقنية وأساليبها، كما أن التواصل الإنساني والانفتاح على الآخر، وضع الموارد البشرية أمام تحد آخر، وهو قدرة الإنسان على استيعاب المتغيرات الاقتصادية والمعرفية المتجددة، إذ لم تعد متطلبات التنمية المحلية هي الوحيدة التي تفرض شروطها على أساليب تنمية الموارد البشرية، بل أصبح الإنسان مطالبا بشروط جديدة أدخلتها العولمة السائدة في العالم بحيث فرضت صورا جديدة لما هو مطلوب في تنمية الموارد البشرية.

د. سعيد حارب

فمتطلبات العولمة في تنمية الموارد البشرية تدفع بالدول والقائمين على برامج التنمية والتطوير إلى الأخذ بأحدث أساليب التعليم والتدريب وبنوعية جيدة منه، وتبرز المواهب والإبداع، وتحفز المهارات الإنسانية، وتشجع أخذ المبادرات الفردية والجماعية من أجل المنافسة، كما تدفع متطلبات العولمة إلى تطوير المهارات التقنية للإنسان، ورفع كفاءته في استخدام التقنية وتشجيع البحث العلمي الخادم للعملية التنموية، وتطوير المهارات التطبيقية للفرد، كما تهيئه للتعامل مع المتغيرات الاقتصادية وتقلباتها، إذ المطلوب من برامج تنمية الموارد البشرية أن تخرج إنسانا قادرا على التكيف مع متطلبات العمل، والتأثيرات الاقتصادية العالمية، بحيث تكون لديه المرونة للتعامل مع فرص العمل وصورها المتعددة في حال تغيرت الظروف الاقتصادية، ولذا فإن أصحاب المهارات الضعيفة أو المحدودة أو الضعيفة لن يجدوا فرصة لهم في عالم يتغير تغيرا سريعا، ومن هنا وجب إعدادهم لتلك المتغيرات، فالأخذ بأساليب ووسائل التنمية البشرية الحديثة والمتوافقة مع قواعد الإسلام وأحكامه ومبادئه الهامة هو السبيل للولوج في عالم اليوم برؤية إسلامية تجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومن أبرز وسائل التنمية البشرية:

الإدارة

وهي المدخل الرئيسي لعملية تنمية الموارد البشرية، وقد اهتم الإسلام بتكوين مهارات الإنسان وحث على ذلك، ولقد كانت سيرة المصطفى ﷺ وصحابته الكرام نموذجا للإدارة الناجحة، وإذا كانت المهارات الفردية والجماعية تنبع من قدرة الإنسان على استيعاب ما يتلقاه، فإن الإسلام اهتم بالإنسان ذاته، فحثه على العمل ورغبه فيه، بل جعل العمل عبادة يؤجر عليها المسلم إذا أخلص فيها، وأتقن أداءها، فقال تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة - ١٠٥)

وقد حث النبي ﷺ على العمل، فعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره، خير له من أن يسأل أحدا فيعطيه أو يمنعه» (البخاري).

وأمر عليه الصلاة والسلام بإتقان العمل فعن عائشة - رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» (البيهقي).

نجاح برامج تنمية الموارد البشرية مرتبط بتخريج أفراد قادرين على التكيف مع متطلبات العمل والتأثيرات الاقتصادية العالمية

وإذا كان هذا شأن العمل بصفة عامة، فإن إدارة هذا العمل لها شأن خاص، إذ عليها المعول في تحقيق أهدافه، والسير به بصورة صحيحة، ولذلك فإن أهمية إدارة العمل لا تقل عن العمل ذاته، وقد عرف الباحثون الإدارة في الإسلام بأنها «تنظيم وإدارة القوى البشرية لتحقيق أهداف الدولة الإسلامية في إطار أحكام الشرع» (١).

وعرفت كذلك بأنها: الإدارة التي يقوم أفرادها بتنفيذ الجوانب المختلفة للعملية الإدارية على جميع المستويات وفقا للسياسة الشرعية.

وبهذه التعريفات فإن الإدارة الإسلامية في مجال تنمية الموارد البشرية تحتاج إلى صفات عدة من أبرزها:

التخطيط:

فالتخطيط سمة إنسانية يتميز بها البشر عن سائر المخلوقات، فالله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان عقلا يستطيع أن يميز به الأشياء كما يستطيع أن يضع التصورات والخطط التي تسبق أفعاله وتصرفاته، ولذلك فإن أي عمل ناجح لابد أن يسبقه تخطيط جيد، فالتخطيط هو **«عملية فكرية تعتمد على المنطق والترتيب حيث يبذل فيها الجهد لتوضيح الأهداف التي تريدها الإدارة والبحث عن أفضل الوسائل لتحقيقها، وكذلك محاولة التنبؤ بالمعوقات التي يمكن أن تعترضها وكيفية التغلب عليها» (٢).**

ولقد ساد بين المسلمين تفكير خاطئ بأن التخطيط له علاقة

● نائب رئيس جامعة الإمارات الأسبق

بالغيب، والواقع أن التخطيط لا يبحث في علم الغيب لأن ذلك خارج عن قدرة الإنسان، لكن التخطيط علم يأخذ بأسباب القدَر، ويستخدم المعلومات والإمكانات المتاحة لوضع تصورات (يُتوقع) نجاحها وليس في ذلك جزم، لأن تحقيق النتائج المتوقعة قد لا يكون تاما، بل ربما تحقق جزء منها وربما لم يتحقق بالكلية، ومن يتتبع سيرة النبي ﷺ يجد أنها قائمة على التخطيط، ولعل أبرز صورة للتخطيط ما حدث في هجرته ﷺ.

أما في التخطيط الاقتصادي فإن قصة يوسف عليه السلام تبرز أهمية ذلك، قال سبحانه وتعالى حكاية عن يوسف ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ (يوسف - ٤٧).

أما التخطيط الإداري فهو واضح فيما عمله ﷺ منذ هجرته إلى المدينة، حيث اهتم بتنظيم شؤون حياة المسلمين في المدينة مثلما اهتم بشؤون دينهم، ولعل أبرز صور التخطيط الإداري يتمثل في إعداده ﷺ صحابته، ومشاورته إياهم في كثير من شؤون الحياة، وتوليتهم المسؤوليات، فقد كان يختار العمال من الصالحين أولي العلم والدين ومن المنظور إليهم في العرب، وكان يكشف عن عملهم ويفتشهم ويتتبع أخبارهم ويعزل من أساء منهم.

ومن هذا نستنتج أهمية التخطيط الإداري كأسلوب لتنمية الموارد البشرية، وتتمثل أهمية التخطيط في:

١- القدرة على التفكير في الأهداف.

٢- القدرة على الرؤية المستقبلية.

٣- القدرة على تحديد الاتجاه والحشد خلف الاتجاه والتحفيزهم لتفجير الطاقات الكامنة.

٤- القدرة على توضيح الأهداف وتحديدها بدقة.

٥- القدرة على البحث عن الفرص المتاحة والاستفادة منها.

٦- القدرة على تحديد الأولويات.

٧- القدرة على وضع إستراتيجية فعالة تتسم بالمرونة والشمول والتكامل وتكون جسرا يصل الماضي بالمستقبل (٣).

القيادة :.

إن الهدف الأساسي من تنمية الموارد البشرية هو إيجاد عناصر قيادية تتولى إدارة شئون المجتمع، وتقوده نحو التطور والتقدم، والقيادة هي المفتاح لأي عمل إداري، فإذا كانت القيادة على قدر من الوعي والإعداد الجيد استطاعت أن تحقق ما تعمل من أجله.

والقيادة هي: «نشاط التأثير على الناس لكي يعملوا برغبتهم على تحقيق أهداف الجماعة» (٤)

وقد اهتم الإسلام بالقيادة كأسلوب للإدارة ووسيلة لتنمية الإنسان، فقال ﷺ «لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدكم، ولا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة يتناجى اثنان دون صاحبهما» (مسند أحمد).

ولذلك اعتنى الإسلام بإعداد القادة حتى يستطيعوا أن يتحملوا مسؤوليتهم تجاه دينهم وأمتهم، فوضع مواصفات للشخصية القيادية تلتقي مع ما يراه أهل الاختصاص من تلك المواصفات، لكنه يتميز عن ذلك بصفات خاصة منها:

١- الإيمان والتقوى: لأن ذلك ضابط لسلوك الفرد وتصرفاته، قال تعالى ﴿ويَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران - ١٠٢).

٢- الالتزام بالضوابط الشرعية، فالشريعة هي الحاكم لتصرفات الإنسان المسلم، والقائد أول من يجب عليه أن يلتزم بذلك، لأن التزامه ينعكس على من معه من الأفراد والعاملين، قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام - ١٦٢).

٣- القدوة الحسنة: فقد كان النبي ﷺ نموذجا للقدوة الحسنة، فزكاه ربه بقوله (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب - ٢١). والقدوة الحسنة صفة لا بد منها للقائد حتى لا يناقض قوله فعله فيسقط من أعين الناس وممن معه، وقد حذر الله سبحانه وتعالى من ذلك بقوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف: ٢-٣).

٤- العلم بما يقوم به: فأولى خطوات القيادة الإدارية أن يكون القائد محيطا بما يتولاه من مسؤولية وعمل حتى يستطيع أن ينقل معرفته إلى من معه من العاملين، ويقودهم لتحقيق الإنجازات المطلوبة من العمل، وقد حذر الله - سبحانه وتعالى- من العمل بلا علم فقال ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ (الإسراء - ٣٦).

٥- المهارات العملية: فالقيام بأي عمل يحتاج بعد العلم إلى مهارات عملية تعين القائد على القيام بعمله في القيادة الإدارية، مثل تحمل المسئولية، وتنظيم العمل وتطويره، والقدرة على اتخاذ القرارات، وإثارة اهتمام وحماس العاملين معه، وبث روح التعاون بينهم، والقدرة على التعامل مع الأفراد والمجموعات وإدارتها وفهم الفروق الفردية بين الأفراد، واستخلاص النتائج وغير ذلك من المهارات العملية.

٦- المهارات السلوكية: إذ بها يستطيع أن يحقق الجوانب العملية في إدارته، فالقائد يجب أن يتحلى بصفات شخصية مميزة كالشجاعة والصدق والإيثار والحزم والثبات والهدوء والإنصاف وغيرها من الصفات التي تنظم سلوك الأفراد وعلاقاتهم مع بعضهم البعض.



الهوامش

١- الإدارة في الإسلام - فوزي كمال أدهم ص٢٤.

٢- الإدارة المعاصرة - علي السلمي، ص١١٥.

٣- التنمية البشرية - مصطفى رضا عبدالرحمن ص٣٦.

٤- إدارة الأعمال - جميل أحمد توفيق ص ٢٦٧.

الإسلام في إفريقيا .. منطلقات و قيم

د. قاسم زكي ●

إن قصة دخول الإسلام وانتشاره في القارة الإفريقية من أقصى شمالها (مصر الكنانة) إلى أقصى جنوبها (جنوب إفريقيا)، وتغلغله شرقا وغربا، لجديرة بالدراسة والتمعن وأخذ العبر والعظات، فإفريقيا السمراء ثاني أكبر قارة في العالم بعد آسيا من حيث تعداد السكان، ففيها يعيش اليوم 950 مليون نسمة يمثلون 14.2 في المائة من سكان العالم، ومساحتها تقدر بـ 30.2 مليون كم2 تمثل 6 في المائة من مساحة الكرة الأرضية و20.4 في المائة من إجمالي مساحة يابس المعمورة، وهي تعادل ثلاثة أضعاف مساحة أوروبا، وتمتد إفريقيا طولا قرابة 8 آلاف كم، وعرضا 7.4 آلاف كم، تضم 53 دولة، وتحوي جميع معالم الجغرافيا من السهول والوديان إلى الهضاب والجبال، ومن الصحراوات القاحلة إلى الأراضي الفيضية والغابات الكثيفة، فكيف انتشر الإسلام في هذه المساحات الشاسعة، ومازال يشكل أكثر الديانات انتشارا، ليس في إفريقيا فحسب، بل في جميع أركان المعمورة، وخاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م؟ وصدق الحق حين يقول ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة- 32،33)، وتذكر أصح الإحصاءات، أن المسلمين يشكلون قرابة 45 في المائة من سكان القارة، وتمثل نيجيريا أكبر دولة مسلمة فيها بملايينها الـ133، وبتطبيق حكم الشريعة الإسلامية في بعض ولاياتها.

نور الإسلام يشرق في الشرق والشمال أولا

وكان استقرار الإسلام في الشمال الافريقي بداية لتغلغل الإسلام إلى جنوب الصحراء أو ما يعرف بإفريقيا السوداء، والحقيقة أن أول اتصال بين الإسلام وإفريقيا السوداء، كان منذ فجر الإسلام الأول، وذلك لما أمر النبي ﷺ بعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة (إثيوبيا اليوم) وكان من آثار هجرتهم هذه إسلام ملكها النجاشي، وكان اتصال العرب بالساحل الشرقي لإفريقيا قديماً قبل الإسلام، لقربه من جزيرة العرب، واستقر الكثير من المهاجرين والتجار العرب في هذه المناطق واختلطوا بأهل البلاد وأثروا فيهم، إلا أن التأثير الحقيقي كان بعد الإسلام، وقوي التواصل بين الطرفين، وإن كان الانتقال بين ضفتي البحر الأحمر كان مألوفاً أيضاً قبل الإسلام، وعن طريقه انتشر الإسلام في القرن الافريقي وإفريقيا الشرقية وقوي بعد الإسلام كمعبر قريب إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج.

بداية الرحلة

ولكن الدخول الحقيقي للإسلام في إفريقيا بدأ من كنانة الله في أرضه، حيث استقبلت مصر المحروسة عام ٢٠ هـ (٦٤١م) العرب المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكانت مصر بعد أن انتشر فيها الإسلام قاعدة الفتح لإفريقيا الشمالية، وأما بلاد المغرب العربي فبدأ فتحها في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وذلك سنة ٢٧هـ (٦٤٨م) على يد عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وتبعه الأمويون حتى وصل عقبة بن نافع لأقصى الغرب وغمس سيقان حصانه في مياه الأطلسي، حيث كمل انتشار الإسلام بشمال إفريقيا جميعها في القرن الأول

● رئيس الجمعية الإفريقية لعلوم الحاصلات الزراعية، وعضو الرابطة العربية للإعلاميين العلميين.

الهجري (السابع الميلادي) وبلغ منها إسبانيا وقتها.

كما دخل الإسلام جنوبا إلى النوبة في القرن الثامن الهجري (الـ١٤م)، وشأن الفتح الإسلامي إفريقيا على يد هؤلاء الأبطال عجيب، فقد تم في ثلاث سنوات تقريباً، وبسط الإسلام ظله على تلك الأقطار الواسعة ذات الأمم التي لا يحصيها إلا الله، من حدود ليبيا إلى شواطئ المحيط الأطلسي، مع وعورة المسالك وقلة عدد المسلمين، وكثرة أعدائهم وجهل الفاتحين بمعالم تلك البلاد، وبعادات أهلها ولغتهم، ولكنه الإيمان والإخلاص وصدق العزيمة، ولم تزل هذه الغرائب التي صاحبت الفتح الإسلامي مثار دهشة المؤرخين من المسلمين وغيرهم.

التجارة والإسلام

وتجدر الإشارة إلى أن التجار المسلمين قد قاموا بدور بارز في نشر الإسلام في إفريقيا السوداء على العموم، فقد كانت الطرق التجارية الموصلة بين المراكز الإسلامية في شمال القارة والبلاد الواقعة فيما وراء الصحراء هي المسالك الحقيقية التي تسرب الإسلام عبرها إلى قلب إفريقيا، وكذا الأمر بالنسبة للطرق التجارية على طول ساحل المحيط الأطلسي، فقد قامت هذه الطرق بدور جليل الشأن في نشر الإسلام في بلاد السنغال وأعالي النيجر ومنطقة بحيرة تشاد، كذلك كان شأن الطرق التجارية التي تصل وادي النيل ببلاد السودان وشرق إفريقيا، وصدق الرسول الكريم حين قال «التاجر الأمين الصادق المسلم مع الشهداء يوم القيامة» (رواه الترمذي).

ولقد ظهرت ممالك إسلامية عديدة في غرب إفريقيا كمملكة غانا بجنوب شرق موريتانيا، فيما بين الصحراء الكبرى والغابات، وكان لها دور كبير في تجارة الذهب الذي ينتج في جنوبها وتشتريه قوافل بدو الصحراء التجارية لتحمله الجمال إلى شمال إفريقيا، وكانت مملكة غانا قد تحولت للإسلام على أيدي المرابطين بمراكش في القرن الخامس الهجري (الـ١١م)، حيث كوّن المرابطون دولة إسلامية حكمت شمال

طرق التجارة عبرت بالإسلام إلى قلب إفريقيا بسلاح الصدق والأمانة للتجار المسلمين

غرب إفريقيا والأندلس ما بين عام ٤٤٨-٥٤٢هـ (١٠٥٦- ١١٤٧م)، أما إمبراطورية مالي فبدأ تكوينها عام ٦٢٨هـ (١٢٣٠م) على يد قائد قبائل ماندينكا (سونदياتا كيتا Sundiata Keita)، والذي كوّن اتحادا للقبائل في الوادي الخصيب بأعالي نهر النيجر، وبسط سيطرته على جيرانه مؤسسا إمبراطورية مالي التي كانت أكبر من مملكة غانا، وأثناء أوجها امتدت تلك الإمبراطورية من ساحل المحيط الأطلسي بالغرب إلى ما وراء تخوم منحنى نهر النيجر بالشرق، ومن حقول الذهب في غينيا بالجنوب الغربي إلى محطّ القوافل التجارية عبر الصحراء بالشمال.

رحلة الحج الذهبية

ويذكر التاريخ بدهشة رحلة الحج لإمبراطورها مانسا موسى (أعظم زعماء إمبراطورية مالي، ومن أشهر زعماء إفريقيا والإسلام في القرون الوسطى) فقد حج لمكة عام ٦٣٢هـ (١٣٢٤م) عبر القاهرة، واستقبله المماليك في القاهرة بحفاوة بالغة، وقد انخفض سعر الذهب بالعالم إثر رحلة الحج تلك لكثرة ما وزع من ذهب على طول الرحلة، ودخل اقتصاد العالم أجمع في حالة تضخم سريع (ارتفاع أسعار) لعشرين سنة تالية بسبب ذهب تلك الرحلة، وفي هذه السنة أصبحت العاصمة تمبكتو على شمال غرب نهر النيجر مركزا لتجارة الذهب وتعليم الإسلام، وفي أواخر القرن الثامن الهجري (الـ١٤م) استقلت الأقاليم الخارجية، ومن جنوب منحنى نهر النيجر هاجمت قبائل موسي (Mossi) قلب الإمبراطورية، واستولى الطوارق، وهم بدو جنوب الصحراء الكبرى، على تمبكتو العاصمة، وقامت إمبراطورية سونجهاي في الجانب الشرقي لمنحنى نهر النيجر، وعاصمتها جاو وكانت تمتد من ساحل المحيط الأطلنطي حتى وسط النيجر، وفي أواخر القرن العاشر الهجري (الـ١٦م) عانت الإمبراطورية من الصراعات والنزاعات مما أضعف السلطة المركزية حيث نشأت دول بالشرق عدة كبورنو ودول مدن الهوسا وسلطنة الطوارق، واستولت عليها مراكش عام ١٠٠٠هـ (١٥٩١ م).

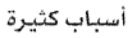
انتشار الإسلام حديثا

أما وصول الإسلام إلى دولة اتحاد جنوب إفريقيا، فهو قصة تجسد استعباد الاستعمار الأوروبي للشعوب فعندما أخذ الهولنديون يفرضون سيطرتهم على جزر اندونيسيا، وشبه جزيرة الملايو قاوم المسلمون في هذه المناطق الاحتلال، مما دفع المستعمر إلى نفي قادة الثورة إلى جنوب إفريقيا في عام ١٠٦٢هـ (١٦٥٢م)، وكان من بينهم الشيخ يوسف، شقيق ملك جاوا وزعيم المقاومة ضد الاحتلال الهولندي، وجاء ومعه ٤٩ من الثوار المسلمين كسجناء، هكذا كان أول قدوم للإسلام إلى جنوب إفريقيا حيث بدأت الدعوة، كما استقدم البريطانيون (المستعمرون أيضا) العمال من شبه القارة الهندية في أواخر القرن الـ ١٩ وأوائل القرن العشرين للعمل بزراعة قصب السكر، وكان بين العمال عدد كبير من المسلمين، وبعد استقرار الجالية المسلمة بالبلاد قام المسلمون بنشر الدعوة الإسلامية بين الجماعات المستضعفة التي تعاني من التفرقة العنصرية، ثم أخذ الإسلام ينتشر بين المواطنين الأفارقة، وهكذا غزا الإسلام أقوى قلاع التفرقة العنصرية، واليوم يشكل المسلمون هناك ١,٥ في المائة من سكان الدولة البالغ تعدادها ٤٤ مليونا، واليوم يشكل المسلمون غالبية السكان في ٢٩ دولة إفريقية (من إجمالي ٥٣ دولة) ويتمركزون في شمال وغرب القارة، وهم أعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي، هذا على الرغم من محاولات المستعمر الأوروبي للقارة تغيير ديانات شعوبها بعمليات التنصير المستمرة التي لم تنجح في تغيير معتنقي الدين الإسلامي، مقارنة بالديانات والمعتقدات الأخرى، وهذا حسب شهاداتهم الموثقة.

غلاء الأسعار.. كيف عالجه الإسلام؟

● د. أحمد الحجي الكردي

على المسلمين جميعاً أن يعلموا أن الرزاق هو الله تعالى وحده، وأنه غني لا ينفد ما عنده، وأنه كريم لا يبخل على عباده، وأنه سبحانه وتعالى يبتلي عباده أحياناً بشيء من قلة المال أو الرزق، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، قال سبحانه: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ (البقرة:٢١٤)، وقال سبحانه: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ (آل عمران:١٤٢)، وقال النبي ﷺ: «حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات» (رواه مسلم). وغلاء الأسعار أمر يعترض البلاد كلها في بعض الأوقات، وقد عرض للمسلمين في السابق مرات كثيرة، وكانوا يستعينون عليه بالدعاء والصلاة، ومن ذلك صلاة الاستسقاء عندما يحتبس المطر، وهو سبب مهم من أسباب الغلاء.



أسباب كثيرة

غلاء الأسعار في البلاد له أسباب كثيرة، أهمها:

١- قلة الإنتاج، أو قلة المطروح للبيع من السلع التي يحتاج إليها الناس في حياتهم، مما ينتج عنه عدم القدرة على تلبية الطلب، فتزداد الأسعار، فإذا زادت قلّ الطلب عليها مرة ثانية، فإذا قل الطلب عليها نزلت، فإذا نزلت زاد الطلب عليها فغلت... وهكذا.

وقلة الإنتاج لها أسباب كثيرة، منها:

- القحط وقلة الأمطار.
- الكسل وعدم الرغبة في العمل.
- بعض التشريعات الجائرة التي تثني النشطاء عن العمل.
- الجهل بطرق الإنتاج.
- شيوع الربا والفوائد المحرمة.

ومنها احتكار السلع من الجشعين من التجار، بغية حجبها عن المستهلكين مدة لترتفع أسعارها.

ومنها وعلى رأسها جميعاً معصية الخلق للخالق رب العالمين.

٢- كثرة الطلب على وجه لا يكون الجاهز من الحاجات كافياً لتغطيته، وكثرة الطلب لها أسباب كثيرة، منها: كثرة النسل و كثرة الغنى و سوء التصرف والتبذير.

طرق معالجة غلاء الأسعار

تكون معالجة غلاء الأسعار بشكل منطقي بمعالجة أسباب ارتفاعها، فإذا عولجت الأسباب عادت الأسعار إلى مستوى معتدل، وبيان ذلك فيما يلي:

١- معالجة قلة الأمطار، تكون بالاستعانة بالأنهار والعيون ومصادر المياه الطبيعية، والاستفادة منها بأحسن الطرق وأيسرها، ومنع التبذير فيها، واختيار أنواع المزروعات التي يكفيها القليل من الماء، والتقليل من المزروعات التي تحتاج إلى ماء كثير، ثم استعمال أفضل الطرق في ري المزروعات، ورسم طريق ذلك يحتاج إلى دراسات المتخصصين.

ولا ننسى في هذا المجال صلاة الاستسقاء التي يسن أن يجتمع فيها عباد الله تعالى في جانب من أرض الله تعالى، متقشفين لابسين الثياب البسيطة، ضارعين إلى الله تعالى بقلوب منكسرة أن يسقيهم المطر، ثم يصلون لله صلاة جماعية، ويدعون الله تعالى بعدها أن يكرمهم ويرزقهم ويسقيهم الغيث.

٢- معالجة الكسل وقلة الرغبة في العمل والإنتاج، زراعياً كان أو صناعياً أو غير ذلك، وذلك بوضع الحوافز للعمل، مالية كانت أو اجتماعية أو غير ذلك، وتيسير سبل العمل لكل من يستطيعه.

٣- إعادة النظر في التشريعات التي قد تكون جائرة وتنفر العمال وأصحاب رؤوس الأموال من إقامة المشاريع الزراعية والصناعية وغيرها، ودراستها دراسة علمية واعية بواسطة متخصصين من العلماء، بعيدين عن الأهواء والاتجاهات الفكرية المحدودة والعقيمة، ثم العمل على تعديل هذه التشريعات بما يزيد الحافز إلى العمل والإنتاج، فكم من مزرعة أغلقت، وكم من مصنع أغلق، وذلك بعد تأميمها في كثير من البلدان في العالم.

٤- تخفيف الضرائب على وسائل الإنتاج قدر الإمكان، ليميل الناس إليها، ويزدادوا منها، فيكثر الإنتاج وتنزل الأسعار، ثم العمل على تحسين دخل الفرد الفقير والمتوسط، ورفع الرواتب والأجور بما يرفع العنت عن المحتاجين، ويخفف ضائقة الغلاء عنهم، لأن الأغنياء لا يضرهم الغلاء كثيراً، وربما يزيد في أرباحهم، أما الفقراء ومتوسطو الدخل، فهم الذين يعانون من الغلاء.

٥- تسهيل طرق تبادل السلع بين الشعوب والأمم بأقل التكاليف، فكثيراً ما يفضل منتج ما عند أمة لأسباب كثيرة، وهي في الوقت نفسه محتاجة لإنتاج فاضل عند أمة أخرى، فإذا سهلت الحكومات طريق تبادل الإنتاج مع تخفيف الضرائب والرسوم، تيسر الأمر، ونزلت الأسعار عند الجميع.

٦- التدريب المهني على جميع وسائل الإنتاج التي تحتاج إليها الأمة، وذلك بفتح المعاهد المهنية

● خبير الموسوعة الفقهية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

الميسرة له، سواء في الزراعة أو الصناعة أو التجارة، لأن إحجام كثير من العمال والأثرياء عن الإنتاج سببه جهلهم به.

٧- محاربة الربا والفوائد على القروض، وتشجيع المضاربة والمشاركات المالية بأنواعها المختلفة، لأن الفوائد الربوية تعني أن يكسل الأغنياء، ويتعب الفقراء، أما المشاركات والمضاربات بأنواعها فتعني أن يشترك الجميع في بذل الجهد في التنمية، ومن هنا نفهم معنى قوله تعالى: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الله الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ (البقرة:٢٧٥) وقوله تعالى: ﴿يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم﴾ (البقرة:٢٧٦)، وقوله سبحانه: ﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾ (البقرة:٢٧٩).

وحديث النبي ﷺ «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية» (رواه الدار قطني).

٨- ترشيد الاستهلاك، وتعليم الناس ودعوتهم بكل الطرق المتاحة إلى التدبر والتريث في الاستهلاك، وعدم التبذير، وعدم الإنفاق فيما لا يحتاجون إليه حاجة حقيقية، قال تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ (الأعراف:٣١)، وقال سبحانه: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ (الإسراء:٢٧)، وقال ﷺ «طعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة»(رواه مسلم).

٩- دعوة الناس وتشجيعهم على التخفف من المتطلبات قدر الإمكان، ومن الكماليات خاصة، والاكتفاء بالقليل عن الكثير، والالتفات عن كثرة المتطلبات إلى حسن الاستفادة من هذه المتطلبات، فكثير من الحفلات يكون مصير الكثير مما يقدم فيها إلى علبة الزبالة، ولو اكتفى القائمون عليها بالقدر الذي يحتاجون إليه من ذلك لاستغنوا عن الكثير الذي يغني من يحتاج إليه.

١٠- دعوة الأغنياء إلى الاستثمار في بطون الفقراء، بدفع الزكاة وكثرة الصدقة، فإن في ذلك تقليل قدرة الأغنياء على الشراء وكثرة الطلب للسلع، وزيادة أجرهم عند الله تعالى، وفي الوقت نفسه يسهل على الفقراء الحصول على ضرورياتهم بما حصلوا عليه من الأغنياء من المال، فيقل المهم، وقد وعد الله تعالى المتصدقين من الأغنياء بكثرة الأجر، فقال سبحانه: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ (البقرة:٢٦١)، وقال رسول الله ﷺ: «من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له» قال فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل. (رواه مسلم)، وقال ﷺ: «إن في المال حقا سوى الزكاة» (رواه الترمذي).

١١- منع الاحتكار، ومنع الغش والنجش والتغرير، والتسعير على المحتكرين من قبل ولي الأمر، وعلى وجه يؤمن السلعة للفقير ولا يضر بالغني أو المنتج للسلعة قدر الإمكان، لحديث النبي ﷺ: «الجالب مرزوق والمحتكر ملعون» (البيهقي)، ومن هذا الباب تحديد أرباح التجار، بما يؤمن لهم مورداً مناسباً دون أن يلحق بالعامة الضرر، ولكن ذلك محصور في الضروريات فقط من حاجات الناس، ولا يجوز التوسع فيه إلى الكماليات، فعن أنس بن مالك وقتادة وحميد عن أنس قال: قال الناس يا رسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال رسول الله ﷺ «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرزاق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطالبني بمظلمة في دم ولا مال» (رواه أبوداود).

١٢- توجيه الإعلام نحو التقليل من الدعاية للسلع عامة، والترفيهية أو الكمالية خاصة، لأن لذلك أثراً كبيراً في كثرة الإنفاق عند الناس.

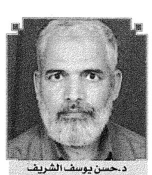






ثقافة أمتنا تنادي ...

التعارف والتفاهم الانساني من أهم قواعد ثقافتنا، فهي لا تنفي الآخر بل تتحرك للالتقاء معه على الأقل في الجوانب الإنسانية ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ (الحجرات13-). كما دعت إلى الانفتاح على ثقافة الآخر والحوار معه والسماع منه، لأخذ الصالح والمفيد من ثقافته وحضارته للانتفاع به في إصلاح حياة الإنسان ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ (الزمر- 18-17).



د.حسن يوسف الشريف

كما أنها في حوارها مع الآخر تشدد على أتباعها ضرورة الالتزام بأحسن أخلاقيات الحوار، حتى لا تغضب الآخر، فيختل توازنه الفكري، فلا يحقق هدف الحوار وهو التفاهم والتعاون في كل ما هو خير لصالح الإنسانية مادياً ومعنوياً، ومن هذه الأخلاقيات:

١ - عدم السَّبّ والإساءة لثقافة الآخر أو لمعبوداته أو عباداته ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام-١٠٨).

٢ - عدم إظهار التسفيه أو الاحتقار أو الضلال لثقافته وحضارته، أو إظهار أنّ الجمال كله والكمال كله والهدى كله نملكه نحن فقط ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ (سبأ-٢٤).

وإذا لم نصل إلى تفاهم أو تعاون معه، فلتكن النهاية احترام اختياره واحترام اختيارك، فكل إنسان هو المسئول عن اختياره، وعدم إلصاق التهم به ﴿قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون. قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ (سبأ: ٢٥--٢٦).

٣- التزام العدالة معه في حقوقه الإنسانية، سواء كان هناك اتصال وتفاهم معه أم لا، فكما يقول ابن تيمية: «العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال»، فكراهتنا له سواء لاعتقاداته أو أعماله لا يدفعنا لظلمه ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ (المائدة-٨)، قال المفسرون: «فيه التنبيه علي وجوب العدل مع الكفار» (١).

أصل التعامل

فالأصل في التعامل مع الآخر في الإسلام هو السلام، وإذا حصل منه ما يعكّر صفو السلام فلا تتعجل الاعتداء عليه، بل تحاول معه للوصول إلى مساحة من الخير نتعاون فيها، ولا نساعد في تصاعد الشر والعدوان ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا علي البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (المائدة-٢) قال فيها المفسرون «وليس للناس أن يعين بعضهم بعضاً علي العدوان حتى إذا تعدى واحد منهم على الآخر، فتعدى ذلك الآخر عليه، لكن الواجب أن يعين بعضهم بعضاً على ما فيه البر والتقوى» (٢).

وسائل التفاهم

٦ - رسالة الإسلام دعوة إلى التسامح والسلام ونصرة المظلوم، لأن هذه وسائل نحو الالتقاء والتفاهم والتعاون فقال تعالى ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره ﴾ (التوبة-٦).

٧ - يكره الإسلام وينهى عن سياسة البحث عن عدو، بل إذا وجد الاعتداء من العدو لا نسرع برد العدوان بالعدوان، بل بالحوار والتفاهم، ولكن إذا أصرّ العدو على ظلمه وعدم رد الحقوق إلى أصحابها، فالواجب هو المقاومة والصبر والثبات فيها، حتى عودة الحقوق إلى أصحابها وفي الحديث «لا تتمنوا لقاء العدو فإذا لقيتموه فاثبتوا» «البخاري ومسلم».

٨ - ينهى الإسلام عن استخدام القوة لفرض الثقافات، بل يدعو إلى عرضها دون فرضها ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ (الكهف-٢٩)، و﴿لا إكراه في الدِّين ﴾ (البقرة-٢٥٦)، و﴿أفأنت تكره الناس حتى يَكونواْ مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس-٩٩).

٩ - يقول الإمام ابن القيم: «لا ينفّك العبد عن واجبين: واجب بينه وبين الله و واجب بينه وبين الناس»، ويقول الرازي: «واعلم أن التكاليف وإن كثرت إلا أنها محصورة في نوعين: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله» (٣)، فالإنسان في نظر الإسلام - بغض النظر عن دينه - هو مخلوق مكرم ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾(الاسراء-٧٠)، له حرية الحركة والاعتقاد والعبادة والعمل، وكامل حقوقه كإنسان ما لم يقم بالاعتداء على حقوق الآخرين، لا يجوز أن نمنع عنه الطعام والشراب حتى يموت، فهذا منهي عنه اصلاً مع الحيوان، وفي الحديث «دخلت امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض» (البخاري ومسلم). لأنه سقاه من العطش، فكيف يكون الحال مع الانسان؟!

الرحمة

إنّ بعض النصوص الشرعية ربطت رحمة الله لنا برحمتنا لمخلوقاته «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (سنن الترمذي) وأيضاً «الراحمون يرحمهم الرحمن» (سنن الترمذي وأبي داود).

١٠ - ثقافتنا الإسلامية تدعو العقل وتثيره نحو النظر والتفكير في السماوات والأرض وما بينهما من مخلوقات ﴿قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾(يونس:١٠١)، ﴿أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت. وإلى السماء كيف رفعت. وإلى الجبال كيف نصبت. وإلى الأرض كيف سطحت﴾ (الغاشية

:١٧-٢٠) ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه. أنا صببنا الماء صبا. ثم شققنا الأرض شقا. فأنبتنا فيها حبا. وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبا﴾ (عبس:٢٤-٣١)، عشرات الآيات التي تدعونا إلى التفكر والتدبر والتذكر والاعتبار، وكلها قدرات عقلية يدعونا القرآن لتنميتها والاستفادة منها.

١١- ثقافتنا تدعو إلى البحث عن الدليل والبرهان، كما تنهانا عن التقليد الأعمى والظن ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ (النمل -٦٤)، ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾(الاسراء-٣٦)، ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ (البقرة-١٧).

١٢- ثقافتنا تدعو إلى حسن استثمار الصحة والفراغ والعلم والمال «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ (الترمذي والدارمي).

إستشعار المسئولية

١٣- ثقافتنا تدعو إلى استشعار المسؤولية «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» «البخاري ومسلم»، ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة. ولو ألقي معاذيره﴾ (القيامة:١٤-١٥)، حتى ألفاظنا وكلماتنا لابد أن نتحسسها قبل أن نتلفظها، فنحن مسؤولون عنها ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (ق-١٨).

١٤- ثقافتنا تدعو إلى التقدم العلمي والتقدم الروحي معا﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود. ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور. إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾(فاطر:٢٧-٢٩).

١٥- ثقافتنا تدعو إلى التقدم في الصناعات المدنية والصناعات العسكرية ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾ (الحديد-٢٥)، فالبأس الشديد الذي في الحديد إشارة إلى الصناعات العسكرية والحربية للدفاع عن أوطاننا، والمنافع التي للناس في الحديد هي الصناعات المدنية التي تساعد في التقدم المدني والحضاري.

إذا تعدى الآخر علينا .. يجب أن نعين بعضنا بعضاً لما فيه البر والتقوى

التكافل الإجتماعي

١٦- ثقافتنا تدعو إلى التضامن والتكافل الاجتماعي، وخاصة مع الطبقات التي تعاني من أشد العقبات التي يواجهونها، مثل طبقة العبيد فلابد من تحريرهم، وطبقة الأيتام فلابد من كفالتهم بعد فقد عائلهم، وطبقة الفقراء التي لا يجد عائلهم ما يقدمه لأولاده من الطعام ﴿فلا اقتحم العقبة. وما أدراك ما العقبة. فك رقبة. أو إطعام في يوم ذي مسغبة. يتيما ذا مقربة. أو مسكينا ذا متربة﴾ (البلد:١٣-١٦).

ثروة فقهية

وحتى في الجانب القانوني لثقافتنا، فقد أشادت به المجامع العلمية، ففي عام ١٩٣٨م عقد في لاهاي مؤتمر «القانون المقارن» وقد تقرر فيه: اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا مهما من مصادر التشريع، وفي عام ١٩٥١م عقدت شعبة الحقوق بالمجتمع الدولي للقانون المقارن مؤتمرا للبحث في الفقه الإسلامي في كلية الحقوق بجامعة باريس تحت اسم «أسبوع الفقه الإسلامي» ودعت إليه عدداً من أساتذة القانون والمستشرقين، وقد حاضر الأعضاء في خمسة موضوعات فقهية، حددها مكتب المجمع الدولي للقانون المقارن وهي:

١- إثبات الملكية.
٢- المسؤولية الجنائية.
٣ -الاستملاك للمصلحة العامة.
٤ - تأثير المذاهب الاجتهادية بعضها على بعض.
٥ - نظرية الربا في الإسلام.

وفي خلال بعض المناقشات وقف النقيب السابق للمحامين في باريس يقول: «أنا لا أعرف كيف أوفق بين ما كان يحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلاحيته كأساس للتشريع وأنه لا يعي حاجات المجتمع العصري المتطور، وبين ما نسمعه الآن في هذه المحاضرات في مناقشاتها مما يثبت خلاف غيره تماماً ببراهين النصوص والمبادئ، كما وقف غيره من المستشرقين ورجال القانون وأشادوا بالفقه الاسلامي وأنه صالحٌ لكلِ زمانٍ ومكان، وفي ختام المؤتمر صدر بالإجماع القرار الآتي: «نظراً لما ثبت للمجتمعين في المؤتمر من الفائدة المحققة التي أتاحتها المباحث المعروضة خلال «أسبوع الفقه الاسلامي»، وما دار حول هذه المباحث من مناقشات أثبتت بجلاء أن الفقه الإسلامي يقوم على مبادئ ذات فائدة أكيدة، وأنه ينطوي على ثروة فقهية، وعلى مجموعة من الأصول الفنية، تتيح لهذا الفقه أن يستجيب بمرونته لجميع مطالب الحياة الحديثة، ولهذا فإن أعضاء المؤتمر يعلنون رغبتهم في أن يظل «أسبوع الفقه الاسلامي» يتابع أعماله سنة فسنة، ويأمل المؤتمرون أن تؤلف لجنة لوضع معجم للفقه الإسلامي، يسهل الرجوع إلى مؤلفات هذا الفقه، فيكون موسوعة فقهية تعرض المعلومات القانونية الإسلامية وفقا للأساليب الحديثة»(٤).

إنّ من حقنا أن نعتز بثقافتنا، خاصة جانبها الأخلاقي والروحي الذي يدعونا إلى الارتقاء فوق الذات، والاستعلاء على الغرائز لضبط سلوكها بالقيم والاخلاق السامية، إن الثقافة والحضارة المعاصرة قد أغفلت وعن عمد الجوانب الروحية والأخلاقية السامية في النواحي السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية، فلقد أصبح الانسان المعاصر يعاني من الفقر الروحي والأخلاقي، تحت ضغط وثقافة الحضارة المادية المعاصرة.

إن الواجب علي علمائنا ومفكرينا أن يغوصوا في أعماق ثقافتنا العظيمة، ليكونوا في المرحلة المقبلة على استعداد تام ليقدموا الدواء الشافي لعلل الثقافة والحضارة المعاصرة، لتعود للإنسان كرامته وليصبح لحياته معنى، بعد أن ضاعت كرامة الإنسان ومعنى الحياة في ظل عولمة متوحشة تقود العالم نحو الهاوية بسبب إفلاسها في عالم القيم الأخلاقية والروحية.

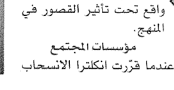
المراجع
١- الرازي، جـ ٥ / ٦٥ .
٢- الرازي، جـ ٥ / ٥٥٥ .
٣- الرازي، جـ ٥ / ٦١٩ .
٤- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، ص ١٩٠، دار الاعتصام ١٩٧٨.

دور الفكر القومي العربي في وقوع نكسات الأمة



د. غـازي التوبة

لقد وقعت عدة كوارث خلال النصف الثاني من القرن العشرين، منها: «نكبة فلسطين» عام 1948 والتي قادت الى قيام اسرائيل وتهجير معظم افراد الشعب الفلسطيني من وطنهم، ثم جاءت حرب الايام الستة في حزيران عام 1967 بين ثلاثة جيوش عربية واسرائيل، وكانت نتيجتها ان احتلت اسرائيل سيناء من مصر، والجولان من سورية، والضفة الغربية من الأردن، وسميت تلك الهزيمة «بنكسة حزيران»، ثم احتلت اميركا العراق عام 2003، وستكون لهذا الاحتلال آثاره العميقة على اوضاع المنطقة بشكل خاص والأمة بشكل عام، وأخيراً مجزرة غزة الجماعية.



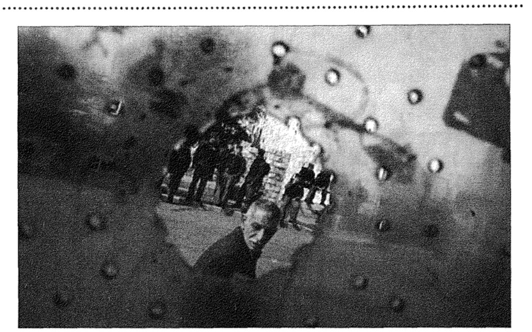
ومن الجدير بالذكر ان هذه النكبات والنكسات التي وقعت في أزمان مختلفة وأقطار متباينة كانت تحمل فكراً واحداً هو الفكر القومي العربي، ويفترض في المراجعات أن تتجه الى فحص بنية الفكر القومي العربي، وظروف نشأته، وعوامل قصوره، وأسباب ايصالنا الى التعثر إلخ... لكن المراجعات اتجهت بكل اسف الى شخصنة النكبات والنكسات، والى الظواهر الجزئية المرافقة للنكسات: مثل القصور في ادارة الأزمة، أو في ضعف الإعلام، أو في بعض المواقف السياسية إلخ...، ومع أن الأشخاص يتحمّلون جزءاً من المسؤولية فيما وقع، وكذلك الاعلام، والادارة، والسياسة إلخ... لكن يبقى كل ذلك ذا مسؤولية محدودة، والمسؤولية الكبرى يتحمّلها المنهج، وهو في هذه الحالة الفكر القومي العربي، وعلى الأرجح ان القصور في الاشخاص والإعلام والادارة والسياسة واقع تحت تأثير القصور في المنهج.

مؤسسات المجتمع

عندما قرّرت انكلترا الانسحاب من فلسطين عام ١٩٤٨، ودخلت الجيوش العربية السبعة الى فلسطين في ١٥ أيار ١٩٤٨، كانت السيطرة الغالبة لمنهج الفكر القومي العربي وقياداته وشخصياته في كل من العراق وسورية والأردن ولبنان وفلسطين، وكان الفكر القومي العربي هو النافذ في مختلف مؤسسات المجتمع، كالأحزاب والجمعيات والنوادي والنقابات، وكان المفكرون القوميون العرب، والسياسيون القوميون العرب هم أصحاب الشأن الفاعل في تلك الدول والمجتمعات، كساطع الحصري وشكري القوتلي وصبري العسلي ونوري السعيد ورياض الصلح وهاشم الأتاسي إلخ...، وانتهت المواجهات بانتصار الصهاينة واعلان دولة اسرائيل في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٨، وشكل قيام الدولة الصهيونية زلزالا في الواقع العربي، وصدمة للكيان العربي، واستتبع ردات عنيفة، وقامت عدة انقلابات تعبيراً عن الاستياء من الهزيمة، والملاحظ ان المراجعات التي حصلت اثر النكبة لم تتعرض للفكر القومي العربي كمنهج قائد بالمراجعة والفحص والتقويم والسبر واعادة النظر، لكنها اتجهت الى امور اخرى واعتبرتها سبب النكبة من مثل الحديث عن خيانات بعض الأشخاص، واجتماعهم بالعدو، وعن الاسلحة الفاسدة، وزيف الديموقراطية السياسية لعدم ارتباطها بالعدل الاقتصادي إلخ...، وقد يكون كل ذلك صحيحاً لكنه لا يتجه الى جوهر البناء واصله وهو الفكر القومي العربي.

منهج الحكم

ثم حكم عبدالناصر مصر بعد انقلاب عام ١٩٥٢ وجعل القومية هي منهجه في الحكم، واعتبر مصر جزءاً من الأمة العربية، عندئذ وسع الفكر القومي العربي آفاق انتشاره بسبب ثقل مصر المعنوي، وقوتها الناعمة، وتأثيرها التاريخي في العالم العربي، فانتشر الفكر القومي العربي في عدد من البلدان العربية، واستلم دفة القيادة الكاملة في الستينيات من القرن الماضي في عدد من الدول، منها: اليمن، الجزائر، ليبيا، السودان، العراق، سورية. ومن الملاحظ ان الفكر القومي العربي ارتبط بالاشتراكية، ثم وقعت الحرب مع اسرائيل في الخامس من حزيران عام ١٩٦٧، لكن النتيجة كانت كارثة دمرت العالم العربي، وكان يفترض اعادة النظر في الفكر القومي العربي الذي هو اصل بناء



الدول والافراد والمجتمعات التي واجهت اسرائيل، لكن المراجعات والانتقادات والتقويمات أرجعت النكسة الى التهويل الاعلامي، والى سيطرة الخرافة الدينية على عقولنا، والى ضعف فهم المتغيرات السياسية، والى نفوذ الطبقة البرجوازية، والى مفاجأة العدو لنا فجاء من الغرب وكنا نتوقع ان يأتي من الشرق إلخ...

واستمر الفكر القومي العربي يقود معظم الدول العربية بعد النكسة، وقفز حزب البعث عام ١٩٦٨ الى السلطة في العراق، ثم توصل صدام حسين الى رئاسة الجمهورية عام ١٩٧٩، ومن المعلوم أن حزب البعث وصدام قوميان عربيان، وقد غزا الأميركان العراق في آذار (مارس) ٢٠٠٣، وانهار الحكم في عشرين يوماً، وجاء الاحتلال بتغييرات كثيرة في أوضاع المنطقة ومستقبلها.

ضرورة إعادة النظر في محتوى الفكر القومي وفي تعامله مع التراث وفي تخطيطه لبناء الفرد والأمة

الفرد والدولة

من الجلي ان الفكر القومي العربي كان هو المنهج المتحكم والفاعل في كل شؤون الفرد والدولة والمجتمع وفي مختلف المجالات الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية الخ... اثناء وقوع النكبات والنكسات التي طالت الأمة على مدار القرن الماضي، بدءاً من نكبة عام ١٩٤٨ ومروراً بنكبة عام ١٩٦٧ وانتهاء باحتلال العراق ٢٠٠٣. فماذا يعني ذلك؟ ذلك يعني في ابسط الأحوال أن هناك قصوراً في هذا الفكر القومي العربي، ولأنه لم يستطع أن يعبئ الفرد والمجتمع والدولة والجيش والإعلام تعبئة سليمة، ولم يستطع ان يبني تلك العناصر بناء صحيحاً تقود الأمة الى النصر، وهذا القصور يقتضي إعادة النظر في محتواه، وفي العناصر التي يقيم عليها الأمة، وفي تعامله مع التراث، وفي تخطيطه لبناء الفرد والأمة، وهو الذي يتحمل المسؤولية الأولى قبل القيادات التي هي في الغالب والأعم نتاج لهذا المنهج، وان كان لها دور سلبي فهو دور سلبي ذو سقف معين أقل بكثير من سلبية المنهج وآثاره السيئة.

قصور منهجي

ويتركز قصور الفكر القومي العربي في أمرين، الأول: أنه فكر غير موضوعي لم ينطلق من تحليل الواقع المادي في توصيف الأمة العربية وتحديد عوامل وجودها، بل انطلق من مقايسات جزئية في تشابه الواقعين الألماني والعربي بوجود لغتين أصيلتين من جهة، والى وجود التجزئة السياسية من جهة ثانية، فأسقط النظرية الألمانية التي قالت بأن الأمة الألمانية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ، أسقط تلك المقولة على أمتنا واعتبر أن الأمة العربية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ، أسقط تلك المقولة على أمتنا واعتبر أن الأمة العربية تقوم على عاملي اللغة والتاريخ، وهو «بذلك» اغفل عامل الدين الذي دخلت حقائقة وافكاره ومثله وآدابه واخلاقه وتصوراته وقيمه واشواقه وشرائعه في كل مجالات المجتمع العربي المعنوي والاجتماعي والفنية والتربوية والاقتصادية والجمالية الخ... ولايمكن ان نفسر اي جانب من جوانب حياة الأمة العربية الا من خلال معطيات الدين الاسلامي.

الثاني: انه فكر فقير ثقافيا، وهذا يفسر طغيان الشعارات الماركسية على التيارات القومية العربية في مرحلة ما بعد النكسة، وخير مثال على ذلك حركة القوميين العرب التي بدأت حركة قومية عربية صرفة، مغالية في قوميتها، فانقلبت الى حركة ماركسية تتبنى كل المفردات الماركسية من عنف ثوري، وديكتاتورية البيروليتاريا، وفرز طبقي الخ... وقد بهتت ملامح القومية العربية في صورتها وتكوينها الى درجة الاختفاء.

وقفة صامدة

لذلك امام هذه الازمة البنيوية التي يعاني منها الفكر القومي العربي، والتي كانت سببا في وقوع النكبات والنكسات خلال القرن الماضي، والتي يمكن ان تكون سبباً لنكسات اخرى، بخاصة ان الفكر القومي العربي مازال لاعباً نشطاً في ساحة العمل العربي والإسلامي، لذلك ارى ان تقف قيادات الأمة الفاعلة طويلاً أمام فكرة القومية العربية، وتقوم دورها السابق قبل أن تقوم بأية حركة في أي اتجاه.

النقوش الكتابية في أوابد دمشق

غسان كلاس

تؤلف النقوش الكتابية ونصوصها التاريخية المنتشرة في أوابد دمشق ومشيداتها الأثرية والتراثية مجموعةً لوحات أبدعتها يد فنان عريق عرف كيف يحَوّل جفاف مادتها الى كتل تتصف بكل معاني التشكيل، تاريخاً وعراقة، ويوظف انماط الزخرفة العربية الاسلامية في تكوين بنائها لتخدم انسياب الخط، ويسخر مخزون إبداعاته سبك حروفها، وربط سطورها وكلماتها ضمن قالب جمالي مميَز.

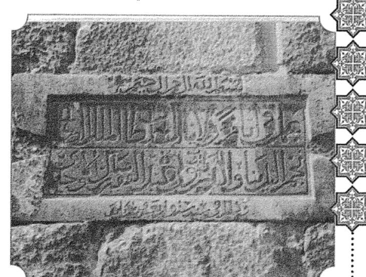
وتشكر الجهود الاستثنائية التي بذلها د.قتيبة الشهابي في هذا الاطار على سبيل الخصوص، فقد اجرى مسحاً ميدانيا لعدد كبير من المشيدات والأوابد في دمشق، معتمداً على عنصري التصوير وقراءة النص في الموقع، باحثاً ومحققاً ومقارناً، رغم جملة من العقبات واجهته في ذلك، اشار الى بعضها في كتابه الذي حمل عنوان «النقوش الكتابية في أوابد دمشق».

وغني عن القول ان الكتابة هي اداة ترجمة الفكر الانساني الى شكل ولون، منذ بدء الخليقة الى اليوم، وهي واسطة التعبير عن حدث او قصة او طقوس او عبادة، فكانت الكتابة التصويرية، فالكتابة بالرموز، فالكتابة المقطعية، والتي منها نشأت الابجدية، وقد كان للاسلام فضل كبير في تطوير النماذج الشكلية لهذه الابجدية، حين منع تصوير كل ذي روح، مما دفع الفنان الى الاعتماد عليها مجالاً للخلق والابداع، فأوجد انماطاً فنية جديدة، تتناوب بين التشكيل والزخرف، وهكذا ظهر خط الثلث، وهو من اروع الخطوط العربية مجالاً ومتانة في التكوين، وعنه تطور خط الجلي، الثلث الثقيل، والخفيف.

كما ظهر خط النسخ وبه كتبت المصاحف الشريفة، وتطور عنه خط نسخ التعليق ونسخ الكتاب والنسخ الوراقي، كل ذلك الى جانب الخط الكوفي والديواني والفارسي وغيرها.

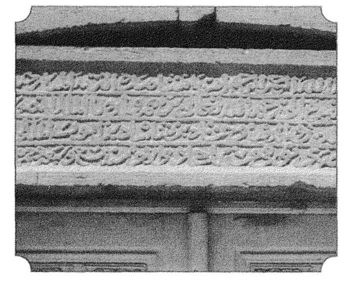
وكان للكتابات المنقوشة في العمارة الاسلامية - كما يقول الدكتور الشهابي في كتابه المشار اليه آنفاً - هدفان اساسيان: تاريخ المكان، الذي يبدأ بالبسملة ثم بآية قرآنية أو حديث نبوي شريف، أو قصيدة، أو كلمة، أو قول مأثور، يلي ذلك اسم المكان واسم الحاكم أو الواقف أو المنفق عليه، والمشرف على تنفيذه، وزخرفة البوابات والأبواب والسواكف والواجهات والجدران والنوافذ لكسر رتابة الزخارف الأخرى المتكررة، التوريقية منها والهندسية.

وهكذا انتشرت الكتابات المنقوشة في اوابد دمشق فطعمت زخارف المساجد وجذوع المآذن والمحاريب والمنابر ودور القرآن ودور الحديث والخوانق والزوايا والتكايا والمدارس والبيمارستانات والنوافذ والأبواب والقباب والترب والأضرحة والقبور وشواهدها، والسبلان، والحمامات والأعمدة، ففي العهد الأموي كان للخط الكوفي قصب

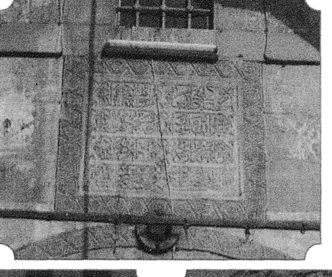








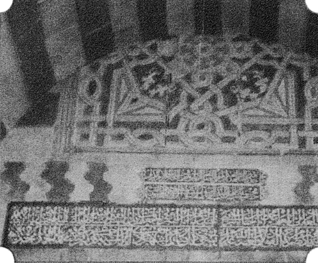
السبق في الكتابات المنقوشة، وفي العهد السلجوقي استمر النقش بهذا الخط الى جانب خط الثلث، ويشير الدكتور الشهابي الى عدد من الشواهد على ذلك تخص الجامع الأموي بدمشق، اما في العهد الأتابكي فشاع الخط الثلث (ساكف المدرسة النورية الكبرى) واستمر في العهد الأيوبي (كثير من المدارس في حي الصالحية) وفي العهد المملوكي عاد الخط الكوفي الى الظهور ثانية، ويتصف العهد العثماني



بالغنى الخطي فالى جانب خط الثلث التقليدي ظهرت الكتابات المؤرخة بالخط الفارسي، كما ظهر الخط النسخي الحديث (التكية السليمانية).

ونورد - فيما يلي - صورة مستلة من كتاب الدكتور الشهابي تتضمن نماذج الخطوط المستعملة في النصوص الكتابية في أوابد دمشق، أتبعناها بمجموعة صور ضوئية التقطها بعدسته مذيلة بأبرز المعلومات المتعلقة بها.







رغم المآسي ..

حينما تشتد الأزمة، ويتعاظم البلاء، وتكثر الحروب والهجمات على الإسلام والمسلمين، لا ينبغي للمؤمن أن يتسرب إليه إحساس بالفشل أو اليأس، وعليه أن يتعلم من النبي ﷺ، الذي كان يبث عناصر الثقة في قلوب رجاله، ويفيض عليهم مما أفاضه الله على فؤاده من أمل رحيب في انتصار الإسلام، وانتشار مبادئه، وزوال سلطان الطغاة أمام طلائعه المظفرة في المشارق والمغارب. استمع إلى النبي ﷺ يوم الخندق، وقد أحاطت بالمسلمين الأهوال من كل مكان: ﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا. هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾(الأحزاب- ١٠، ١١)، وهو يبشّر المؤمنين: «والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة والبلاء، فإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمنًا، وأن يدفع الله عز وجل مفاتح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر، ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله» (السنن الكبرى للبيهقي)، ولقد تحققت هذه البشارات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ والمسلمون محاصرون معه في المدينة يواجهون الخوف والجوع والبرد القارس، وما إن سمعت هذه النفوس تلك البشريات حتى سكنت وارتاحت واطمأنت: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا ايماناً وتسليماً﴾(الأحزاب- ٢٢).

حقائق الواقع

والواقع من حولنا مليء بكثير من الصور التي تحمل أملًا وبشارات صادقة، ومن هذه الصور:

- أن العالم الإسلامي يمثل الآن نحو ربع البشرية، فهناك مليار ونصف المليار مسلم يعيشون في مساحة تبلغ حوالي ٣٥ مليون كيلو متر مربع.

- ديننا الإسلامي يتمدد في الفراغ المسيحي في بلاد الغرب، فمتوسط من يدخلون الإسلام في أميركا يبلغ ٢٠ ألف شخص سنويًا، وفي أوروبا حوالي ٢٣ ألفًا، وفي ألمانيا بلغ عدد من دخلوا الإسلام في العام قبل الماضي فقط نحو ٤٠ ألف شخص.

- كشفت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية في مارس الماضي أن المنظمات اليهودية الفرنسية أرسلت تقارير إلى الوكالة اليهودية الدولية تستنجد بها وتطلب منها التدخل من أجل وضع حد لما أطلقت عليه «الإقبال اليهودي الكبير على اعتناق الإسلام»، بعد أن أكدت الإحصاءات أن ٨٠ في المائة ممن دخلوا حديثًا في الإسلام من المواطنين الفرنسيين كانوا من اليهود.

- بلغ عدد المسلمين في أوروبا بين ٢٠ إلى ٢٥ مليون مسلم، فيما يبلغ عدد المسلمين في أميركا قرابة ١١ مليون مسلم.

- من المتوقع أن يصبح الإسلام الديانة الأولى في العاصمة البلجيكية بروكسل خلال ١٥ أو ٢٠ سنة، وفقًا لدراسة أعدتها صحيفة «لاليبر بلجيك» البلجيكية.

- اعترف الفاتيكان أواخر مارس ٢٠٠٨ بأن الإسلام تجاوز الكاثوليكية، بعدما أصبحت نسبة المسلمين الآن أكثر من ١٩ في المائة من مجموع سكان العالم، بينما عدد المسيحيين الكاثوليك أقل من ١٧ في المائة.

- كشفت صحيفة «ديلي تليغراف» البريطانية أن اسم «محمد» هو الأكثر انتشارًا بين المواليد في انجلترا وويلز في عام ٢٠٠٦، حتى إنه فاق اسم جورج من حيث العدد، وأوضحت أن مكتب الإحصاء الوطني أكد في أحدث تقاريره أنه خلال ٢٠٠٦ تمت تسمية ٤٢٥٥ طفلاً باسم محمد.

- في الوقت الذي وصل فيه عدد المساجد ذات المآذن في ألمانيا ١٥٩ مسجدًا، وعدد المساجد العادية ٢٦٠٠ مسجد، إضافة إلى وجود ١٨٤ مسجدًا تحت الإنشاء في الوقت الحالي، تم إغلاق مئات الكنائس (٣٠ في المائة منها) وتحوّل الكثير منها إلى مطاعم ومقاه في أوروبا.



د.علي الحمادي

- وفي الدنمارك التي نشرت صحفها الرسوم المسيئة، تم عرض ١٠ كنائس للبيع، والعدد قابل للزيادة، أغلبها في العاصمة (كوبنهاجن) بسبب عزوف الناس عن الذهاب إليها، وعلى الرغم من أن نسبة المسجلين بالكنائس الدنماركية ٨٢ في المائة فإن الذين يدخلونها لا يتعدون ٨ في المائة، الأمر الذي دفع «كاي بولمان» - الأمين العام للكنائس في الدنمارك - إلى أن يقول «إذا لم تُستعَمل الكنيسة للعبادة، فالأحرى أن تُستعَمل كإسطبل!».

- اعترف البابا في أحد كتبه بأنه يتخوف من ثلاثة أمور، أولها انقراض المسيحيين الأوروبيين، وثانيها أن الذين سيحلون محلهم هم أصحاب الهجرات الإسلامية، وآخرها أن تصبح أوروبا جزءًا من ديار الإسلام في القرن الحادي والعشرين.

أحداث الحياة تعلمنا ألا ننظر إلى نصف الكوب الفارغ، وننسى نصفه الملآن، وصدق القائل:

هشت لك الدنيا فمالك واجم
وتبسمت فعلام لا تتبسم
إن كنت مكتئباً لعز قد مضى
هيهات يرجعه إليك تندم
او كنت تشفق من حلول مصيبة
هيهات يمنعها أن تحل تجهم
انظر فما زالت تطل من الثرى
صور تكاد لحسنها تتكلم

● رئيس مركز التفكير الإبداعي بالإمارات والمشرف العام على الموقع الإلكتروني «إسلام تايم».

فعل الخيرات في أوقات الأزمات

رضا عبد الواجد أمين

تمر بلدان العالم بشكل عام، والعالم الإسلامي بشكل خاص باعتبار معظمه من الدول النامية - بالكثير من المشاكل والأزمات الاقتصادية المتمثلة في ارتفاع أسعار السلع الأساسية التي لا غنى للإنسان عنها، مثل الغذاء والمحروقات، الأمر الذي أدى إلى زيادة أعداد الفقراء والمحتاجين إلى مقومات الحياة الأساسية.

ومن هنا كان دور الحكومات في رعاية هؤلاء الفقراء والمهمشين لازما، تجنبا لحدوث ما يمكن تسميته بثورة الجياع، ولسد الأبواب أمام انتشار الجرائم المترتبة على الفقر كالسرقات والاختلاسات...الخ.

لكن دور الحكومات وحده ليس كافيا أمام الأرقام التي تشير إلى تآكل الطبقة المتوسطة في المجتمع، وانضمامها إلى الطبقات الفقيرة، وأمام المشكلات الكبيرة التي تعاني منها الحكومات، بداية بتحدي توفير التمويل اللازم لرعاية هؤلاء، وانتهاء بحزمة السياسات غير المدروسة التي تضر بالفقراء وبمصالحهم، وبالتالي فإن على مؤسسات المجتمع المدني والجمعيات الأهلية الدور الأهم في تلك الأوقات، لتقوم بدورها في المجتمع المسلم، لتحقق حديث رسول الله ﷺ «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر».

وقد ارتبط ظهور الجمعيات الأهلية بالنشاط الخيري منذ بدايات القرن الماضي، مثل الجمعية الخيرية الإسلامية التي كانت تقدم مساعدات كبيرة للفقراء والمحتاجين في مصر في الفترة المذكورة.

الإسلام يأمر بالخير ويدعو إليه:

يهدف الإسلام كشريعة سماوية إلى إفشاء الخير ونشره بين أفراد المجتمع، فالخير مقصد من مقاصد الشريعة التي جاءت لحفظ الكليات الخمس، أولها الدين الذي يندرج تحته فعل ونشر الخيرات، وحفلت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالدعوة إلى فعل الخيرات، حيث يقول تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾(الحج - ٧٧).

كما أنه لا ينبغي أن يخلو مجتمع مسلم من وجود نخبة تدعو إلى الخير وتعمل على نشره بين الجماهير، يقول تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾(آل عمران - ١٠٤)، والإسلام يدعو إلى قول الخير، يقول رسول الله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت»(متفق عليه) وذم الله الذين يقفون في وجه الخير وفي سبيل انتشاره لمآرب شخصية، أو أهواء شيطانية، قال تعالى ﴿ولا تطع كل حلاف مهين، هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم، عتل بعد ذلك زنيم﴾(القلم- ١١)، وأمر الإسلام أتباعه ألا يحتقروا من الخير والمعروف شيئا، حتى ولو كان مثقال ذرة .

دور الجمعيات الآن

تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن مصر وحدها بها ٢٢١٠٢ جمعية عام ٢٠٠٧ على مستوى الجمهورية طبقا لما أعلنه الجهاز المركزي للتعبئة العامة والاحصاء تعمل في أكثر من عشرين مجالا من مجالات العمل الاجتماعي، وهو رقم كبير إذا ما وظف التوظيف الأمثل لنماء المجتمع وتحقيق التكافل الاجتماعي، وفي الدول العربية المئات من المؤسسات والهيئات الخيرية التي يمكنها حشد طاقاتها وتكثيف جهودها، ليس على المستوى المحلي فحسب، بل وعلى المستوى الإقليمي أيضا .

وبوسع هذه الجمعيات أن تفعل نشاطها الخيري في أوقات الأزمات لتسد فراغا كبيرا أحدثته الظروف الاقتصادية الراهنة، وبالفعل فإن هناك الكثير من الجمعيات والمؤسسات التي يتعدى دورها إعطاء الفقراء مبالغ نقدية شهرية، ومستلزمات الكسوة في بعض المواسم والمناسبات المختلفة، فبعض هذه الجمعيات يحاول تقديم حلول صغيرة لمشكلات عميقة الجذور مثل مشكلة البطالة، من خلال إنشاء مجمعات للتريكو أو حياكة الملابس أو غيرها من المشروعات.

والحقيقة تقول إن كثيرا من هذه الجمعيات أيضا يقع في خلافات شخصية بين القائمين عليها بسبب الفساد وسوء الاستغلال بالإضافة الى ضآلة الموارد المتاحة، أو حتى نقص في قواعد البيانات اللازمة لأداء عملها بشكل جيد، وهي مشكلات يمكن التغلب عليها من خلال التدريب المستمر، وعرض النماذج الناجحة من المؤسسات التي تؤدي أدوارها بشكل جيد، ونشر ثقافة إشاعة الخير والحض عليه بين مجتمع المسلمين، وعلى وسائل الإعلام أن تلعب دورها في نشر هذه الثقافة التي يمكن تسميتها بثقافة الخير بين الناس، وتسليط الأضواء على الشخصيات والجمعيات الناجحة في ميدان العمل الخيري والتنموي لتقديم النماذج التي يمكن الاقتداء بها على صعيد العمل الخيري في الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تمر بها أمتنا الآن.



من تراث الوعي

صفحة تعرض أبرز ما نشرته المجلة خلال رحلتها التاريخية في رحاب الصحافة الهادفة

بين الشريعة والقانون

الشيخ علي الطنطاوي (يرحمه الله) ● - العدد 116

منذ وقت ليس ببعيد علت أصوات كثيرة تطالب باستبدال الشريعة الإسلامية الغراء بالقوانين الوضعية، التي لم تؤت ثمرتها وكشفت الأيام عن قصورها وعدم ملاءمتها للبيئة الإسلامية، ولكن بعض المعارضين تصدوا لصيحة الحق هذه يحاولون النيل منها متشدقين بأسانيد باطلة، وحجج واهية، ناسبين إلى شريعة الله ما ليس فيها.. زاعمين أنها قاسية، وأنها لا تساير ما يسمونه بالتطور ومدنية القرن العشرين.

وبادئ ذي بدء أقول: إنه ليس من المستغرب أن نسمع هذه المفتريات في وقت شاع فيه الباطل، وذاع فيه قول الزور، وتغلغلت فيه المادية الفاجرة في كثير من مناحي الحياة، ولكن فات هؤلاء المعترضين أن الحق وإن تأخر انتصاره لن يخبو ضياؤه، وأن لا بد له من الانتصار حتى وإن علا الباطل عليه وطال.

مجافاة ظاهرة

ومما لا جدال فيه ولا مراء أن الناظر لحجج هؤلاء المعترضين يكاد يلمس من الوهلة الأولى مدى مجافاة أسانيدهم للوقائع، ومخالفتها للعقل والمنطق العادي للأمور، فغني عن البيان أن وظيفة كل قانون هي خدمة الجماعة التي يحكمها وسد حاجاتها، وصيانة أخلاق أفرادها، ورعاية آدابها وتقاليدها، وحماية دينها ومعتقداتها.. ومن هنا اختلفت القوانين باختلاف الشعوب، فالقانون يجب أن يكون نابعا من الظروف الاجتماعية للدولة، ومن عقائدها ومشاعرها وعاداتها وتقاليدها، إنه يجب أن يكون قطعة من ماضيها وحاضرها، وإلا فقد الغاية المرجوة منه، بل يكون وبالا على الجماعة وأخلاق أفرادها، ومما يؤسف له أن هذا هو ما تعاني منه الدول الإسلامية التي تحكمت فيها عقدة الاستيراد، وهبطت بدينها إلى المستوى الذي حجب عنها حسناته، فلجأت إلى الدول الأجنبية واستعارت بعض قوانينها، فجاءت هذه القوانين مخالفة لعادات المسلمين وتقاليدهم، ولا مكان فيها لعقيدتهم، بل جاءت مجافية كل المجافاة للإسلام، متحدية للمسلمين، تسخر من عقيدتهم، وتمتهن مشاعرهم، وتعبث بحرماتهم فكانت الطامة الكبرى، وأصبحت الدول الإسلامية، بسبب تطبيق هذه القوانين الغربية، مجتمعات تشيع فيها الفاحشة، ويتفشى فيها الفساد الذي يوشك أن يدمرها، والانحلال الذي كاد أن يقضي عليها.. نعم، كل هذا بفعل القوانين الأجنبية التي عطلت حدود الإسلام، وأحلت ما حرم الله، وحرمت ما أحل الله، ونظرة خاطفة إلى بعض مواد هذه القوانين تكفي لمعرفة مدى انسلاخها من الأخلاق، وانحرافها عن الفضائل، وتنكرها للبر والكرم.

ازدواجية فاشلة

ولضيق المقام، على سبيل المثال لا الحصر، نجد أن القوانين الوضعية لا تعاقب على شرب الخمر ولا السكْر لذاته، إنما تعاقب عليه في حالة السكر في الطرق العامة أو المحلات العامة، لأن المشرع تخوف من أن وجود السكير في هذه الأماكن قد يعرض المارين بالطرق أو المرتادين لهذه المحلات لأذاه أو اعتدائه، ورغم هذا التخوف من المشرع نجد أن الحماية التي أراد أن يسبغها على هؤلاء أضعف من أنفاس المحتضر إذ جعل عقوبة هذه المخالفة الغرامة التي لا تزيد على جنيه أو الحبس مدة لا تزيد على أسبوع.. وبكل أسف ومرارة جرى القضاء في الغالب الأعم من قضائه على تطبيق الغرامة دون الحبس، ولكن الشريعة الغراء تعاقب على شرب الخمر في جميع الأحوال لأنها تعتبرها رذيلة مضرة بالصحة، مفسدة للأخلاق، متلفة للمال.. إنها تجرّمه لأنها تريد بناء الإنسان النقي الضمير، الحسن الخلق، المكتمل الصفات والفضائل، لكي ينشر الفضل، ولكي يسمو بنفسه، وبالحياة والأحياء المحيطين به إلى درجة الكمال.

مرة ثانية، على سبيل المثال أيضا، نجد القانون الوضعي يحل الربا ويسبغ الحماية اللازمة عليه في حدود قيمة الفائدة المحدودة قانونا، ونسي المشرع أن المدين لم يستدن إلا لضرورة من ضرورات العيش، ونسي أن هذه الفائدة ترهق المدين وتزيده إعسارا على إعسار، ولكن شريعة الإسلام تحرم الربا فيقول الله

● عرف بالعالم الأديب والأديب العالم، توفي في منتصف ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

عز وجل ﴿وأحلّ الله البيع وحرّم الرّبا ...﴾(البقرة- ٢٧٥)، ثم يضع في الاعتبار المدين الذي أعجزته ضآلة الدخل عن السداد، فيعاني من أجل ذلك الدّين همّ الليل وذل النهار، فيقول وهو أحكم الحاكمين ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ (البقرة-٢٨٠).

معالجة ناقصة

ثم تأمل معالجة القوانين الوضعية لجريمة الزنا وكيف أباحتها ما دام ذلك برضاء الأنثى «ما لم تقل سنها عن ثماني عشرة سنة»، وإذا كانت أقل من هذه السن جعلت عقوبة الزنا الحبس، وتركت تقدير مداه للقاضي الذي قد ينزل به إلى أسبوع، وهكذا نجد أن القانون خرج على الدين، وأن الأخلاق الفاضلة الكريمة صارت هي الاستثناء.. أين هذا من عقوبة الله التي جعلها الرجم للمحصن والجلد لغير المحصن؟ إن الله أراد حماية الأعراض من أن يعبث بها أو تمتد إليها الأيادي الملوثة الآثمة حرصا على الحرمات وصونا للأنساب من العبث والفساد.

الفساد وتعطيل الحدود

هذا قليل من كثير أحلت به القوانين الوضعية ما حرمه الله وآذت به شعور المسلمين وأشاعت الفساد بينهم وعطلت الحدود التي جاء بها دينهم، ولقد زعم بعض الأشخاص أن هذه الحدود لا تساير ما يسمونه بالمدنية والتطور، مدعين أنها قاسية، وكان أدنى للحق، وأقرب للنفع العام، وأوفق وأرشد في علاج جرائم السرقة، وإحراق المال العام واختلاسه، أن يسارع المشرع بتطبيق حدود الشريعة الإسلامية حتى لا يكون مال الدولة مستباحا لكل موظف خرب الذمة طامع فيه، ولكيلا يكون أفرادها غرضا لكل هاجم، وموضعا لكل معتد أثيم.. إني أقول لهؤلاء المفترين والمدعين بأن شريعة الإسلام لا تلائم المدنية ولا تساير التطور: **إن الإسلام هو الذي انتشل الناس من ظلمات الجهل إلى النور، وهو الذي قاد العالم إلى المدنية التي يزعمون انه لا يسايرها.. وعلى هؤلاء الذين تتحكم فيهم عقدة الاستيراد أن يمعنوا النظر في أقوال المستشرق الفرنسي رينان «إن المدنية الأوروبية الحالية هي وليدة المدنية الإسلامية القديمة في حقائقها العليا»، ثم هذا هو العلامة الكاثوليكي شبرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا يقول «إن محمدا الذي تفخر البشرية بانتسابه إليها استطاع أن يأتي من قرون بتشريع سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى مثله بعد ألفي عام»، وهذا مستشرق أميركي آخر هو كنج أستاذ الفلسفة بجامعة هارفارد يقول «... إن في الشريعة الإسلامية كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة»، وهذا رد المستشرقين أنفسهم أضعه أمام القائلين بعدم مسايرة الشريعة للمدنية الحديثة.**

فرية خبيثة

بقيت الفرية الخبيثة التي ينسبونها للإسلام وهو منها براء.. فرية القسوة في قطع يد السارق.. إن الإسلام وضع الحدود لتقويم الخاطئ، وهداية المنحرف، ووقاية المجتمع من شر الفساد.. ترى هل الرحمة في نظر هؤلاء الضالين المضلين هي الحنان الذي لا عقل له؟ هل هي الشفقة التي تتنكّر للعدل والنظام؟! إن الإسلام لا يقيم الحدود إلا إذا تأكد من أنه ليس للجاني عذر في ارتكاب جرمه، ولا شبهة في وقوعه منه، فالرسول ﷺ يقول «ادرؤوا الحدود عن المسلمين بالشبهات فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام لأن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»(البخاري في العلل الكبير)، إن الإسلام يقطع يد السارق الذي لا يسرق اضطرارا ليطعم نفسه أو أهله، فإن ساقته ضرورات العيش إلى جرمه فلا عقوبة عليه، بل قد توقع العقوبة على من دفعه إلى السرقة، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع غلمان ابن أبي بلتعة الذين سرقوا ناقة، فقد أطلق سراحهم، وغرم سيدهم ثمنها ضعفين، لأنه أجاعهم فاضطروا إلى السرقة، ولما عمت المجاعة في عام الرمادة لم يطبق حد السرقة؛ لأن شروطه لم تتوافر، ويخطئ بعض المسلمين فيقولون إن عمر رضي الله عنه عطل حد السرقة، وحاشا لله أن يقوم عمر بتعطيل حدود الله، وهو الحريص على إرضاء ربه، والمعروف بشدته في الدين، وحرصه عليه لا يخفى على أحد، ولكن عمر لم يطبق حد السرقة لأن شروطه لم تكن متوافرة لأن السارق كان يسرق وقتئذ اضطرارا، ثم إن هذه القسوة التي يرمون بها الشريعة الإسلامية دليل على جهل القائلين بها بدين الإسلام.. إن الإسلام جعل الرحمة أساس الإسلام والإيمان، وعلامة من علاماته، بل هي صفة من صفات المؤمنين كما وصفهم القرآن الكريم، والرحمة في الإسلام لا تقتصر على الإنسان، بل تشمل الإنسان والحيوان، يقول الله عز وجل ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة﴾ (البلد-١٧)، ويقول الرسول ﷺ «في كل كبد رطبة أجر» (البخاري) ويقول «والذي نفسي بيده لا يضع الله رحمته إلا على رحيم...» (رواه أبو يعلى وصححه الألباني)، هذه هي شريعة الرحمة.. شريعة الإسلام.. الشريعة التي جمعت بين العقيدة والنظام.. شريعة جمعت بين الدين والدنيا في توجيهاتها وتشريعاتها، وأمرنا الله أن نطبقها في نظامنا الاجتماعي والقانوني والخلقي، فيقول ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله﴾ (المائدة-٤٩) ويقول: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله...﴾ (النساء- ١٠٥)، وعد من لا يحكم بكتاب الله كافرا وظالما وفاسقا ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (المائدة- ٤٤) .

أقول لهؤلاء المغتصبين: إن لدينا من التشريعات الإسلامية ما نعطيه للآخرين، ولسنا بحاجة إلى استيراد قوانين أجنبية تخالف ديننا وتنحدر بأخلاقنا.. يا قوم تدبروا قول الله عز وجل ﴿يأيّها الّذين آمنوا استجيبوا للّه وللرّسول إذا دعاكم لما يحييكم...﴾(الأنفال-٢٤).. يا قوم تدبروا قول نبيكم الكريم «... كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا يزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه. هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به﴾ من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» (سنن الترمذي، إسناده مجهول).. يا قوم أفيقوا من نومكم، وسارعوا إلى تطبيق شريعة ربكم، فهي المنقذ ولا منقذ لنا سواها.. يا قوم إن الله هو خالقنا وهو الأعلم بعلاجنا، وشريعته هي الأقدر على حل مشاكلنا، وهي الطريق الوحيد لسعادتنا.

الشيخ عبد الرحمن السعدي.. الفقيه الزاهد

عبده دسوقي

عانى الوطن العربي في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي والقرن العشرين من الوقوع تحت نير الاستعمار الغربي، مما كان عاملا قويا في تخلف البلاد وانهيارها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا.

في ظل هذه الأوضاع ظهرت هذه الشخصيات التي تركت بصمات في إصلاح المجتمع قبل رحيلها، ومنها الشيخ عبد الرحمن السعدي الذي ترك خلفه بصمات علمية وتراثا فكريا عظيما.

النشأة والتكوين

هو الشيخ أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من الحمران من قبيلة النواصر أحد قبائل تميم، ولد في بلدة عنيزة في القصيم، وذلك بتاريخ ١٢ محرم ١٣٠٧هـ، الموافق الأحد ٨ سبتمبر ١٨٨٩م، وتوفيت أمه وله أربع سنين، وتوفي والده وله سبع سنين، فتربى يتيماً، ولكنه نشأ نشأة حسنة، وكان قد استرعى الأنظار منذ حداثة سنه بذكائه ورغبته الشديدة في العلوم، وقد قرأ القرآن بعد وفاة والده ثم حفظه عن ظهر قلب، وأتقنه وعمره إحدى عشرة سنة، ثم اشتغل بالتعلم على علماء بلده وعلى من قدم بلده من العلماء، فاجتهد وجد حتى نال الحظ الأوفر من كل فن من فنون العلم، ولما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك حتى إنه في عام ألف وثلاثمائة وخمسين صار التدريس ببلده راجعاً إليه، ومعول جميع الطلبة في التعلم عليه.

لقد كان الشيخ عبد الرحمن السعدي من الناحية الدينية هو كل شيء في عنيزة، فقد كان العالم والمعلم والإمام والخطيب والمفتي والواعظ والقاضي وصاحب مدرسة دينية له فيها تلاميذ منتظمون.

صفات اتصف بها الشيخ

كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، متواضعاً للصغير والكبير والغني والفقير، وكان يقضي بعض وقته في الاجتماع بمن يرغب حضوره فيكون مجلسهم نادياً علمياً، حيث إنه يحرص أن يحتوي على البحوث العلمية والاجتماعية ويحصل لأهل المجلس فوائد عظمى من هذه البحوث النافعة التي يشغل وقتهم فيها، فتنقلب مجالسهم العادية عبادة ومجالس علمية، ويتكلم مع كل فرد بما يناسبه، ويبحث معه في الموضوعات النافعة له دنيا وأخرى، وكثيراً ما يحل المشاكل برضاء الطرفين في الصلح العادل، وكان ذا شفقة على الفقراء والمساكين والغرباء ماداً يد المساعدة لهم بحسب قدرته ويستعطف لهم المحسنين ممن يعرف عنهم حب الخير، وكان على جانب كبير من الأدب والعفة والنزاهة والحزم في كل أعماله، وكان من أحسن الناس تعليماً وأبلغهم تفهيماً، مرتباً لأوقات التعليم، يقيم المناظرات بين تلاميذه المحصلين لشحذ أفكارهم، ويجعل الجعل لمن يحفظ بعض المتون، وكل من حفظ أعطى الجعل ولا يحرم منه أحد.

مكانته العلمية

كان عالماً في الفقه، أصوله وفروعه، وكان في أول أمره متمسكاً بالمذهب الحنبلي تبعاً لمشايخه، وحفظ بعض المتون من ذلك، وكان له مصنف في أول أمره في الفقه، نظمه رجزاً نحو أربعمائة بيت وشرحه شرحاً مختصراً، ولكنه لم يرغب في ظهوره لأنه على ما يعتقده أولاً.

وكان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وحصل له خير كثير بسببهما في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها من العلوم النافعة، وبسبب استنارته بكتب الشيخين المذكورين صار لا يتقيد بالمذهب الحنبلي، بل يرجح ما ترجح عنده بالدليل الشرعي، ولا يطعن في علماء المذاهب كبعض المتهوسين، هدانا الله وإياهم للصواب والصراط المستبين، وله اليد الطولي في التفسير، إذ قرأ عدة تفاسير، وبرع فيه، وألف تفسيراً جليلاً في عدة مجلدات، فسره بالبديهة من غير أن يكون عنده وقت لتصنيف كتاب تفسير ولا غيره، ودائماً يقرأ تلاميذه القرآن الكريم ويفسره ارتجالاً، ويستطرد ويبين من معاني القرآن وفوائده، ويستنبط منه الفوائد البديعة والمعاني الجليلة، حتى إن سامعه يود ألا يسكت لفصاحته وجزالة لفظه وتوسعه في سوق الأدلة والقصص، ومن اجتمع به وقرأ عليه عرف مكانته في المعلومات، كذلك من قرأ مصنفاته وفتاواه.



مشايخه

يعتبر الشيخ إبراهيم بن حمد بن جاسر، أول من قرأ عليه الشيخ السعدي، وأيضا الشيخ صالح بن عثمان قاضي عنيزة أخذ عنه الأصول والفقه والتوحيد والتفسير والعربية، ولازمه إلى وفاته، وأيضا الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل، قرأ عليه في الفقه وعلوم العربية، والشيخ عبد الله بن عايض، والشيخ صعب القويجري، والشيخ علي السناني، والشيخ محمد الشنقيطي لما قدم عنيزة وجلس فيها للتدريس قرأ عليه في التفسير والحديث وعلوم العربية، كالنحو والصرف ونحوهما.

مؤلفاته

١- تفسير القرآن الكريم المسمى «تيسير الكريم المنان» في ثماني مجلدات أكمله في عام ١٣٤٤هـ.

٢- حاشية على الفقه استدراكاً على جميع الكتب المستعملة في المذهب الحنبلي ولم تطبع.

٣- إرشاد أولي البصائر والألباب لمعرفة

الفقه بأقرب الطرق وأيسر الأسباب، رتبه على السؤال والجواب، طبع بمطبعة الترقي في دمشق عام ١٣٦٥ على نفقة المؤلف ووزعه مجاناً.

٤- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، طبع في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦هـ.

٥- الخطب العصرية القيمة، لما آل إليه أمر الخطابة في بلده اجتهد أن يخطب في كل عيد وجمعة بما يناسب الوقت في المواضيع المهمة التي يحتاج الناس إليها، ثم جمعها وطبعها مع الدرة المختصرة في مطبعة أنصار السنة على نفقته ووزعها مجاناً.

٦- القواعد الحسان لتفسير القرآن، طبعها في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٦، ووزع مجاناً.

٧- تنزيه الدين وحملته ورجاله، مما افتراه القصيمي في أغلاله، طبع في مطبعة دار إحياء الكتب العربية على نفقة وجيه الحجاز الشيخ محمد افندي نصيف عام ١٣٦٦هـ.

٨- الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين.

٩- توضيح الكافية الشافية، وهو كالشرح لنونية الشيخ ابن القيم.

١٠- وجوب التعاون بين المسلمين، وموضوع الجهاد الديني، وهذه الثلاثة الأخيرة طبعت بالقاهرة السلفية على نفقة المؤلف ووزعها مجاناً.

١١- القول السديد في مقاصد التوحيد، طبع في مصر «بمطبعة الإمام» عام ١٣٦٧ هـ.

١٢- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، طبع على نفقة المؤلف وجماعة من المحسنين، وزع مجاناً، طبع بمطبعة الإمام.

مواقف من حياة الشيخ السعدي

في عام ١٣٧٣هـ عين الشيخ عبد الرحمن السعدي مشرفاً على المعهد العلمي من الناحية العلمية، وكان تعيينه براتب شهري قدره ألف ريال، ولكن الشيخ رحمه الله تعالى أرسل إلى رئاسة المعاهد العلمية أنه على استعداد للإشراف على المعهد حسبة لوجه الله تعالى، وأنه لا يريد أن يكون له على ذلك أجر مادي، وقبلت الرئاسة شاكرة له هذا الصنيع الذي لا يصدر إلا من عالم زاهد يبتغي وجه الله.

وكانت للشيخ دروس في المعهد وفي المسجد الجامع وفي بيته المتواضع، كما كان رحمه الله يأتي إلى المعهد بانتظام يوم الثلاثاء من كل أسبوع، وكان يخلع نعليه عند دخول الفصل أثناء الدرس مع أن أهل نجد لا يخلعون نعالهم عند دخول المسجد، ولا عند الصلاة، ولكنه الأدب الراقي واحترام العلم ومجلسه، ثم يدخل آخر صف ويجلس فيه وكأنه أحد طلاب هذا الفصل، ويكرر هذا العمل في أكثر من فصل ويستمع إلى أكثر من مدرس.

كان يصلي الفجر بالناس، ثم يجلس لأداء الدرس حتى تطلع الشمس، ويذهب بعد ذلك إلى بيته حتى الضحوة الكبرى فيعود إلى المسجد يعلم الفقه والتفسير والحديث والعقيدة والنحو والصرف في دروس منتظمة وكتب اختارها لطلابه ويستمر معهم حتى صلاة الظهر فيصلي بالناس ويعود إلى بيته يستريح فيه إلى صلاة العصر، ثم يذهب إلى المسجد فيصلي العصر بالناس ويعطيهم عقب الصلاة وهم جلوس بعض الأحكام الفقهية في دقائق لا تؤخرهم عن الانصراف سعياً وراء أرزاقهم، وعندما تغرب الشمس يصلي بالناس المغرب ويجلس للدرس حتى يصلي العشاء، ويتكرر ذلك في كل يوم.

وكان من سيرته - عليه رحمة الله - أنه في موسم الحصاد تأتي إليه ثمار النخيل والبساتين التي وقفها أصحابها على المسجد الجامع ليؤدي رسالته الإسلامية العظيمة، فكان الشيخ يجمع كل هذه الثمار في المسجد ويوزعها على الفقراء والمساكين ولا يأخذ تمرة واحدة يدخلها فاه أو ينقلها إلى بيته.

ومرت الأيام.. وفي نهاية عام ١٣٧٥هـ الموافق ١٩٥٦م بدأ العدوان الثلاثي على مصر، وهاجمت فرنسا وإنجلترا وإسرائيل أرض مصر، ولكل دولة منه دوافعها الخاصة، وعرف الشيخ السعدي هذه الأبعاد كلها وخطب في الناس الجمعة في هذا الموضوع ورفع الناس معه أكف الضراعة إلى الله أن يحمي القوة الإسلامية وأن ينصر المسلمين ويرد كيد الكافرين، وقد استجاب الله دعاءه، فخطب الشيخ في جمعة تالية مهنئاً ومبشراً ومذكراً بقول الله تعالى ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيّاً عَزِيزاً﴾ (الأحزاب-٢٥)

قالوا عنه

قال عنه الشيخ ابن العثيمين في ١٥ رمضان ١٤١٦ هـ: «فإن تفسير شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى المسمى «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» من أحسن التفاسير حيث كانت له ميزات كثيرة: منها سهولة العبارة ووضوحها حيث يفهمها الراسخ في العلم ومن دونه. ومنها تجنب الحشو والتطويل الذي لا فائدة منه إلا إضاعة وقت القارئ وتبلبل فكره.

ومنها تجنب ذكر الخلاف إلا أن يكون الخلاف قويا تدعو الحاجة إلى ذكره، وهذه ميزة مهمة بالنسبة للقارئ حتى يثبت فهمه على شيء واحد.

ومنها السير على منهج السلف في آيات الصفات فلا تحريف ولا تأويل يخالف مراد الله بكلامه فهو عمدة في تقرير العقيدة.

ومنها دقة الاستنباط فيما تدل عليه الآيات من الفوائد والأحكام والحكم، وهذا يظهر جليا في بعض الآيات كآية الوضوء في سورة المائدة حيث استنبط منها خمسين حكما، وكما في قصة داود وسليمان في سورة «ص». ومنها أنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة كما يتبين في تفسير قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف - ١٩٩).

ومن أجل هذا أشير على كل مريد لاقتناء كتب التفسير ألا تخلو مكتبته من هذا التفسير القيم.

وفاته:

أصيب بمرض شديد مفاجئ، ثم وافاه الأجل في ليلة الخميس ٢٣ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ، الموافق الخميس ٢٤ يناير ١٩٥٧م بمدينة عنيزة، بعد عمر دام قرابة ٦٩ عاماً في خدمة العلم، ومما وصف به الشيخ ما قالته عجوز جالسة على طريق الجنازة والناس يمرون وهم يحملون نعش الشيخ قالت العجوز في صدق وحرارة: «نجم هوى».

المراجع

١- مواقف اجتماعية من حياة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، محمد بن عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ومساعد بن عبدالله بن سليمان السعدي، الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ، دار الميمان.
٢- مجلة المختار الإسلامي.
٣- موقع ويكيبيديا.

مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية

البيمارستان النوري بدمشق



د. عماد ممدوح عبدالحليم ●

تعتبر البيمارستانات من مفاخر الحضار العربية الإسلامية، و«البيمارستان» كلمة فارسية الأصل مكونة من بيمار ومعناها «مريض» وستان بمعنى «دار» فهي إذن دار المرضى، ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان. ولم تكن مهمة البيمارستانات في العصر الإسلامي تقتصر على معالجة المرضى، بل كانت في الوقت نفسه جامعات لتعليم الطب وتخريج الاطباء في مختلف الاختصاصات المعروفة اليوم.

وكانت في أول أمرها بسيطة، ثم أصبحت فيما بعد بحالة جيدة تتوافر فيها التسهيلات التي يطلبها المريض من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين الذين كان عملهم فيها ابتغاء لمرضاة الله وخدمة لعباده وليس طلبا للمال، وكان لها من الشرف والمكانة بحيث كان السلطان أو نائبه هو الرئيس الأعلى لها، ولا غرابة في أن يولي الناس آنذاك علوم الطب كل عنايتهم، وقد رأوا ما للأطباء من الأرزاق الوافرة من السلطان والمناصب العليا والشأن الاجتماعي العظيم.

وكانت تكاليف إنشاء هذه البيمارستانات وتمويلها والإنفاق عليها يتم صرفها من بيت المال أو من الأوقاف المخصصة لها في صك إحداثها.

كما تتفق الروايات على أن أول من بنى البيمارستان في بلاد الشام وأخذ شكله المتكامل كان الوليد بن عبدالملك الخليفة الأموي وذلك سنة (٨٨هـ - ٧٠٦م) وجعل فيه الأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأمر بحجر المجذومين وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق، وأعطى لكل مقعد خادما ولكل ضرير قائدا.

وقد انتشرت البيمارستانات في بلاد الشام انتشارا واسعا حتى صرت تجد في بقعة صغيرة حول المسجد الأموي ثلاثة بيمارستانات يمر الماشي عليها جميعا في دقيقتين، الا ان اشهرها كان البيمارستان النوري بدمشق.

نور الدين الزنكي وبناء البيمارستان

تذكر المصادر التاريخية أن السلطان العادل نور الدين محمود بن زنكي (٥١١ - ٥٦٦ هـ- ١١٧-١١٧٤م) خلال حروبه الطويلة مع الصليبيين كان قد أسر بنفسه أحد ملوكهم، واستشار مجلس اعيانه بمصيره فأشاروا عليه أن يطلق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة تنفق في بناء بيمارستان ليكون مشفى يقدم العلاج والدواء لكل مصاب، وبالفعل فقد راقت له الفكرة واطلق سراح هذا الملك بعد اخذ الفدية، واستقدم خيرة المهندسين والعمال العرب المهرة لبناء البيمارستان الذي كان فاتحة أعمال السلطان نور الدين، ومن أعظم مآثره في المنشآت المدنية التي زخر بها عهده في دمشق.

وقد بني على مرحلتين، الأولى تضم البناء الأساسي في عهد الملك العادل نور الدين سنة ٥٤٩هـ - ١١٥٤م والثانية حين وسعه الطبيب بدر الدين ابن قاضي بعلبك سنة ٦٣٧هـ، وقد بقي القسم الرئيسي من البيمارستان على وضعه الاصلي حتى الآن، وتبلغ مساحته اكثر من عشرة آلاف متر مربع، ويعد من الأبنية الأثرية المتكاملة التي تقدم نموذجا رائعا لفن العمارة في الحضارة الإسلامية، من حيث مخططه وطراز عمارته وزخارفه البديعة ونقوشه الفريدة، كما تزين جدرانه لوحات رخامية كتب عليها آيات من القرآن الكريم، ويقع هذا البيمارستان في قلب مدينة دمشق القديمة في الشارع المسمى حاليا منطقة الحريقة، والمتفرع عن سوق الحميدية، وهو على مسافة غير بعيدة من الجامع الأموي الى الجنوب الغربي منه.

> لم تقتصر مهمة البيمارستان في العصر الإسلامي على معالجة المرضى .. بل كانت جامعات لتعليم الطب وتخريج الأطباء

ويمكن القول: إن بناء البيمارستان النوري وغيره من البيمارستانات الكثيرة في مدن بلاد الشام من قبل الملك نور الدين ربما كان له مغزى كبير، فإلى جانب المهمة الأولى التي يقوم بها وهي معالجة المسلمين واصلاح الاوضاع الصحية، كان نور الدين يدرك أنه في حالة حرب مستمرة مع الصليبيين لا يعرف لها نهاية، وهذه الحروب التي يخوضها المسلمون من الطبيعي ان يوجد فيها من يتعرض للقتل أو لجروح خطيرة أو خفيفة، وكلها بحاجة الى علاج، فيستفيد من البيمارستانات في معالجتهم، ولا يعني هذا أن الجندي المسلم عندما يتعرض في ارض المعركة لاصابة يتم نقله الى البيمارستان، وانما كانت تصاحب الجيش فرقة طبية تشكل من الاطباء ومساعديهم تجهز بكامل المستلزمات الطبية للاسعافات الاولية للتخفيف من آلام المرضى.

كما تذكر المصادر التاريخية ان بيمارستان نور الدين كان يماثل القصور الملكية بترفه، ووسائل الراحة المتوفرة فيه، وانواع الطعام الفاخرة التي تقدم للمرضى والمصابين، كما ان العلاج كان مجانا للفقراء والاغنياء على حد سواء دون ان تكلف المرضى درهما واحدا، بل كانوا يمنحون لدى خروجهم من البيمارستان ثيابا ونقوداً تكفيهم للعيش دونما اضطرار للعمل لمدة اسبوعين (مدة فترة النقاهة).

أقسام البيمارستان

لم تكن البيمارستانات تسير بغير نظام ولا ترتيب، بل كانت أعمالها تسير على وتيرة منتظمة، وكانت منقسمة الى قسمين منفصلين، قسم للذكور وقسم للاناث وكل قسم مجهز بما يحتاجه من آلة وعدة وغيرها.

وفي كل قسم عدة قاعات لمختلف الأمراض: فقاعة للأمراض الباطنة، وقاعة للجراحة، وقاعة

● مدرس في جامعة دمشق وباحث في التراث

للكحالة (أمراض العين)، وقاعة للتجبير وغيرها، وأيضا كانت كل قاعة تخصصية منقسمة الى: قسم للمحمومين وهم المصابون بالحمى، وقسم للممرورين (وهو لمن بهم مرض مانيا أو ما يعرف بالجنون السبعي)، وقسم للمبرودين (أي المتخومين) وقسم لمن بهم إسهال... الخ.

كما كان لاطباء البيمارستان رئيس يسمى ساعور البيمارستان (الساعور كلمة سريانية تعني بالعربية متفقد المرضى)، وكانت تناط بالساعور مهمة ادارة الامور الطبية والفنية في البيمارستان، فالاشراف الطبي كان من صلاحية رئيس الاطباء، فهو الذي يحكم على مقدرة الاطباء، ويأذن لهم في التطبيب ونحو ذلك، وكان يتم اختياره من بين العديد من زملائه بعد اجتيازه امتحانا دقيقا.

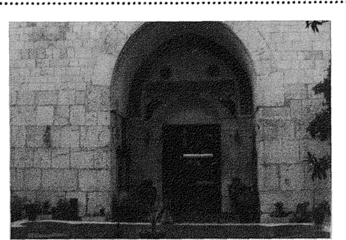
وكان للبيمارستان ناظر يشرف على إدارته، وكان النظر عليه معدودا من الوظائف الديوانية العظيمة.

وللبيمارستان صيدلية تسمى شرانجاناه، ولها رئيس يسمى شيخ شرانجاناه البيمارستان.

نظام المعالجة والعناية بالمرضى

كان في البيمارستان طريقتان للعلاج: علاج خارجي اي ان المريض يتناول الدواء من البيمارستان ثم ينصرف ليتعاطاه في منزله، وعلاج داخلي يقيم المريض اثناءه في البيمارستان في القسم الخاص بمرضه حتى يشفى منه.

ففي الطريقة الاولى كان الطبيب يجلس على دكة ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج اوراقا يعتمدون عليها، ويأخذون بها الأدوية من البيمارستان، فكان المرضى يوزعون على القاعات حسب أمراضهم، وكان لكل قسم من أقسام البيمارستان طبيب او اثنان او ثلاثة اطباء حسب اتساعه وكثرة المرضى، وكان اذا دعت الحاجة يستدعى طبيب من قسم آخر غير القسم الذي يعالج فيه المريض.



الدروس الطبية (الإكلينيكية)

كان طلبة الطب يتلقون علومهم على يد أساتذتهم في البيمارستانات، اذ كانت تهيأ لهم الايوانات الخاصة المعدة والمجهزة بالآلات والكتب أحسن تجهيز، فيجلسون بين يدي معلمهم بعد ان يتفقدوا المرضى وينتهوا من علاجهم، كما كان يفعل الطبيب ابو المجد بن أبي الحكم رئيس الاطباء في البيمارستان النوري الكبير، وهو أول طبيب عينه السلطان نور الدين لإدارة البيمارستان، حيث كان يتردد على المرضى في البيمارستان، يتفقد أحوالهم ويصف الدواء والغذاء لكل منهم، وبعدها يذهب الى قلعة دمشق فيتفقد المرضى من اعيان الدولة، ثم يعود ثانية الى البيمارستان فيجلس في قاعة الدرس وهي الايوان الكبير، وكان يقرأ على التلاميذ ما يخطر له من بحوث ويبقى معهم عدة ساعات يناقشهم ويرد على اسئلتهم واستفساراتهم.

إجازة الطب

لم تكن إجازة الطب تمنح للطبيب إلا إذا أثبت جدارته ومهارته في هذه الصناعة، وكان رئيس الأطباء في البيمارستان يقوم بامتحان الطلبة الراغبين في الحصول على إجازة الطب كل حسب اختصاصه، ويكتب للناجح رقعة (وثيقة بخطه تجيز له ممارسة الطب).

لقد اعترف الغرب بقدرة هذا النظام التدريسي، الذي لايزال قيد التطبيق حتى الآن، وتقول المستشرقة هونكة: «إن هذه السمعة الوطيدة التي تمتع بها أطباء العرب في أرجاء الدنيا قاطبة، كانت تعتمد على تضلع كبير وباع طويل في العلوم والخبرة والامتحانات القاسية».

ومن المفارقات التي تذكرها هونكة بين تقدم العرب وتخلف الأوروبيين في العصور الإسلامية، أنه قبل أكثر من ٦٠٠ عام كانت مكتبة كلية الطب بباريس لا تحتوي إلا على كتاب واحد، وهذا الكتاب هو «الحاوي في الطب» للرازي، الذي ظل مرجعاً في أوروبا لمدة تزيد على ٤٠٠ عام، بعد ذلك التاريخ، وتكريماً للرازي أقام الفرنسيون له نصباً تذكاريا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم.

الأطباء الذين عملوا في البيمارستان

ذكر لنا المؤرخون عددا كبيراً من مشاهير الأطباء الذين مارسوا الطب وخدموا في البيمارستان النوري بدمشق ومنهم:

ابن النفيس

هو علاء الدين أبوالحسن علي بن أبي الحزم القرشي الشهير بابن النفيس، ولد بدمشق سنة ٦٠٧ هـ/ ١٢١١م، وهو من الأطباء الذين نبغوا في الطب وذاعت شهرته في جميع الأمصار، وكان من أشهر أطباء البيمارستان النوري، وقد درس على يد العالم الكبير الدخوار، وكان للدخوارية دورها العظيم في ثقافة ومنهج ابن النفيس وطريقته العلمية باعتماده على التجربة والملاحظة وتطبيق قواعد المنهج التجريبي، وهو القائل: «لو لم أعلم أن تصانيفي تبقى مدة عشرة آلاف سنة ما وضعتها».

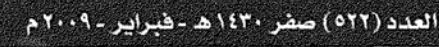
استدعاه السلطان الكامل محمد الى القاهرة لشهرته العظيمة، فعمل في البيمارستان الناصري.

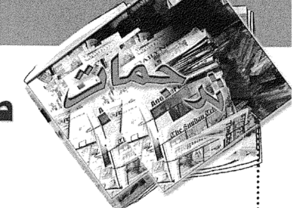
ابن النفيس صفحة مشرقة في تاريخ التراث العلمي العربي، حيث حظي بشهرة كبيرة تجاوزت عصره وزمانه بفضل مؤلفاته الكثيرة وتصانيفه وتجاربه، واعتماده التشريح المقارن كطريقة له في عمله وبحثه.

وتشير المصادر الى ان البيمارستان النوري الكبير ظل عامراً يعالج فيه المرضى الى سنة ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م، وكان أطباؤه وصيادلته لا يقلون عن العشرين، حتى قامت بلدية دمشق في عهد حسين ناظم باشا - والي سورية آنذاك - بإنشاء مشفى الغرباء (المشفى الوطني) بجانب التكية السليمانية، وهكذا خلف هذا المستشفى الجديد البيمارستان النوري الذي جعل ميتما للبنات أثناء الحرب العالمية الأولى، ثم أصبح فيما بعد مدرسة للتجارة سنة ١٣٥٦ هـ/ ١٩٣٧م.

ومنذ عام ١٩٤٥م عُنيت به مصلحة الآثار القديمة وقامت بترميم بعض أجزائه، وفي سنة ١٩٨٧م أصبح متحفاً للطب والعلوم عند العرب وأعيد ترميمه من جديد.

وأخيرا فإن هذا البيمارستان يعد بحق أول وأعظم جامعة طبية في ذلك العصر وفي الشرق كله، وهو انجاز كبير من انجازات حضارتنا الاسلامية، حيث بقي يقدم رسالته الإنسانية حتى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي.





صدام الحضارات بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١

نعرض هنا لفصل من كتاب صدر لعهد قريب عن الإسلام وعلاقته بدول العالم وأيديولوجياته المختلفة والمتنوعة، وأول ما نبدأ به هنا التعريف بمؤلف هذا الكتاب وهو آلان جريش Alain Gresh رئيس تحرير الجريدة السياسية لا موند ديلوماتيك le monde diplomatique ، حيث دأب آلان جريش على تقديم نفسه دائمًا كصديق للمسلمين وقريب من همومهم، فرغم أنه فرنسي ومن أم يهودية روسية فإنه قضى شطرًا مهمًا من صباه في مصر العربية، وعاش كمسيحي (حيث كان أبوه الحقيقي مصريًا مسيحيًا وماركسيًا) في مدينة القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين، صحيح أنه لم يعرف أباه هذا إلا بعد العشرين من عمره، لكنه عاش مصريًا بثقافة فرنسية يغلفها حب الوطن الذي ترعرع فيه كما يقول. ويشغل الآن كما ذكرنا رئاسة تحرير جريدة فرنسية سياسية مهمة وهي le monde diplomatique، أما كتابه الذي نحن بصدد تقديم فصلا منه الآن فهو la leIslam، république et le monde وقد صدر عن دار كاسبا عام 2005، وترجمته هي: الإسلام والجمهورية والعالم، لكننا رأينا أن نقدم هنا الفصل الأول منه وهو «صدام الحضارات»، وقد نتبع هذا المقال بمقال أو اثنين آخرين لو رغب القراء في الاطلاع على العمل كله، لأن الكتاب عبارة عن استخلاص لحوارات العديد من الإخصائيين الغربيين بالإسلام وقضاياه، خاصة المستشرقين الذين أوقفوا حياتهم لدراسة الإسلام مثل: ماكسيم ردنسون وغيره من الكتاب والصحفيين، فجاء الكتاب وكأنه تعبير عن روح الفريق العلمي، وإن كانت العبارات والمواقف تعبر بشكل قوي عن اتجاه المؤلف الفكري وحده، ونحن سنتتبع الفصل الأول للكتاب ونقدمه هنا كوجبة دسمة لمن يريد أن يفهم الغربيين المنصفين بصفة عامة، وآلان جريش بصفة خاصة وهو واحد من المنصفين بلا شك.



د. محمود مسعود ●

يطرح المؤلف في مقدمة الكتاب هذا السؤال ويجيب عليه: لماذا الإسلام؟ ولماذا ينشغل هو بالمسلمين رغم أنه ملحد وعلماني؟ ثم يجيب بأنه لا يستطيع أن يحدد ذلك بدقة غير أنه يقول: ربما يكمن السبب في طبيعة عمله كصحفي معني بالدرجة الأولى بالشرق الأوسط بصفة عامة والنزاع العربي الإسرائيلي بصفة خاصة. وربما هذا هو السبب المباشر لذلك. أو ربما لأنه وُلد عشية الصراع السياسي بين الغرب والمسلمين، حيث بدأ طفولته في مصر مع العدوان الثلاثي عليها، وساعتها -كما يقول- كنت طالبًا بالمدارس الفرنسية في القاهرة فرحًا بتأميم ناصر لقناة السويس، ولم أفهم لماذا يهاجمنا الفرنسيون الذين أتعلم أنا لغتهم! تلك الدهشة هي التي دفعت المؤلف ليكرس حياته لتلك القضية.

ويجب أن أذكر هنا أنني التقيت الكاتب في مؤتمرات عدة في فرنسا وشهدت حماسه للدفاع عن المسلمين وقضاياهم، وهو أيضًا صديق للمفكر المسلم السويسري الجنسية طارق رمضان ذي الشهرة الواسعة والفكر الحصيف.

أما الكتاب فهو يناقش كثيرًا من القضايا: منها على سبيل المثال: صدام الحضارات، الإسلام والمسلمون في الغرب، ظاهرة الخوف من المسلمين، مسلمو فرنسا وقضاياهم، خاصة مسألة انعدام المساواة بينهم وبين غيرهم وبصفة أخص، قضية الظلم الذي يقع على المرأة المسلمة الفرنسية وحريتها الشخصية المتمثلة في حجابها، ثم ينتهي الكتاب بالدعوة لمستقبل يجمع المواطنين الغربيين في بلادهم بغض النظر عن دياناتهم المختلفة، ويذيله ببعض الملاحق خاصة ملحق لجنة Stasiستازي التي كونها الرئيس الفرنسي جاك شيراك لوضع قانون للحجاب عام ٢٠٠٤.

عدم قبول المستعمر

يعرض المؤلف في الفصل المعنون بـ: «صدام الحضارات» لتاريخ العلاقة بين الغرب والمسلمين سيما أن العراقيين بعد عام ٢٠٠٣ لم يعودوا قادرين على حكم أنفسهم، وفي ذات الوقت لن يقبلوا بحكم المستعمر الأميركي الغربي، وتلك ليست فقط حالة العراقيين إنما هي ملمح حضاري عند المسلمين عامة، وربما حرب العراق قد فتحت النقاش حول الصراع القديم بين العرب والغرب منذ الحروب الصليبية، مرورًا بالاستعمار الغربي والحرب التركية الأوروبية. لكن الأهم اليوم أن يكون صدام الحضارات معنيًا بالدرجة الأولى بالصراع بين المسلمين وبين الغرب سواءً أكان هؤلاء المسلمون في البلاد العربية أم كانوا يعيشون في الغرب كمواطنين أصليين أو كمقيمين، فقد تفجرت المشكلات من هذا الجيل من المسلمين الذين خرجوا يجوبون شوارع أوروبا بالمظاهرات منددين بالحرب ضد إخوانهم المسلمين في العراق وفي فلسطين، ومن هنا شاع الخوف منهم عند كثير من الغربيين الذين صُدموا فجأة بحضور كل تلك الجاليات لفعاليات تلك التظاهرات، فقد ظن الكثير من الغربيين أن المواطنين المسلمين الغربيين سيتفاعلون مع القضايا الوطنية أكثر من تفاعلهم مع قضايا خارج الوطن والأرض، فلما بدأت الحرب بين أميركا

● أستاذ الفلسفة الإسلامية في جامعة المنيا

وحلفائها الغربيين عام ١٩٩١ وبين العراق اكتشفوا قوة ترابط الجالية المسلمة من جانب وقوة عاطفتهم مع القضايا التي تخص إخوانهم المسلمين من جانب ثان، مما ولد توجهًا غربيًا ضد المواطنين المسلمين، وعدهم خارجين عن السياق الحضاري الغربي. ومن ثم توجس الغرب خيفة من الجالية المسلمة وظهرت الكتابات والمقالات التي تحذر منهم، وعليه بدأ ظهور ما يسمى بالصراع بين الحضارات.

المسلمون اليوم هم الآخر

فلم يعد مفهوم «الآخر» عند الغربيين بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ يعني اللون (لون البشرة) بقدر ما أصبح يمثل المسلمين، كما كان العرب في عصر الاستعمار هم «الآخر» عند الغربيين أصبح المسلمون اليوم هم الآخر بالنسبة للحضارة الغربية، سواء أكان هؤلاء المسلمون ذوي بشرة بيضاء أي غربيين أم أصحاب بشرة سوداء، سواء أقام هؤلاء الآخرون في الغرب كسكان أصليين أو مقيمين أو حتى الذين لم يذهبوا في حياتهم للغرب، لكن مجموع المسلمين أصبح يمثل الآخر الذي يكمن فيه الخطر كما يرى مجموع الغربيين. ومن هنا بدأ هجوم المنظرين الغربيين على الإسلام علنًا بعدما كان متواريًا.

فرغم أن الغربيين قد اكتشفوا مع نابليون ومع الاستعمار وحدة ثقافة المسلمين على تباعد أصقاعهم فإنهم لم يجرؤوا على نقد الإسلام علنًا إلا بعد الحادي عشر من سبتمبر، ولهذا بدأوا الإعلان صراحة وبوضوح عن الآخر أو العدو الذي يهددهم وهو المسلمون ممثلون في شخص ابن لادن أو أي مسلم يسكن ضواحي أوروبا. فقد أضحى هذا المسلم خطرًا كامنًا وقنبلة موقوتة. وغالى من الغربيين من غالى، فعادت الدعاوى التي أخذت تنادي بعظمة الحضارة الأوروبية وتفوقها على الآخر كما صرح سلفيو برلسكوني رئيس وزراء إيطاليا في ٢٦ سبتمبر ٢٠٠١، وتفشى مصطلح تصادم الحضارات بعد الحادي عشر من سبتمبر مع أن هذا المصطلح قد ظهر لأول مرة عام ١٩٦٤ على يد المستشرق البريطاني برنارد لويس الذي يعيش في أميركا منذ عام ١٩٧٤، وهذا المستشرق هو أستاذ الجيل الحالي من المحافظين الجدد في أميركا خاصة وأوروبا عامة. وهؤلاء المحافظون أظهروا الحقد على المسلمين، وقد ظهر ذلك جليًا فيما يسمونه الحرب على الإرهاب، خاصة أن كتابات برنارد لويس ظلت تتباكى وتشكو من أن حضارة الغرب مهددة وفي خطر، ومنشأ هذا الخطر من المسلمين. وهو صاحب فكرة أن التقارب المسيحي اليهودي هو الحصن المنيع ضد المسلمين. وقد أدت تلك المفاهيم خاصة بعد عام ١٩٨٠ إلى أن يصبح الدين حائلاً بين اندماج المسلمين في مجتمعاتهم الغربية لكنه -أي: الدين- لم يمثل تصادمًا للحضارات (إسلام وغرب) إلا بعد الحادي عشر من سبتمبر.

ثم حاول المؤلف أن يبين أن كلمة الفوبيا الإسلامية أو ظاهرة الخوف من الإسلام لم تكد تظهر لا في الكتب ولا المجلات الغربية ولا حتى في الصحف السيارة قبل اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر. وإنما بدأت تظهر بقوة بدءًا من تلك الاعتداءات التي أخذت تمثل ظاهرة في كل المجالات العلمية والأكاديمية والإعلامية والصحفية.

الحرب العالمية الثالثة أبرزت ظاهرة الخوف من المسلمين كجالية ومن الإسلام كظاهرة حضارية قادرة على العودة من جديد للمنافسة

الحرب الباطنة

فمن قبل تلك الاعتداءات كان الاتجاه السياسي الأميركي غامضًا، فهو من جانب يقف مع الإسرائيليين ضد العرب، ومن جانب ثان هو صديق للمحافظين المسلمين وللمملكة العربية السعودية ضد الاتحاد السوفييتي والشيوعيين. أما بعد تلك الأحداث فقد اتخذ هذا الاتجاه من المسلمين العدو الظاهر والباطن. وأصبحت كل الحركات الإسلامية كحماس والقاعدة وحزب الله والإخوان المسلمين والجهاد في مصر والإصلاح في اليمن كلهم جميعًا في سلة واحدة، ولم يفلت من ذلك اللغم الأميركي إلا المجاهدون الشيشان. وظهر ما يسمى بالحرب العالمية الثالثة. ففي الوقت الذي توجهت إدارة بوش للحرب في العراق كانت تلك الحرب هي ذاتها الحرب العالمية الثالثة عند كثير من الكتاب الغربيين، وقد تسببت تلك الحرب والمظاهرات المناهضة لها وكثرة المتظاهرين في بروز ظاهرة الخوف من المسلمين كجالية، ومن الإسلام كظاهرة حضارية قادرة على الاستمرار والعودة من جديد للمنافسة الحضارية. فقد قابل الغرب بعد الحادي عشر من سبتمبر عدوًا أكثر خطرًا من النازيين والشيوعيين الذين واجههم في الماضي كما يقول المؤلف.

فالحقد على الجالية الإسلامية في الغرب غدا ظاهرة في كل البلاد الأوروبية، ففي فرنسا اختلطت الأمور وأصبح الحجاب والجلباب والمسجد صورة للإرهاب. وفي إنجلترا ذكرت الصحيفة اليومية التايمز Timesفي شهر يونيو ٢٠٠٤ أن «المسلمين الإنجليز أخذوا يشعرون بأنهم ليسوا جزءًا من الوطن، وأنهم أصبحوا غير مقبولين، وأن الشعب ينظر إليهم كقنابل موقوتة»، وفي أميركا زادت الاعتداءات على المسلمين وعلى السيخ لكونهم يلبسون لباسا يشبه لباس المسلمين الهنود.

النظرية السياسية

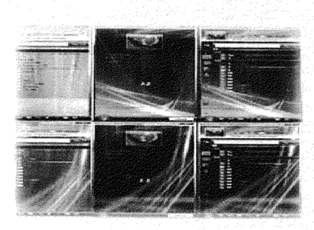
ويجب أن نبين أن إسلاموفوبيا أو ظاهرة الخوف من الإسلام أضحت أقرب للنظرية السياسية wIdéologie التي يجتمع عليها كثير من أعداء الإسلام في الغرب.

وكان رد فعل بعض المسلمين من تلك الظاهرة أن حاولوا مقاضاة بعض الكتاب بتهمة العداء للإسلام، كما حدث مع أحد الكتاب الفرنسيين وهو إدجر موغان. ويرى آلان جريش في تلك الظاهرة أمرًا طبيعيًا يحدث للأقلية مستندًا هنا إلى نص لماكسيم ردونسن الذي كان يرى أن الأقلية في مجتمع ما كثيرًا ما تستقبل صور العداءات اللفظية والتحرشات النقدية، فإن كانت ضعيفة ومهتزة أثرت فيها تلك الصور وذلك النقد.

وإن لم يحاول الكاتب أن يقدم وصفة للعلاج أو أن يبين الخلل في المنظومة الغربية نفسها، إلا أنه قد أجاد حينما وصف الخلل في الجالية المسلمة التي عليها أن توجد لنفسها صفة الديمومة والاستمرار بالاندماج الفاعل في المجتمع الغربي، وعدم الخوف من الحوار الديموقراطي، وألا تنطوي على نفسها في معزل عن قضاياها، وقضايا الوطن الذي تعيش فيه.

إعداد : علي الحربي

نسخة جديد من نورتون لأنظمة ماكنتوش



أعلنت سيمانتيك عن قرب إطلاق برنامج Norton Internet Security ٤ لأنظمة ماك والذي يجمع خواص الحماية من الفيروسات وسرقة المعلومات الشخصية والهوية.

ويتم تنزيل هذه النسخة الجديدة في حوالي دقيقة مع واجهة محدثة وحماية مزدوجة لماك، وحماية ضد فيروسات وأخطار كل من أنظمة ويندوز وماك

وتساعد النسخة الجديدة على الحماية ضد أخطار phishing و malware ومحاولات المخترقين

سيتوافر كل من Norton Internet Security و Norton Internet Security للحماية المزدوجة بداية من العام الجديد ٢٠٠٩

مايكروسوفت تطلق النسخة الذهبية لويندوز لايف ماسنجر٩

قامت شركة مايكروسوفت رسميا بإطلاق نسخة جديدة من برنامج المحادثة ويندوز لايف ماسنجر لعام ٢٠٠٩ وهي Windows Live messenger ٩,٠

وقد تمت إضافة خاصية جديدة للنسخة الذهبية وهي المجموعات التي تعتبر خدمة في بداية إطلاقها تم تصميمها لتسمح بإجراء المحادثات بين أكثر من واحد من مستخدمي البرنامج في الوقت نفسه ويمكن من خلال الخاصية الجديدة في أحدث نسخ ماسنجر إضافة المجموعات معا من خلال قائمة Add وبعد ذلك تكوين مجموعة.

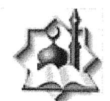
وسيقوم المستخدم بتسمية المجموعة ثم بعد ذلك اختيار الأصدقاء الذين يريدهم من قائمة المعارف كما أنهم سيتمكنون أيضا من مشاركة الصور عبر البرنامج كما أن المجموعات التي ستقوم بتكوينها مع Windows Live Groups ستظهر تلقائيا في برنامج ماسنجر.

ويعتبر برنامج ويندوز لايف ماسنجر هو الأول عالمياً ضمن برامج المحادثة الفورية مع أكثر من ٣٢٠ مشتركاً ومستخدماً بالإضافة إلى أنه يوفر إمكانية تنظيم قوائم لأكثر الأشخاص أهمية بالنسبة لك، والتحدث مع حوالي ٢٠ شخصا في الوقت ذاته.



وكانت مايكروسوفت قد قامت بإطلاق Windows Live Messenger ٩,٠ النسخة التجريبية في منتصف سبتمبر ٢٠٠٨.

موقع نداء الإيمان



موقع نداء الإيمان موقع إسلامي يهدف إلى تقديم رسالة إسلامية عالمية متكاملة تتميز بالاعتدال والشمول، بعيدًا عن تشدد المتشددين وتفريط المفرطين، ومن أهدافه

-استحداث موقع إسلامي جديد ومتميز وفريد على شبكة الإنترنت والإسهام في الطرح الإسلامي الهادف على الشبكة.

-تقديم رسالة إسلامية لها نفس خصائص الإسلام السمح .

-تقديم هذا العمل ليكون عالميًا ولذلك يحرص على ترجمة محتواه إلى لغات عدة.

-الربط والتنسيق والتكامل بين المواقع الإسلامية ومصادر المعلومات مكتوبة،أو مسموعة،أو مرئية ليعم النفع وتعظم الفائدة .

-سد جزء من الحاجة الماسة في الجانب التربوي للآباء والأمهات والمعلمين والمربين .

-الإسهام في حل المشكلات التربوية والدعوية .

-الإسهام في توجيه الشباب والإجابة على تساؤلاتهم.

تعرف على المساحة الخالية للقرص الصلب

يتيح نظام تشغيل ويندوز إمكانية معرفة حجم المساحة الخالية على القرص الصلب حيث يتعين على المستخدم فتح ويندوز إكسبلورر ثم توجيه مؤشر الفارة إلى القطاع المراد معرفة المساحة الخالية عليه ثم الضغط على المفتاح الأيمن للفارة وسوف تظهر في هذه الحالة قائمة عليها مجموعة من الخيارات، ويتعين على المستخدم الضغط، على خيار بروبرتيز وعندها ستظهر قائمة فرعية توضح حجم المساحة الخالية على القطاع المطلوب.

symantec.

سيمانتيك تطلق نورتون ٢٠٠٩ الخاص بالألعاب

أطلقت شركة سيمانتيك نسخة برنامج نورتون لعام ٢٠٠٩ الخاصة بهواة الألعاب قادرة على حماية الحاسب أثناء اتصال المستخدم بالإنترنت دون أن تشكل أي إزعاج أثناء تشغيل الألعاب.

ويشغل برنامج نورتون لمقاومة الفيروسات Gaming Edition لعام ٢٠٠٩ ،٦ ميجابايت من ذاكرة النظام و٥٠ ميجابايت من ذاكرة القرص الصلب ويضمن برنامج نورتون الجديد حماية المستخدم أثناء اتصاله بالإنترنت دون مقاطعته أثناء اللعب.



وأطلقت سيمانتيك قبل فترة برنامج Norton Antivirus لعام ٢٠٠٩ بتحسيناته المتنوعة وتتضمن برامج نورتون نظام حماية لمتصفح فاير فوكس و انترنت إكسبلورر ضد أخطار شبكة الإنترنت والتهديدات المجهولة مع إمكانية استعادة ملفات نظام التشغيل في حالة فقدانها.

إعداد : هالة محمد

خريطة الموت

أظهرت «خريطة الموت» في الولايات المتحدة أن من المرجح ان تذهب الحرارة بأرواح أميركيين أكثر مما قد تفعل الزلازل وأن العواصف الرعدية تقتل أكثر من الاعاصير.

وعبر باحثون اميركيون جمعوا بيانات عن ضحايا الكوارث الطبيعية عن أملهم ان تساعد دراستهم مسؤولي استعدادات الطوارئ على وضع خطط أكثر فاعلية.

ووجد فريق البحث في جامعة ساوث كارولاينا أن الحرارة والجفاف تسببا في ١٩,٦ ٪ من اجمالي الوفيات التي وقعت بسبب مخاطر طبيعية وأن عواصف الصيف الرعدية سببت ١٨,٨٪ من الضحايا.

وكانت الزلازل وحرائق الغابات والاعصاير مجتمعة مسؤولة عن أقل من خمسة في المائة من كل وفيات المخاطر، وقال الباحثون في دورية «بيوميد سنترال للجغرافيا الصحية» أنهم يأملون في تبديد بعض الغموض بشأن أكبر التهديدات التي يمكن أن تودي بحياة البشر أو تسبب اصابتهم، وذكرت سوزان كاتر وكيفن بوردن من جامعة ساوث كارولاينا في تقريرهما الذي شمل بيانات من١٩٧٠ الى ٢٠٠٤ أظهرت نتائجنا ان الاجابة هي الحرارة.

وقالت كاتر: أعتقد أن أغلب الناس سيظنون أن السبب الرئيسي للوفاة والدمار هو الأعاصير والزلازل والفيضانات، ولن يقولوا الحرارة، وأضافت الجدير بالذكر هنا أنه مع الوقت فإن الاحداث الفردية المدمرة وأحيانا الكارثية التي تحظى بتغطية إعلامية كبيرة مثل الأعاصير والزلازل مسؤولة عن وفيات قليلة نسبياً عند مقارنتها بأمور أكثر حدوثا وأقل كارثية مثل موجات الحرارة والأحوال الجوية القاسية، وأوضحت كاتر ان أكثر مناطق العيش خطورة هي معظم مناطق الجنوب بسبب مخاطر ارتفاع درجات الحرارة ثم سواحل الاعصاير وولايات السهول الكبرى في وسط الولايات المتحدة والتي تعاني من أحوال مناخية صعبة.

ووجد الفريق أن ولايات الجنوب الأوسط منطقة خطيرة بسبب الفيضانات والأعاصير أما كاليفورنيا فآمنة نسبياً.

طحالب خضراء لإنقاذ العالم

اكتشف علماء بريطانيون أن ذوبان الجبال الجليدية في القطب الجنوبي يؤدي إلى تكون طحالب خضراء قد تنقذ العالم من الاحتباس الحراري، أو على الأقل تؤخره.

وذكرت صحيفة «دايلي مايل» أن فريقا من العلماء البريطانيين يعملون على متن سفينة آتش أم أس أنديورانسر التابعة للبحرية الملكية البريطانية قبالة شواطئ القارة المتجمدة الجنوبية «أنتركتيكا» اكتشفوا جزيئيات من الحديد تنتشر في المحيط مع ذوبان الجليد.

وهذه الجزيئيات من شأنها أن تساعد في ولادة طحالب تمتص غاز ثاني أوكسيد الكربون ومن ثم تحبسه في قاع البحار مما يؤدي الى محاصرة الغازات الدفيئة لمئات السنين.

ويعتقد الفريق أن العملية قد تحمل المفتاح لتفادي ارتفاع درجات الحرارة في العالم.

وأضافت الصحيفة أنه نتيجة لهذا الاكتشاف، سيجري الفريق تجربة هذا

مسحوق لنمو الأطراف المبتورة!

شهد المعرض العلمي السنوي الذي ينظمه الجيش الأميركي للاكتشافات القابلة للاستخدام العسكري، طرح مجموعة من العقاقير والأجهزة التي قد تساعد على إنقاذ حياة الجنود في أرض المعركة وعلاجهم لاحقا، وذلك في تطور يعكس القلق الناجم عن تزايد الخسائر البشرية في صفوف العسكريين بالعراق وافغانستان.

لكن أبرزها ما شهده المعرض كان «المسحوق السحري» الذي قال مطوره إنه يدفع الأطراف المقطوعة للنمو مجدداً، إلى جانب القضيب الخاص الذي يسمح للجسم بإعادة بناء العظام المفقودة، والروبوتات المتطورة القادرة على انتشال الجرحى من أرض المعركة.

وقال غلين روسمن، من قسم العلوم البيولوجية في الجيش الأميركي، إن «المسحوق السحري» يخلق لدى وضعه في موضع العضو المفقود بيئة توحي للجسم انه لا يزال في المرحلة الجنينية التي يكون عليها في الرحم، الأمر الذي يدفع الأنسجة والشرايين والاعصاب للنمو مجدداً.



وتشير التقارير التي عرضت إلى أن المسحوق استخدم لمساعدة رجل قطع طرف احدى اصابعه بحادث، وقد نمت العظام والأنسجة مجدداً في مكانها القديم بعد أربعة أسابيع.

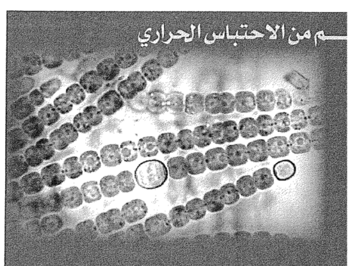
ولكن أهم ما يحتاجه الجيش الأميركي، قبل مباشرة علاج الجنود الجرحى، هو ضمان نقلهم بأمان خارج أرض المعركة، وفي هذا الاطار، قدمت شركة فيسنا رجلا آلياً متطورا يحمل ملامح الإنسان، وقادر على رفع أوزان ثقيلة.

النحل والنبات يتواصلان بالألوان

اكتشف العلماء أن النحل والنبات يتواصلان مع بعضهما البعض بلغة الألوان التي لا يمكن للبشر ان يروها أو يسمعوها.
وذكرت التقارير أن علماء في جامعة كامبردج قالوا: إن بتلات الأزهار تستخدم التقزح اللوني (من قوس قزح) الذي يقوم على فصل الضوء إلى ألوان لجذب النحل الجامع لغبار الطلع.
ومن المعروف لدى العلماء ان الحشرات والطيور والأسماك والزواحف تستخدم التقزح لتسهيل التعرف عليها ولاختيار الشريك، ولكن العلماء اكتشفوا أن النباتات أيضا تستخدم هذا الأسلوب لجعل نفسها جذابة للنحل



ـــم من الاحتباس الحراري



الشهر قبالة شواطئ جزيرة جنوب جورجيا البريطانية جنوب شرق جزر النوكلاند، وتهدف التجربة الى معرفة ما اذا كانت هذه الظاهرة من شأنها احتواء انبعاثات غاز الكربون.
وسيستخدم الباحثون أطناناً من كبريت الحديد لتكوين فورة اصطناعية من الطحالب، وستكون رقعة التجربة كبيرة لدرجة يمكن رؤيتها من الفضاء.
ومن المعروف لدى العلماء ان نشر الحديد في البحر يحفز نمو الطحالب ولكن علماء البيئة يحذرون من أن القيام بذلك بشكل اصطناعي من شأنه الضرر بالنظام البيئي للأرض.

أقدم كتابة إفريقية تكتشف في السودان

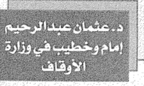
تم اكتشاف ثلاثة تماثيل قديمة لكباش في السودان وهذا الاكتشاف قد يساعد المتخصصين في كشف أسرار أقدم كتابة في إفريقيا جنوب الصحراء.
وقال رئيس القسم الفرنسي في مجلس الآثار في السودان، فانسان رونـدو إن «التماثيل اكتشفت في الحصى على مسافة ١٨٠ كلم شمال الخرطم على طريق يفضي الى معبد قديم»، والذي يقع في أبعد موقع إلى الجنوب بين المعابد المكرسة للإله آمون، وقد ظلت الشعوب التي كانت تعيش في وادي النيل طوال العهد المروي (في مملكة مروى من سنة ٣٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٤٥٠ بعد الميلاد) تعتبر آمون إلها حارساً ومهيمناً وخالقاً.
وأوضح روندو الذي تمول بعثته وزارة الخارجية الفرنسية أن العنصر الأساسي في الاكتشاف الذي تم قبل ثلاثة أسابيع يتمثل في نقش مكتوب على أحد التماثيل، ويحمل اسم ملك غير معروف يدعى اماناكهار يقيريم، مضيفا «لقد أصبح لدينا هذا العام وللمرة الأولى نص كامل مع اكتشاف هذا التمثال الذي نحت عليه هذا النقش»، وأوضح أن لغة مرى تعتبر من آخر الكتابات القديمة التي مازال يتعين تفسيرها.. وهي أقدم لغة مكتوبة في افريقيا جنوب الصحراء، مشيرا الى أن المتخصصين يمكنهم نطق كلمات النص وقراءة الاسماء، ولكنهم لا يفهمون معنى الكلمات، وتعتبر لغة مروى فرعاً من الشجرة اللغوية للغات عدة يتكلمها الناس في السودان واريتريا.
ويقول روندو «هناك أهمية كبيرة لفهم هذه اللغة، ويتعين علينا فقط قراءة الكلمات الأخيرة في النقش، فهذا النوع من النقوش يعتبر مفيدا للغاية، لأنه يتضمن كلمات قليلة، وعلينا ان نحاول فهم مغزاها».
بدأت عمليات التنقيب عن الآثار في عام ٢٠٠٢ بعد ١٧ عاماً من اكتشاف فلاحين، وهم يحفرون قناة للري تمثالاً لكبش في معبد اكتشفه بعض الرحالة الأوروبيين في القرن التاسع عشر.



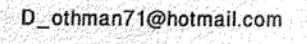


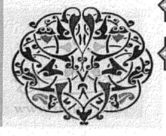
فتاوى لجنة الإفتاء في وزارة الأوقاف الكويتية

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.


د. عثمان عبد الرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com





زكاة المال المدخر لشراء بيت

والدي عنده بيت مضت عليه فترة ثم باعه، وفي عزمه أن يشتري بيتاً آخر، ولكن غلاء الأسعار حال دون شراء البيت الجديد، وبقيت أموال البيت الأول حتى حال عليها الحول.. فهل تجب الزكاة فيها؟

إن الزكاة واجبة في الأموال التي حصل عليها ثمنا للبيت والمعدة لشراء بيت آخر إذا حال عليها الحول، ويجوز صرف الزكاة إلى أقاربه إن كانوا مستحقين بأن كانوا من الأصناف الثمانية المذكورين في قول الله تعالى ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ (التوبة-٦٠).

نصب لوحات تعريفية على كل قبر

هل يجوز أن تقوم البلدية وهي الجهة المسؤولية عن المقبرة بتوفير لوحات معدنية للمقبرة بحيث يوضع على كل قبر لوحة تعريفية تحتوي على اسم المتوفى ومعلومات عنه؟

إن مبدأ إعلام الناس بالقبر وصاحبه أمر مشروع لأن رسول الله ﷺ وضع بيده الشريفة حجراً على قبر عثمان بن مظعون وقال «أعلم بها قبر أخي وأدفن إليه من مات من أهلي» (رواه أبو داود)

وبناءً على ذلك يجوز أن يكون الإعلام بالكتابة بذكر صاحب القبر وتاريخ وفاته ونحو ذلك من البيانات الأساسية التي قد يحتاج إليها، ولا يبالغ في ذلك، ويجب الحرص على ألا يكتب شيء من القرآن الكريم تنزيها للقرآن عن الابتذال. والله أعلم.

تخصيص جوائز لزيادة المبيع

■ من الأساليب المتبعة لترويج البضائع في السوق أو لزيادة حجم المبيعات تخصيص جوائز عينية أو نقدية على قدر معين من المشتريات تحدده الشركة المعلنة، فهل هذا جائز شرعا؟

يجوز تخصيص جوائز عينية أو نقدية لمن يشتري قدرا معينا من السلع يحدده البائع المعلن عن الجائزة لأن هذا من قبيل حط جزء من الثمن.

شروط بيع المرابحة

■ ما شروط عمليات المرابحة؟

المرابحة هي مبادلة المبيع بما قام به على البائع مع زيادة ربح بمبلغ معّين أو بنسبة مئوية من التكلفة ويشترط لصحتها ما يلي:

١- أن يكون المبيع قد دخل في ملك البائع وحازه إليه.

٢- علم المشتري بالثمن الذي قام به على البائع، ولا يحلّ للبائع أن يكذب فيزيد في الثمن الذي يخبر به، فإن كذب وزاد استحق المشتري استرجاع الزيادة وما يقابلها من الربح، فلو لم يعلم الثمن الأول حتى افترق العاقدان عن المجلس بطل العقد لتقرير الفساد.

٣- العلم بالربح لأنه بعض الثمن والعلم بالثمن شرط في صحة البيع.

٤-أن يكون العقد الأول الذي اشترى به البائع صحيحاً، فإن كان فاسداً لم يجز أن يبيعه مرابحة. والله أعلم.

أخذ المقابل على الإقامات

■ هل يجوز أخذ مبالغ مالية لقاء كفالة الإقامة؟

يجوز أن يؤخذ على عمل الإقامات مقابل معيّن في نظير عمل المندوب في إجراءاتها ومصاريف الطبع وما يخصّ هذه الأعمال من مصاريف المكتب، ولكن لا يجوز تضمين هذا المقابل شيئاً عن نفس الكفالة لتأمين الإقامة، بمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ شيئاً من هذه الأعمال حيلة لأخذ الأجر على الكفالة. والله أعلم.

من قرارات مجمع الفقه الإسلامي

مبدأ التحكيم في الفقه الإسلامي

أولاً: التحكيم اتفاق طرفي خصومة معينة، على تولية من يفصل في منازعة بينهما، بحكم ملزم، يطبق الشريعة الإسلاميَّة.

وهو مشروع سواء أكان بين الأفراد أم في مجال المنازعات الدولية.

ثانياً: التحكيم عقد غير لازم لكل من الطرفين المحتكمين والحكم، فيجوز لكل من الطرفين الرجوع فيه ما لم يشرع الحكم في التحكيم، ويجوز للحكم أن يعزل نفسه.

- ولو بعد قبوله - ما دام لم يصدر حكمه، ولا يجوز له أن يستخلف غيره دون إذن الطرفين، لأن الرضا مرتبط بشخصه.

ثالثاً: لا يجوز التحكيم في كل ما هو حق لله تعالى كالحدود، ولا فيما استلزم الحكمُ فيه إثبات حكم أو نفيه بالنسبة لغير المتحاكمين ممن لا ولاية للحَكم عليه، كاللعان، لتعلق حق الولد به، ولا فيما ينفرد القضاء دون غيره بالنظر فيه، فإذا قضى الحكم فيما لا يجوز فيه التحكيم فحكمه باطل ولا ينفذ.

رابعاً: يشترط في الحكم بحسب الأصل توافر شروط القضاء.

خامسا: الأصل أن يتم تنفيذ حكم المُحَكّم طواعية، فإن أبى أحد المحتكمين، عرض الأمر على القضاء لتنفيذه، وليس للقضاء نقضه، ما لم يكن جوراً بيناً، أو مخالفاً لحكم الشرع.

سادسا: إذا لم تكن هناك محاكم دولية إسلامية، يجوز احتكام الدول أو المؤسسات الإسلامية إلى محاكم دولية غير إسلامية، توصلاً لما هو جائز شرعاً.

ويوصى بدعوة الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي إلى استكمال الإجراءات اللازمة لإقامة محكمة العدل الإسلامية الدولية، وتمكينها من أداء مهامها المنصوص عليها في نظامها.

بدل الخلو

أولا: تنقسم صور الاتفاق على بدل الخلو إلى أربع صور هي:

١- أن يكون الاتفاق بين مالك العقار وبين المستأجر عند بدء العقد.

٢- أن يكون الاتفاق بين المستأجر وبين المالك وذلك في أثناء مدة عقد الإجارة أو بعد انتهائها.

٣- أن يكون الاتفاق بين المستأجر وبين مستأجر جديد، في أثناء مدة عقد الإجارة أو بعد انتهائها.

٤- أن يكون الاتفاق بين المستأجر الجديد وبين كل من المالك والمستأجر الأول، قبل انتهاء المدة، أو بعد انتهائها.

ثانيا: إذا اتفق المالك والمستأجر على أن يدفع المستأجر للمالك مبلغاً مقطوعاً زائداً عن الأجرة الدورية - وهو ما يسمى في بعض البلاد خلوا، فلا مانع شرعاً من دفع هذا المبلغ المقطوع على أن يعد جزءاً من أجرة المدة المتفق عليها، وفي حالة الفسخ تطبق على هذا المبلغ أحكام الأجرة.

ثالثا: إذا تم الاتفاق بين المالك وبين المستأجر أثناء مدة الإجارة على أن يدفع المالك إلى المستأجر مبلغاً مقابل تخليه عن حقه الثابت بالعقد في ملك منفعة بقية المدة، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، لأنه تعويض عن تنازل المستأجر برضاه عن حقه في المنفعة التي باعها للمالك، أما إذا انقضت مدة الإجارة ولم يتجدد العقد، صراحة أو ضمناً، عن طريق التجديد التلقائي حسب الصيغة المفيدة له، فلا يحل بدل الخلو، لأن المالك أحق بملكه بعد انقضاء حق المستأجر.

رابعاً: إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد في أثناء مدة الإجارة على التنازل عن بقية مدة العقد، لقاء مبلغ زائد عن الأجرة الدورية، فإن بدل الخلو هذا جائز شرعاً، مع مراعاة مقتضى عقد الإجارة المبرم بين المالك والمستأجر الأول، ومراعاة ما تقضي به القوانين النافذة الموافقة للأحكام الشرعية.

على أنه في الإجارات الطويلة المدة، خلافاً لنص عقد الإجارة طبقاً لما تسوغه بعض القوانين، لا يجوز للمستأجر إيجار العين لمستأجر آخر، ولا أخذ بدل الخلو فيها إلا بموافقة المالك، أما إذا تم الاتفاق بين المستأجر الأول وبين المستأجر الجديد بعد انقضاء المدة فلا يحل بدل الخلو، لانقضاء حق المستأجر الأول في منفعة العين.

من القواعد الفقهية

قول الصحابي

الأقرب إلى الصواب أن الصحابة الفقهاء والمعروفين بالفقه والفتيا هم الذين يكون قولهم حجة؛ لأنه لاشك أن علمهم أغزر وأوسع، وأما من كان له مجرد صحبة ولم يعرف بفقه ولا علم فإن قوله ليس بحجة.

ويشترط ليكون قول الصحابي حجة ألا يخالف قول صحابي آخر مثله في الفقه والعلم، وألا يخالف نصا من كتاب أو سنة.

العُرف

وهذه القاعدة من القواعد المهمة، وهي أن ما جاء في الكتاب والسنة مطلقاً بغير تحديد؛ فإنه يرجع فيه إلى العرف.

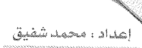
والعرف هو: ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقته الطباع السليمة بالقبول، وينقسم إلى قسمين:

عرف صحيح: وهو العادة التي لا تخالف نصاً من نصوص الكتاب والسنة، ولا تفوت مصلحة معتبرة ولا تجلب مفسدة راجحة.

عرف فاسد: وهو العادة التي تكون على خلاف النص، أو فيها تفويت مصلحة معتبرة أو جلب مفسدة راجحة.

ملخص القواعد الفقهية

الشيخ محمد بن صالح العثيمين



إعداد : محمد شفيق

حوار بين الحق والباطل

تمشى الباطل يوماً مع الحق فدار بينهما هذا الحوار: قال الباطل: أنا أعلى منك رأساً، فقال الحق: أنا أثبت منك قدماً، فقال الباطل: أنا أقوى منك، فقال الحق: أنا أبقى منك، فقال الباطل: أستطيع أن أقتلك الآن، قال الحق لكن أولادي سيقتلونك ولو بعد حين، قال الباطل: أنا معي الأقوياء والمترفون قال الحق: ﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ (الأنعام-١٢٣).

بنو طفوان وبنو غطسان

تخاصمت قبيلتا بني طفوان، وبني غطسان في نسب طفل، ادعت كل منهما أنه لها، فاحتكموا إلى أول قادم إليهم، وكان القادم معتوها (مجنونا) فقال: اطرحوه في اليم (البحر) فإن طفا فهو لبني طفوان، وإن غطس فهو لبني غطسان!

واعظ الخليفة

جاء أبو عثمان عمرو بن عبيد إلى مجلس الخليفة المنصور، فقال له: عظنا يا أبا عثمان، فقرأ سورة الفجر حتى بلغ قوله تعالى ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ فبكى بكاءً شديداً ثم قال له: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك منه ببعضها، واعلم أن الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد من كان قبلك ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى من هو بعدك، وإني أحذرك ليلة تمخضت صبيحتها عن يوم القيامة، ثم بكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه.

نصيحة أم لابنتها ليلة زفافها!

قالت أسماء بنت خارجة لابنتها ليلة زفافها: يابنية إنك خرجت من العش الذي فيه درجت، فصرت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تأليفه، فكوني له أرضا يكن لك سماء، وكوني له سهادا يكن لك عمادا، وكوني له أمة يكن لك عبداً واحفظي أنفه وسمعه وعينه، فلا يشم منك إلا طيباً، ولا يسمع إلاحسناً، ولا ينظر إلا جميلاً!

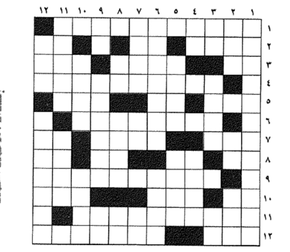
الدموع

قيل لحكيم: هل يوجد الرجل الذي يستطيع أن يعيش بلا دموع في هذه الحياة؟
أجاب: لا: لن يوجد الإنسان الذي يعيش بلا دموع، فالحياة مليئة بألوان عديدة من المآسي، ولكن يوجد الإنسان المؤمن الذي يستطيع أن يمسح دموعه ودموع الآخرين!

من وصايا الصالحين

قال سعيد بن العاص ينصح ولده: يابني اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء، ويجرئ عليك السفهاء، وإن التقصير فيه يفضي عنك المؤانسين، ويوحش منك المصاحبين، يا بني: اصبر على الشدائد، واجعل الصبر زادك، واجعل العفو أقرب إليك من الغضب، والحلم أقرب إليك من العقاب.

الكلمات المتقاطعة



إعداد: محمد أحمد

أفقياً:

١- لقب بذي النورين، وذلك لأنه تزوج من ابنتي الرسول محمد ﷺ: رقية، وأم كلثوم، حيث، تزوج من الأخيرة (أم كلثوم) بعد وفاة الأولى (رقية)، وقد كانتا متزوجتين (قبل ذي النورين) من: عتبة وعتيبة، ابني عبدالعزى بن عبدالمطلب (الملقب بـ: أبي لهب)، وهو عم الرسول ﷺ، ثم تم طلاقهما. وكان سبب الطلاق أن أبا لهب أمر ابنيه بتطليقهما، بعد نزول سورة المسد، والتي توعد الله فيها بأنه سيدخل أبا لهب، وزوجته أم جميل جهنم.

٢- صيغة مبالغة على وزن فعال من: آب، وهناك معنيان لآب، الأول: عام ويعني: رجع، أما الآخر: فخاص، ويعني: رجع إلى الله، والمبالغة في المعنى الآخر تعني: الدائم الرجوع إلى الله، عند أدنى خطأ - ريب (معكوسة) - طابور.

٣- أصلح (معكوسة) - غار بشمال مكة، اسم الغار- والجبل واحد. كان يعتكف فيه الرسول محمد ﷺ في رمضان من كل عام، ليتدبر ويتفكر في خلق الكون قبل نزول الوحي عليه، وفي هذا الغار نزل الروح القدس للمرة الأولى على النبي ﷺ بالقرآن، وكانت أول آيات أنزلت هي: الآيات من: (١- ٥) من سورة العلق (معكوسة) - أمة، كذا: اسم فترة من الزمن، تعادل ثلث قرن أي حوالي ٣٣ عاماً.

٤- من كبار الشعراء العرب، لقب بشاعر الرسول ﷺ وذلك لأنه كان يمتدح الرسول ﷺ كثيراً في أشعاره، بعد إسلامه، توفي عام ٥٤ هـ وقيل: غير ذلك، كما ذكر البعض أنه عاش ١٢٠ عاماً، نصفها في الجاهلية، ونصفها في الإسلام.

٥- مدخل - مرض (معكوسة)- للاستفهام.

٦- اسم سيف للرسول محمد ﷺ.

٧- حزن - اطمئنان - أداة نفي للمستقبل (معكوسة).

٨- اداة نفي بالماضي - قربة الماء الصغيرة - سقاية - هر (معكوسة).

٩- من أمهات المؤمنين، والدها هو: حيي بن أخطب، زعيم يهود بني النضير، وكان شديد العداوة للنبي ﷺ، وللمسلمين، ودنيء النفس، غدّارا، وقد قتل في غزوة بني قريظة (عام ٥ هـ)، بعد غزوة الخندق مباشرة، فقد كان يحارب مع بني قريظة المسلمين، أما ابنته (أم المؤمنين لاحقا) فقد سُبيت في غزوة خيبر (عام ٧ هـ)، وقدلجأت أسرة حيي إلى يهود خيبر، بعد هزيمتهم في غزوة بني النضير (عام ٤ هـ)، وقتل أيضا زوجها كنانة بن الربيع والذي كان يحارب مع خيبر ضد المسلمين، وكنانة هذا، ومعه حيي بن أخطب، ونفر من اليهود هم من ألبوا القبائل على المسلمين، وكانوا السبب في غزوة الخندق (٥ هـ)، وقد أعتق النبي ﷺ ابنة حيي، ثم تزوجها بعد ذلك، وأسلمت، وحسن إسلامها. وقد توفيت رضي الله عنها في زمن معاوية بن أبي سفيان، ودفنت بالبقيع، بالمدينة المنورة (معكوسة).

١٠- متشابهان - ضد: شراء - عدم المحاسبة على الذنب، كذا: ما زاد من المال عن الحاجة.

١١- ابن عم سيدتنا خديجة رضي الله عنها، ترك عبادة الأصنام، ودخل في النصرانية، وهو الذي قال بعد علمه بنزول سيدنا جبريل عليه السلام على الرسول ﷺ بغار حراء بأن محمدا هو نبي هذا الزمان، كما قال بأن محمدا سوف يواجه أشد الصعاب، وبأنه لو أدرك ذلك اليوم لينصرنه.

١٢- ما يأخذه مالك الأرض الزراعية من مستأجرها (معكوسة) - لقب أخت سيدنا محمد ﷺ في الرضاع، واسمها الأصلي: حذافة (وقيل: جذامة)، وأبوها: الحارث بن عبدالعزى، وأمها: حليمة بنت أبي ذؤيب، وأخوها: عبدالله، وأختها: أنيسة، زوجها: بجاد بن سعد، وفي غزوة حنين (٨ هـ) أمر الرسول ﷺ بالقبض على بجاد، لأفعاله في الحرب، وعندما قبض عليه، كانت معه زوجته، فصاحبته، إلى النبي ﷺ، وقد بسط لها النبي ﷺ رداءه، وأجلسها عليه، وأكرمها، وردها إلى قومها، بحسب رغبتها.

رأسياً

١- من صحابة الرسول ﷺ، وفي غزوة خيبر (٧هـ) رجع عليه سيفه، وهو يقاتل، فأصابه إصابة شديدة، توفي منها، وقد سأل البعض النبي ﷺ في ذلك، فقال: انه لشهيد، وقد طلب منه النبي ﷺ أثناء المسير الى خيبر أن ينشده شيئاً من الشعر، فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا - ولا تصدقنا، ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا - وإن أرادوا فتنة أبينا

فانزلن سكينة علينا - وثبت الأقدام إن لاقينا

٢- الغار الذي اختبأ فيه الرسول محمد ﷺ وأبو بكر الصديق رضي الله عنه من قريش، أثناء هجرتهما من مكة إلى المدينة، وهو يحمل ذات اسم الجبل الذي به، وهو يقع جنوب مكة، باتجاه اليمن، وليس باتجاه المدينة، وذلك للتضليل، وقد مكثا به ثلاثة أيام، ولم يكن أحد يعلم بمخبئهما فيه سوى عبدالله بن أبي بكر، وأختاه: أسماء، وعائشة، ومولاهم: عامر بن فهيرة.

مادة قاتلة - نعاس.

٣- للاستفهام - ينحر (معكوسة) - سر، ورضي، كذا: سكن، واطمأن.

٤- والد الاسم (الأصلي) لعبدالمطلب، جد الرسول محمد ﷺ، حيث ان اسم عبدالمطلب قد جاء نتيجة لواقعة معينة.

٥- نعم (معكوسة) بكاء شديد، بصوت عال.

٦- دويبات من رتبة العنكبيات، للواحد منها ثمانية أرجل، وستة عيون، سامة، يأكل بعضها بعضا (معكوسة)- أصف (معكوسة).

٧- ننهل - ثغر - ثلثا: نلم.

٨- عطف - اسم الدابة التي امتطاها الرسول محمد ﷺ في رحلتي الاسراء والمعراج (معكوسة)- ثلثا: وشى.

٩- هرب - عدد الملائكة التي تحمل عرش الله في الآخرة، والتي جاءت (بسورة الحاقة- ١٧) - حرف جر.

١٠- اسم مفتاح الكعبة، كذا: يطلق أيضا على أي مغلاق لباب (معكوسة)- يعرف.

١١- حظي - نعطي أقل مما نأخذ، كذا: نبخس الميزان، وننقصه.

١٢- تدور (معكوسة) - اسم ناقة للرسول محمد ﷺ، رغم أنها كانت سليمة الأذن.

حل العدد السابق

	1	2	3	4	5	6	7	8
1	د	ل	ا	ل		م	ل	ك
2	ج	ل	ن	ا	ر		ل	ن
3	س	ل		ف	ر	ج		ز
4	ع	ل	ي		ر	ب	ج	
5		ل	ي	ث		ل	ي	ل
6	ر		ي	ب	ا		ه	ي
7	و	س		ا	ق	ب	ا	ل
8	ن	د	ى		ر	د	ن	ى



العدوان على غزة وتداعياته المأساوية

د. رفيق حسن الحليمي

سمي قطاع غزة بعد نكبة ١٩٤٨م، باعتباره الجزء المقتطع من فلسطين، وكان قبل النكبة يسمى «لواء غزة الجنوبي»، وكان يضم بعض المدن والقرى في الشمال وفي الشرق، وقد وقعت هذه المدن والقرى في قبضة الاحتلال عام ١٩٤٨م، وبقي القطاع شريطاً ساحلياً على البحر الأبيض المتوسط في الجنوب الغربي من فلسطين، وهو في حجمه الحالي لا يزيد طولاً عن ٣٨كم٢، وبين ٨-١٦كم٢ عرضاً، ويحده من الشمال والشرق دولة الكيان الصهيوني التي تتحكم في ثلاثة معابر تجارية وسياحية، ومن الجنوب مصر بمساحة لا تزيد عن ١٦كم، ويوجد بينها وبينه معبر رفح، ويعيش فيه حالياً ما يقارب المليون ونصف المليون نسمة ويعد من أكثر البلاد ازدحاماً بالسكان في العالم.

وقع قطاع غزة تحت الاحتلال الصهيوني مرتين: الأولى عام ٥٦-١٩٥٧م وانسحبت قواته بعد أربعة أشهر، والثانية عام ١٩٦٧م حتى أيامنا هذه، وقد آثر الصهاينة أن ينسحبوا من غزة ويعيدوا انتشار قواتهم على الحدود، وظلوا يتحكمون في المعابر الثلاثة، وأما معبر رفح فقد كانت له فيه مراقبة من وراء حجاب.

وبعيداً عن السياسة وتعقيداتها وتقلباتها فقد أصبح قطاع غزة بسكانه خاضعاً لحصار ظالم منذ أكثر من عام ونصف العام وعدوان غاشم أخيراً، الأمر الذي ضاعف من مأساة السكان جميعاً، وزاد من حدة هذه المأساة الحملة العسكرية الواسعة التي يقوم بها جنود الاحتلال على مختلف الجبهات مع منع إدخال الوقود لتشغيل السيارات، والمولدات التي تزود البيوت والمستشفيات والمخابز والمعامل بالطاقة اللازمة لها، فضلاً عن منع دخول المواد الغذائية والدوائية رغم الاستغاثات من بعض المنظمات والهيئات الدولية.

المشهد أمامنا مأساوي في اكثر من وجه ويستحق التوقف للتأمل والمراجعة ونقد الذات، وهل يتصور انسان عاقل في هذا الزمان - زمن الفضائيات - أن يترك قطاع غزة على ضيقه الشديد وكثافة سكانه وشحة اراضيه وقلة موارده الطبيعية هكذا دون اهتمام ومساعدة وفك للحصار الجائر عنه ووقف للعدوان الظالم، ويلقى به في زوايا النسيان وكأنه سقط من معادلة الوجود البشري وانزاح الى عالم العدمية والفناء الأبدي، فلم تعد الذاكرة الفردية والجماعية العربية والعالمية تستذكره وتستحضره لا في صحوها ولا في سباتها، ولا في أحلامها إلا لماماً، كطيف ثقيل يريد صاحبه أن يتخلص منه، اذا ما راوده بين حين وحين!

إنه لبلاء عظيم واختبار كبير يمتحن الله به عباده سواء أكانوا هم المصابون بالبلاء أم ممن يسمعون عنه أو يرونه من قريب أو بعيد، ليقيم الحجة لهم إذا صبروا، أو عليهم إذا لجوا وكفروا يوم القيامة، ويوم يقوم الناس لرب العالمين ويوم يقوم الأشهاد، قال تعالى: ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين. الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون. أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾(البقرة- ١٥٥:١٥٧)، أليس حصار غزة من المنكر الذي دعا الرسول الكريم الى تغييره وتقويمه اي بمحاربته والتصدي له، بقوله ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» (رواه مسلم) ولدي قناعة مطلقة بأننا معشر المسلمين في المشارق والمغارب سنحاسب أمام الله على صمتنا وسكوتنا عما يجري في قطاع غزة، وفي غيره من بقاع المسلمين من تجويع وترويع وقتل متعمد ممنهج للمرضى والشيوخ والأطفال.

أليس ما يجري في قطاع غزة يصل بالمتسببين فيه بطرق مباشرة أو غير مباشرة الى مستوى «جرائم الحرب» التي يعاقب عليها القانون الدولي؟ ذلك القانون الغائب الحاضر والحاضر الغائب الذي يستغل استغلالاً بشعاً فيطبقونه عندما يرون ان ذلك في مصلحتهم، ويلغونه عندما لا يكون في مصلحتهم، أليس هذا هو الكيل بمكيالين متناقضين، فالويل كل الويل للمطففين.

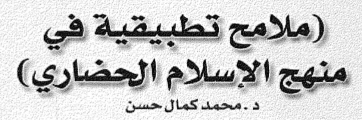
هناك صمت مطبق وسكوت مميت وإمعان في اغلاق المعابر، وخاصة معبر رفح، فإذا كان الاغلاق من جانب فالصمت عليه من جانب آخر، وكلا الجانبين مدان ادانة كبرى بكل المقاييس وبكل الشرائع السماوية والأرضية والأعراف الدولية، نحن حقيقة أمام حالة شاذة لم تسجلها أحداث التاريخ في ماضيه وحاضره ولا أظن أنه سيسجلها في مستقبله. (١)

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطاع الشؤون الثقافية

إدارة الثقافة الإسلامية

جديد مشروع « روافد »





د. محمد كمال حسن



(العمران والبنيان في منظور الإسلام)

م. يحيى وزيري





د. عبد الرحمن الحجي

ص.ب: 13 الصفاة، رمز بريدي: 13001 دولة الكويت

هاتف 22487106 (00965) - فاكس: 22468134(00965)

البريد الإلكتروني rawafed@islam.gov.kw

تبي تريح قلبك . .

يلّا نصلي

www.nafaess.com



